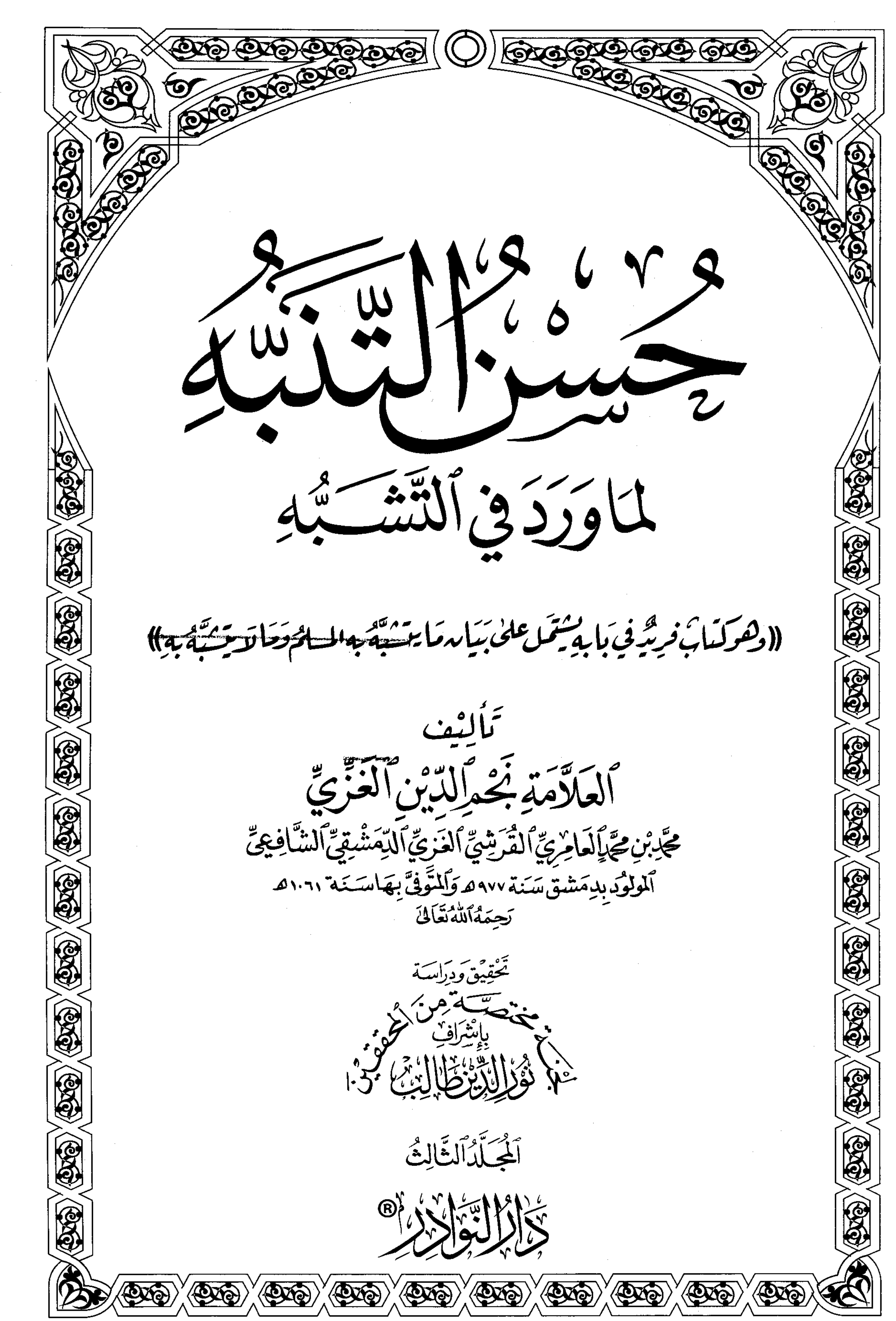


حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ في التَّشَبُّهِ

«وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به»

تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي

المولود بدمشق سنة ٩٧٧هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

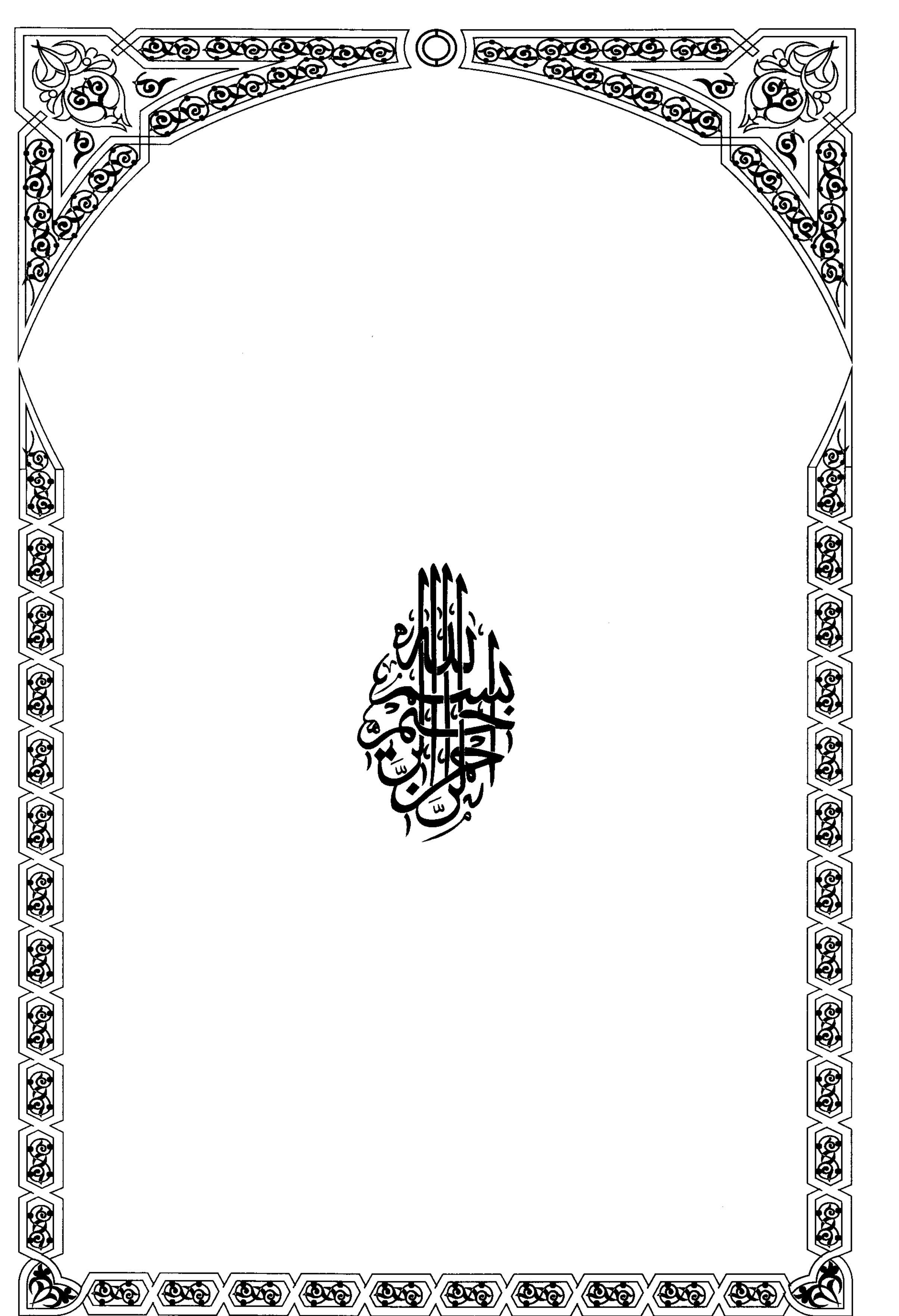
لجنة مختصة من المحققين

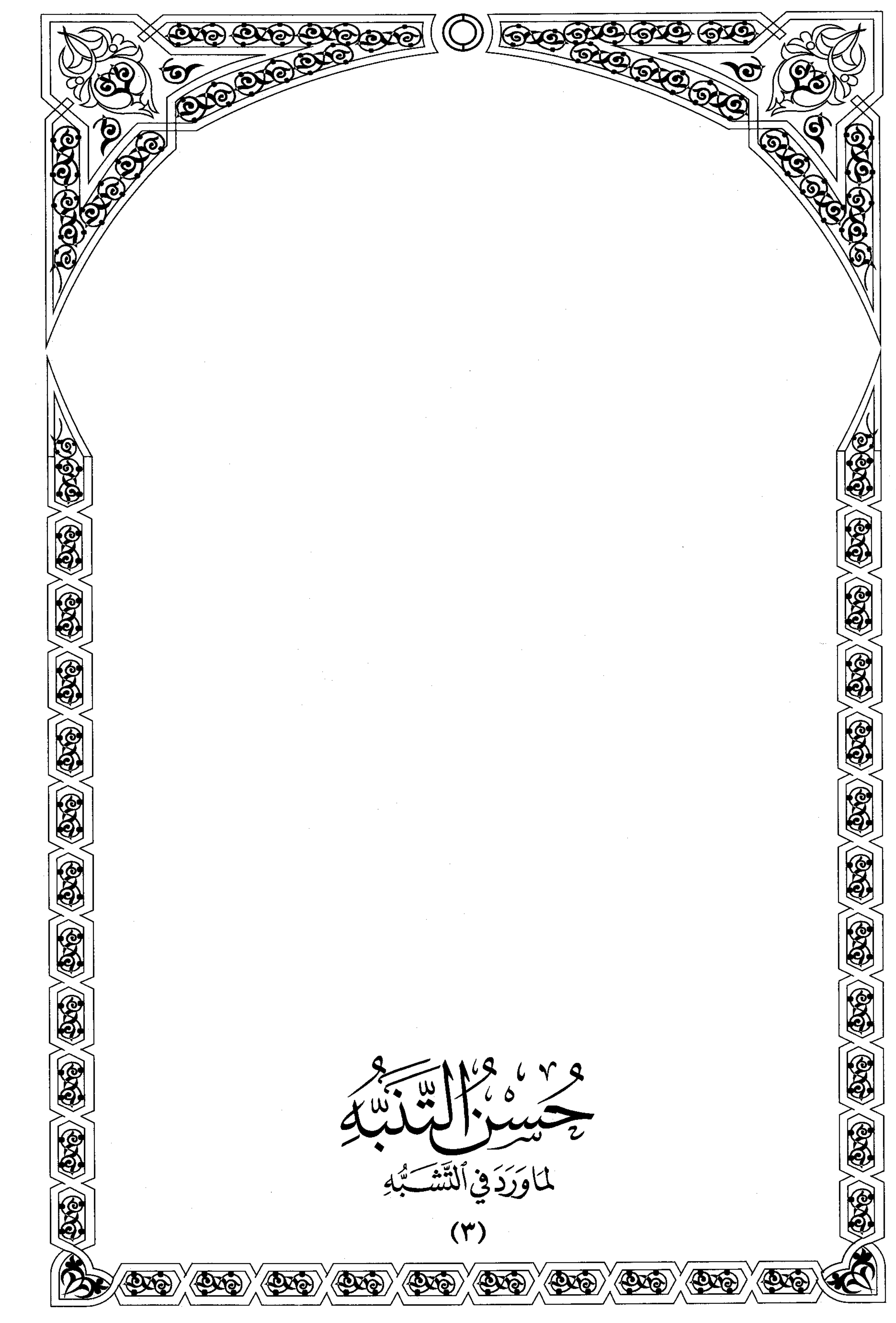
بإشراف

نور الدين طالب

المجلد الثالث

دار النوادر ®


بسم الله الرحمن الرحيم



حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

(٣)



ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَىٰ
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

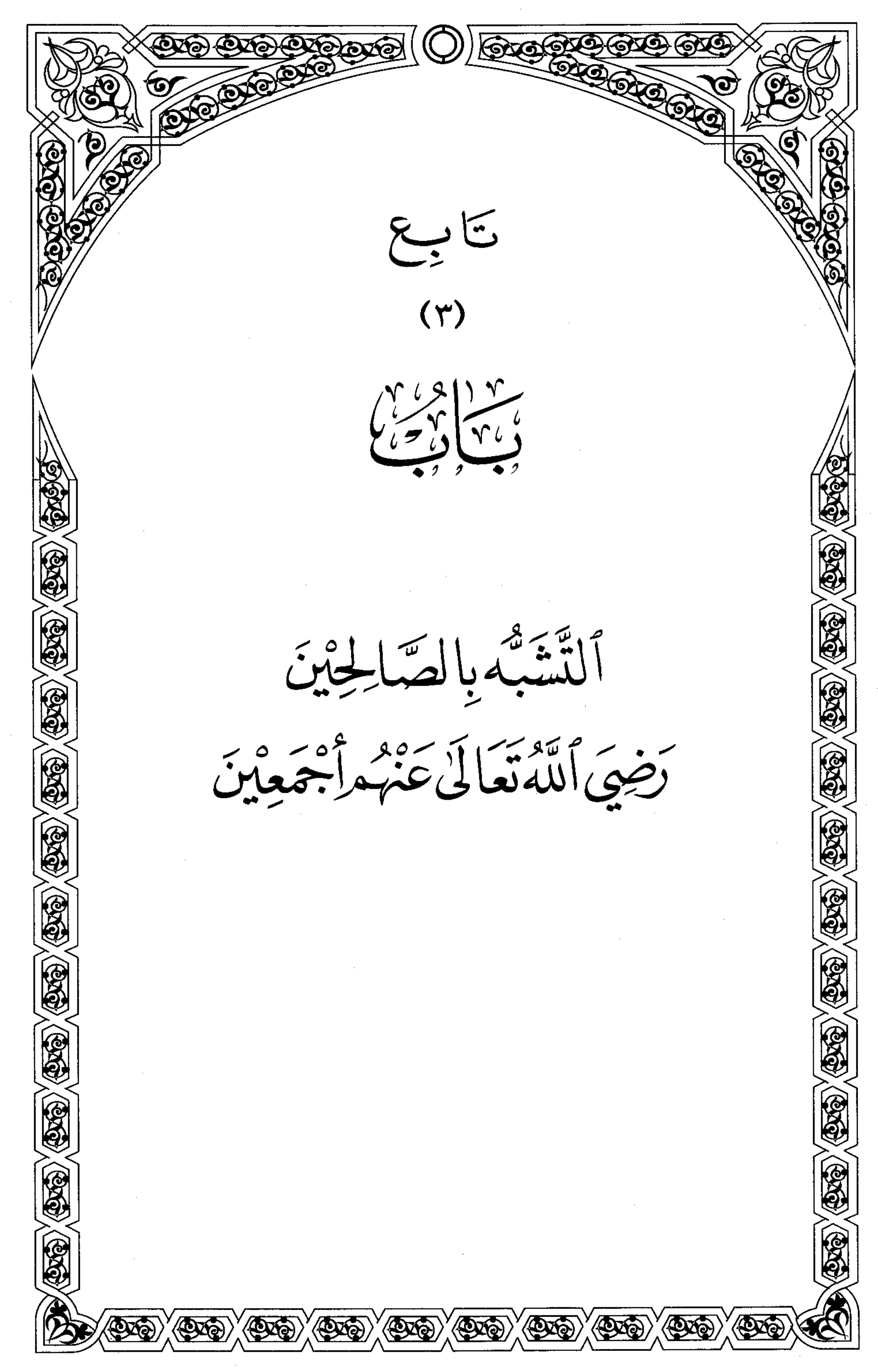
ردمك : ٧ ـ ٨٤ ـ ٤١٨ ـ ٩٩٣٣ ـ ٩٧٨ : ISBN
9789933418847

دار النوادر

سورية ـ لبنان ـ الكويت

مُؤَسَّسَة دَار ٱلنَّوَادِر م. ف ـ سُورِيَة * شَرِكَة دَار ٱلنَّوَادِر ٱللُّبْنَانِيَّة ش. م. م ـ لُبْنَان * شَرِكَة دَار ٱلنَّوَادِر ٱلكُوَيْتِيَّة ذ. م. م ـ ٱلكُوَيْت
سورية ـ دمشق ـ ص. ب: ٣٤٣٠٦ ـ هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ ـ فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ١٤/٥١٨٠ ـ هاتف: ٦٥٢٥٢٨ ـ فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت ـ حولي ـ ص. ب: ٣٢٠٤٦ ـ هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنفِيذِي

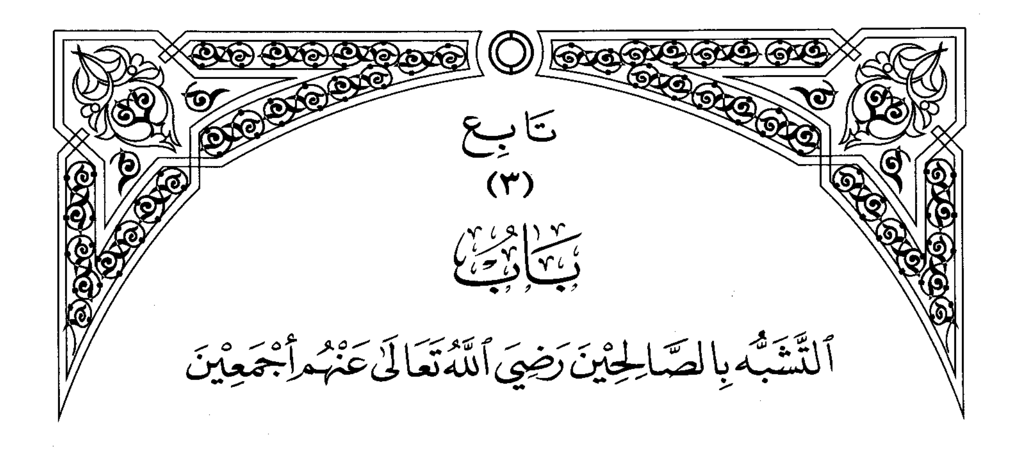


تابع

(٣)

باب

التشبه بالصالحين
رضي الله تعالى عنهم أجمعين



* **فائِدَةٌ سادِسَةٌ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه قال: في كتب الحواريين: إذا سلك بك سبيل أهل البلاء، فاعلم أنه سلك بك سبيل الأنبياء والصالحين، وإذا سلك بك سبيل أهل الرخاء، فاعلم أنه سلك بك سبيلاً غير سبيلهم، وخلف بك عن طريقهم(١).

وروى الدينوري عن عبد الواحد بن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى! إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين(٢).

وكان الشيخ أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى يقول: الفقراء أشرف الناس لأن الفقر لباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين،

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٤).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٨٨).

وغنيمـة العـارفين، ومُنيـة المريدين، ورضى رب العالمين، وكرامة لأهل ولايته.

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في كتـاب «الزهـد والرقائق» عن وهب بن منبـه قال: إني وجدت في كتـاب الله المنزل ـ أو: قـرأت في كتاب الله المنزل ـ في ذكر الصالحين أنهم إذا طالت بهم العافيـة حزنوا لذلك، ووجدوا في أنفسهم، وإذا أصابهم الشيء من البلاء فرحـوا بـه واستبشروا، وقالوا: الآن عاتبكم ربكم فأَعتِبوه[1]؛ أي: أزيلوا عتابه.

ولهذا شواهد من الأحاديث الصحيحة المرفوعة:

ـ منها: ما رواه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقي في «شعبه» عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصَّـالِحِيـنَ لَيُشَـدَّدُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّـهُ لا يُصِيـبُ الْمُؤْمِنَ نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ فَما فَوْقَ ذَلِكَ إِلاَّ حُطَّتْ عَنْهُ بِها خَطِيئَةٌ، وَرُفِعَتْ لَـهُ بِها دَرَجَةٌ»[2].

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، وابن ماجه عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلى حَسبِ دِينِـهِ؛ فَإِنْ

---

(1) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٢٦).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨١).

كانَ فِي دِينِهِ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ على قَدْرِ دِينِهِ، فَما يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي على الأَرْضِ وَما عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» ـ بإسناد حسن ـ عن أخت حذيفة رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»[2].

وروى ابن ماجه، وأبو يعلى، والحاكم ـ وصححه ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، لَقَدْ كانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالفَقْرِ حَتَّى ما يَجِدَ إِلاَّ العَباءَةَ[3] يُحوِّيها فَيَلْبَسُها، وَيُبْتَلى بِالقملِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَلأَحَدُهُمْ كانَ أَشَدَّ فَرحاً بِالبَلاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالعَطاءِ»[4].

وروى ابن أبي حاتم الرازي عن يزيد بن أبي ميسرة رحمه الله تعالى قال: أجد فيما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام: أيفرح عبدي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٤٥)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٨٢٣١).

(٣) في «ت» و«أ»: «العباء».

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٤٢)، وأبو يعلى في «المسند» (١٠٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١١٩).

المؤمن أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني؟ أو يجزع عبدي المؤمن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب إليه مني؟

ثم تلا: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦][١].

وروى هو وغيره عن قتادة: أنه قرأ هذه الآية فقال: مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم؛ فلا تعتبروا الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبروهم بالإيمان والعمل الصالح[٢].

وروى الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذا أَحَبَّ قَوماً ابْتَلاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِـيَ فَلَهُ الرِّضا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[٣].

وروى البيهقي في «البعث» عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا أَحَبَّ اللهُ عَبداً ابْتَلاهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ»[٤].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح البخـاري» من حـديثـه عن

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٠٤)، ورواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٢١٧).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٠٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وحسنه، وكذا ابن ماجه (٤٠٣١).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٨)، وكذا هناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢٣٩). قال ابن طاهر المقدسي في «معرفة التذكرة» (ص: ١٠٧): فيه يحيى بن عبيدالله بن وهب ليس بشيء في الحديث.

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيراً يُصِبْ مِنْهُ»[1].

وروى الترمذي، والحاكم ـ وصححه ـ عن قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ اللهُ عَبداً حَماهُ الدُّنْيا، كَما يَحْمِي أَحَدُكُمْ سَقِيمَهُ الْماءَ»[2].

وروى الإمام أحمد عن محمود بن لَبيد رضي الله عنه، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعالَى يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَما تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعامَ وَالشَّرابَ تَخافُونَ عَلَيْهِ»[3].

وروى البيهقي في «الشعب»، وابن عساكر في «تاريخه» عن حذيفة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعالَى لَيَتَعاهَدُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِالبَلاءِ كَما يَتَعاهَدُ الوالِدُ وَلَدَهُ بِالْخَيْرِ، وَإِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيا كَما يَحْمِي الْمَرِيضَ أَهْلُهُ الطَعامَ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٧)، والبخاري (٥٣٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٦) وقال: حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٦٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه.
والحاكم في «المستدرك» (٧٤٦٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٨٨).

وروى الحاكم في «الكنى» عن أبي فاطمة الضمري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَيَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ وَما يَبْتَلِيهِ إِلاَّ لِكَرامَتِهِ عَلَيْهِ»[1].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧].

قال الحسن: أكذبتهما جميعاً.

ثم قال: ما بِالغِنَى أكرمك، ولا بالفقر أهانك. رواه ابن أبي حاتم[2].

وقلت: [من السريع]

كَرامَةُ الصَّالِحِ أَنْ يُبْتَلَى ... فِي أَكْثَرِ الأَحْوالِ كَيْ يَضْرَعا
وَيُمْنَعَ الدُّنْيا وَلَذَّاتِها ... خَشْيَةَ أَنْ يَمْرَحَ أَوْ يَرْتَعا
تَعاهَدَ اللهُ تَعالَى لِمَنْ ... يُحِبُّهُ يُوْجِبُ أَنْ يُرْفَعا
فَإِنْ تَجِدْ [أَنَّ بَلاءً نَزلْ][3] ... فِيكَ فَلا تَسْخَطْ وَلا تَجْزَعا
وَاخْشَعْ لِمَوْلاكَ إِذْ مَسَّكَ الضُّـ ... ـرُّ فَإِنَّ القَصْدَ أَنْ تَخْشَعا

---

(١) ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٥٠٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٢٢٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٢٨).

(٣) ما بين معكوفتين غير واضح في «أ» و«ت».

وروى البيهقي في «الشعب» عن عكرمة بن خالد قال: كان رجل يتعبد، فجاءه شيطان يفتنه، فازداد عبادة، فتمثل له برجل، فقال له: أصحبك؟

فقال: نعم.

فصحبه، فكان العابد يتخلف عنه ويطيف، فأنزل الله تعالى ملكاً، فلما رآه الشيطان عرفه ولم يعرفه الإنسان، فكان إذا مشى تخلف الشيطان، فمدَّ الملك يده نحو الشيطان فقتله، فقال الرجل: ما رأيت كاليوم! قتلته وهو من حاله ومن حاله؟

ثم انطلقا حتى نزلا قرية، فأنزلوهما وضيفوهما، فأخذ الملك منهم إناء من فضة، ثم انطلقا فنزلا في قرية أخرى، فزجروهما ولم يضيفوهما، فأعطاهم الملك الإناء.

فقال له: أما من أضافنا فأخذت إناءهم، ومن لم يضفنا أعطيته الإناء؟ فلن تصحبني!

قال: أما الذي قتلت فإنه شيطان أراد أن يفتنك، وأما الذي أخذت منهم الإناء فإنهم قوم صالحون فلم يكن ينبغي لهم، وكان هؤلاء قوماً فاسقين فكانوا أحق به.

ثم عرج إلى السماء والرجل ينظر إليه[1].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٥٣).

* **فائِدَةٌ سابِعَةٌ:**

قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: مكتوب في التوراة: علامة الرجل الصالح أن يخاصمه قومه؛ الأقربُ فالأقرب[1].

قلت: وذلك لأن الرجل الصالح من شأنه إذا تكمل أن يفيض من كماله على غيره، ثم من شأنه الابتداء بالدعوة إلى الله تعالى وإلى سبيله بأهله وقومه، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤].

وكما يقال: الأقربون أولى بالمعروف.

وأفضل الصدقةِ الصدقةُ على الأقارب، والعلم والهداية والإصلاح من أفضل الصدقات.

ثم إن الحق ثقيل، فإذا ألقاه الصالح على أقربائه وهم لا يرون له فضلاً عليهم، بل يرون أنفسهم أمثاله، ويعتبرون تسوية النسب بينهم، فإذا ألقاه إليهم عاداه الأقرب فالأقرب منهم، وكذَّبوه على ترتيب دعوته لهم إلا من وفقه الله تعالى منهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾[الأنعام: ٦٦].

وفي «صحيح البخاري»، وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين؛ خرج النبي ﷺ حتى صعِد على الصفا، فهتف: «يا صَباحاه!».

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ٦٠).

فقالوا: من هذا الذي يهتف؟

قالـوا: محمـد ﷺ، فاجتمعوا إليه، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»

قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً.

قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ».

فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم؛ ألهذا جمعتنا؟

فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد: ١][1].

وروى أبو بكر بن مردويه، وأبو القاسم بن عساكر عن عبد الواحد الدمشقي قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه يحدث الناس ويفتيهم، وولده وأهل بيته جلوسٌ في جانب يتحدثون، فقيل له: يا أبا الدرداء! ما بال الناس يرغبـون فيما عنـدك من العلم، وأهل بيتك جلوس لاهين؟

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الأَنْبِـياءِ وَأَشَدَّهُمْ عَلَيهِمُ الأَقْرَبُونَ».

وذلك فيما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] إلى آخر الآية.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٢٠٨).

ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي العالِمِ أَهْلُهُ حَتَّى يُفارِقَهُمْ، وَإِنَّهُ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ دارِهِ وَجِيرانِهِ»[1].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن أبي الدرداء، وابن عدي في «الكامل» عن جابر رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي العالِمِ أَهْلُهُ وَجِيرانُهُ»[2].

وروى البيهقي في «الدلائل» عن كعب: أنه قال لأبي مسلم؛ يعني: الخولاني: كيف تجد قومك لك؟

قال: مكرمين مطيعين.

قال: ما صدقتني التوراة إذن؛ ما كان حكيم في قوم إلا بَغَوا عليه وحسدوه[3].

وروى ابن عساكر عن محمد بن جُحادة: أن كعباً لقي أبا مسلم الخولاني، فقال: كيف كرامتك على قومك؟

قال: إني عليهم كريم.

قال: إني أجد في التوراة غير ما تقول.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٩١)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣٢٩).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٦٧) مرفوعاً وموقوفاً عن جابر ﷺ، وقال: الموقوف أصح.

(٣) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣٩٥).

قال: وما هو؟

قال: وجدت في التوراة: أنه لم يكن حكيم في قوم إلا كان أزهدهم فيه قومه، ثم الأقرب فالأقرب، وإن كان في حَسَبِـه شيء عيروه به، وإن كان عمل برهة من دهره ذنباً عيروه به[1].

وروى أبـو نعيم عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى: أن كعب الأحبار قال له: كيف تجد قومك فيك يا أبا مسلم؟

فقال: أجدهم يا أبا إسحاق يُجِلُّوني ويكرموني.

فقال له كعب: ما هكذا تقول التوراة يا أبا مسلم.

قال أبو مسلم: فكيف تقول التوراة يا أبا إسحاق؟

فقال كعب: تقول: إن أعدى الناس للرجل الصالح قومُه، يخاصمه الأقرب فالأقرب.

قال أبو مسلم: وصدقت التوراة[2].

*** فائِدَةٌ ثامِنَـةٌ:**

نقل حجـة الإسلام في «الإحياء» عن بعضهم قال: إذا أبغض الله عبداً أعطاه الله ثلاثاً، ومنعه ثلاثاً:

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٢٨).

أعطاه صحبة الصالحين، ومنعه القبول منهم.

وأعطاه الأعمال الصالحة، ومنعه الإخلاص فيها.

وأعطاه الحكمة، ومنعه الصدق فيها[1].

ونقل السلمي في «الحقائق» عن أبي عثمان رحمه الله تعالى أنه قال: علامة قسوة القلب أن لا تعمل فيه الموعظة، ولا تؤثر فيه النصيحة، ولا تظهر فيه بركة مجالسة الصالحين[2].

وروي عن معروف الكرخي رحمه الله تعالى ورضي عنه قال: إذا أراد الله بعبد خيراً زوى عنه الخذلان، وأسكنه بين الفقراء الصادقين، وإذا أراد بعبد شراً عطله عن الأعمال الصالحة حتى تكون على قلبه أثقل من الجبال، وأسكنه بين الأغنياء[3].

* **فائِدَةٌ تاسِعَةٌ:**

ينبغي للعبد إذا قصرت همته عن مراتب الصالحين أن يحزن لذلك، ويؤفف على نفسه، ويعاتبها على التقصير عنهم، كما روى ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار قال: إذا ذكر الصالحون فأُفٍّ لي وتف[4].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٧٨)، وعزاه السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣٩٨) إلى أبي عبدالله النهرواني.

(٢) انظر: «تفسير السلمي» (٢/ ٣١٠).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ١٠٥).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٢٩).

وروى هو وأبو نعيم عن أيوب السختياني قال: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل[1].

وروى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي رحمه الله تعالى، فجعل سعيد يبكي حتى رحمته، فقلت: يا سعيد! ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وفعالهم؟

فقال: يا سفيان! وما يمنعني من البكاء؛ وإذا ذكرت مناقب أهل الخير كنت منهم بمعزل[2]؟

وروى ابن الجوزي عن أسود بن سالم: أن داود الطائي رحمه الله تعالى كان يقول: سبقني العابدون، وقُطِع بي دونهم؛ فيا لهفاه[3]!

وروى الدينوري عن عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى قال: سمعت محمد بن نصر الحارثي رحمه الله تعالى يقول: ثلاث كلمات نفعني الله بهن:

سمعته يقول: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٣٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٦).

(٢) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٨٣)، وكذا ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٣١).

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ١٣٨)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٦).

وسمعته يقول: لا يستقيم طلب الآخرة إلا بالمبادرة إليها.

وسمعته يقول: إنما تنتظرون ثلاثة، فما يحبسكم عن العمل؟ إما نعمة تزول، وإما مصيبة تنزل، وإما مَنِية تقضى[1].

وروى أبو نعيم عن محمد بن بشير الدعاء قال: ذكر عند مخلد بن الحسين رحمه الله تعالى من أخلاق الصالحين، فقال: [من الكامل]

لا تعرِضَنَّ بِذِكرِنا في ذِكْرِهِم
لَيسَ الصَّحِيحُ إذا مَشى كَالْمُقْعَدِ[2]

ويحتمل أن يكون قول مالك بن دينار: إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف، وقول أيوب وغيره: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل، وأمثال ذلك؛ أن يكون من باب الإزراء على النفس، كقول بعض المجتهدين في العبادة عند فراغه منها لنفسه: يا حاويَ كل سوء! ما رضيتك له طرفة عين.

وهذا خلق عظيم من أخلاق الصالحين.

ومن هذا القبيل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢].

وقول يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٦٦).

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٥٣].

وكذلك قوله ﷺ في حديث الصحيحين: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرافِي فِي أَمْـرِي، وَما أَنْـتَ أَعْلَمُ بِـهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»[1].

وأمثال ذلك كثيرة.

وقال الفضيل بن عياض: أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي ـ يعني: وادي مكة ـ وكان أمثل أهله يومئذ، فقلت له: إن كنت تظن أنه على وجه الأرض شر مني ومنك فبئسما تظن. رواه ابن الجوزي[2].

وفي «حلية أبي نعيم» عن محمد بن واسع رحمه الله تعالى: أنه نظر إلى ابن له يخطر بيده، فقال له: تعال! ويحك! تدري ابن من أنت؟ أمك اشتريتها بمئتي درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين ضَرْبه، أو نحوه[3].

وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمـه الله تعالى: أنـه كان يقول: والله الذي لا الله إلا هـو ما رأيـت نفساً تصلي إلى القبلة شراً عندي من نفسي[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٧١٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٠)، وكذا أبـو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠١).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٠).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤٤).

وإنما آثر الصالحون والعارفون الإزراء بالنفس، ودعوا إليه؛ خشيةً من الانخداع بصفة الصلاح والركون إليها، فيرائي الرجل ويطلب تعظيم نفسه من الناس، ونظرهم إليه؛ فيهلك.

كما روى ابن الجوزي عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: لو قيل لك: يا مرائي لغضبت، ولشق عليك، وتشكو فتقول: قال لي: يا مرائي، وعساه قال حقاً؛ من حبك للدنيا تزينت وتصنعت للدنيا.

ثم قال: اتق الله أن تكون مرائياً وأنت لا تشعر، تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل صالح، فأكرموك وقضوا لك الحوائج، ووسَّعوا لك المجالس؛ وإنما عرفوك بالله، ولولا ذلك لهُنت عليهم[1].

وروى ابن باكويه الشيرازي عن أبي عثمان النيسابوري قال: خرجنا جماعةً مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور، فجلسنا، فتكلم الشيخ علينا، وطابت أنفسنا، ثم بصرنا بِأَيلٍ قد نزل من الجبل حتى بَرَك بين يدي الشيخ، فأبكاه ذلك بكاءً شديداً، فلما هدأ الشيخ سألناه فقلنا له: يا أستاذ! تكلمت علينا وطابت قلوبنا، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك، فأحببنا أن نعرف فقه ذلك!

فقال: نعم؛ رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم، فوقع في

---

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٠)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٤).

قلبي: لو أن شاة ذبحتها ودعوتهم عليها، فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي، فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجري له النيل فأجراه له.

قلت: فما يؤمنني أن يكون الله يعطيني كل حظ في الدنيا، وأبقى في الآخرة فقيراً لا شيء لي؛ فهذا الذي أزعجني[1].

وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال: لو اجتمع الخلق جميعاً على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك[2].

وقد ضمَّنت كلامه في قولي: [من مجزوء الرمل]

قُـلْ لِنَفْـسِي: إِنْ تُراعِـي ... حَـقَّ رَبِّـي لَـنْ تُراعِـي

إِنَّمـا فَقْـرٌ وَضَـعْفٌ ... وَانْتِقـاصٌ مِـنْ طِبـاعِي

مَـنْ يَـضَعْ مِنِّـي وَيَجْهَـدْ ... لَـمْ يَـضَعْنِي كَاتِّـضاعِي

إِنَّ عِرْفـانِي بِنَفْـسِي ... قَـدْ كَفـانِي وَعْـظَ واعِ

إِنَّمـا الـدُّنْيا مَتـاعٌ ... لَـمْ يَـدُمْ فِيهـا انْتِفـاعِي

إِنَّمـا يُـسْعَى لِـدارٍ ... لَـمْ تَـضِعْ فِيهـا الْمَساعِي

دارُ تَكْـرِيْمٍ إِلَيْهـا ... قَـدْ دَعانـا كُـلُّ داعِـي

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٢١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٢٩).

* **فائِدَةٌ عاشِرَةٌ:**

ينبغي لك إذا لم تكن صالحاً ألا تقع في الصالحين؛ فإن ذلك هو السم القاتل.

وقد سبق أن غِيبتهم أشد من غيبة غيرهم، وليست أذيتهم كأذية غيرهم، ولا عداوتهم كعداوة غيرهم؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «يَقُولُ اللهُ تَعالَى: مَنْ عادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»[1].

وفي رواية: «مَنْ آذَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»[2].

والصالحون هم الأولياء كما سيأتي.

وروى البيهقي عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً، ويقعَ في الصالحين[3].

قلت: فإنه جمع شرين: فسادَه، والوقيعةَ في أهل الصلاح.

ومن لطائف أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى: ما رواه أبو نعيم عن أبي أحمد بن الحواري قال: قلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي.

قال: ولا على قلبي، ولكن لعلنا أُتِينا من قلبي وقلبك، فليس فينا

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٨٠).

خير، وليس نحب الصالحين[1].

فانظر كيف رد أبو سليمان السبب في ذلك إلى نفسه وإلى صاحبه تهذيباً وتأديباً، واتهاماً للنفس، ولم يحكم على ذَيِنكَ بأن السبب من قِبَلِهما؛ أين هذا ممن يقع في الصالحين، وكيف ممن يؤذيهم؟ وقد سبق التحذير من أذيتهم.

وذكر ابن خلكان في «تاريخه»: أن مرض الحَجَّاج الذي مات فيه كان بالآكلة؛ وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليها، فأخذ لحماً وعلقه في خيط، وسرَّحه في حلقه، وتركه ساعة، ثم أخرجه وقد لصق به دُودٌ كثير.

قال: وسلط الله عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءةً ناراً، وتدنى منه حتى تحرِق جلدَه وهو لا يحس بها.

قال: وشكا ما يجده إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى، فقال له: قد نهيتك أن تتعرض للصالحين فلججت.

فقال له: يا حسن! لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني، ولكني أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي، ولا يطيل عذابي.

فبكى الحسن بكاءً شديداً، وأقام الحَجَّاج على هذه الحالة [بهذه العلة] خمسة عشر يوماً، ومات[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٢).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٥٣).

ويرحم الله جدي الشيخ رضي الدين القائل: [من الرجز]

مَـنْ بـارَزَ الرِّجـالَ بِـالأَذَى وَلَـمْ ... يَخْـشَ وَلَـمْ يَخَـفْ عِقـابَ رَبِّـه

وَيْـلٌ لَـهُ دُنْيـاً وَأُخْـرى كَيْـفَ لا ... وَاللهُ قَـدْ آذَنَـهُ بِحَرْبِـهِ

* **فائِدَةٌ حادِيَةَ عَشْرَةَ:**

روى أبو الشيخ بن حيان في «العظمة» عن معاذ بن جبل، والعِرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً نِصْفُـهُ مِنَ النَّارِ[1] وَنِصْفُـهُ مِنَ الثَّلْجِ يَقولُ: [اللَّهُمَّ] كَما أَلَّفْتَ بَينَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ، كَذَلِكَ أَلِّفْ بَينَ قُلوبِ عِبادِكَ الصَّالِحينَ»[2].

وهذا الحديث دليل واضح على أن ائتلاف العبد بالصالحين دليل على أنه منهم، وقد تقدم في صدر الكتاب ما يؤيد ذلك.

ومن ثم ينبغي للعبد إذا لم ير نفسه تألَفُ الصالحين، ولا يألفونه أن يحزن لذلك، ويبكي على نفسه؛ إلا أن يكون ممن شغله الأنس بالله عن الأنس بعباده، كما روى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن أبي بكر

---

(١) في «العظمة»: «النور» بدل «النار».

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٩). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٦٨): ضعيف.

الهلالي قال: كنت أتمنى على الله تعالى أن يريني أبا العباس الخضر عليه السلام، فلما كان بعد مدة إذا أنا بالباب يدق علي، فقلت: من هذا؟

فقال: أنا الذي تتمنى على الله، أنا الخضر.

فقلت له: الذي طلبناك له قد وجدناه، ارجع إلى حال سبيلك[1].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن عمر بن سنان المنبجي قال: اجتاز بنا إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى، فقلت له: حدثني بأعجب ما رأيت في أسفارك.

فقال: لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصحبة، فخشيت أن يفسد علي سر توكلي بسكوني إليه، ففارقته[2].

وكذلك إذا لم يألف قلبه مَنْ شِيمتُهُ الصلاحُ ينبغي له أن يرجع باللائمة على نفسه، ويتهمها، ولا يقع في ذلك الذي لم يألفه قلبه كما تقدم قريباً عن أبي سليمان؛ لأن ذلك أسلم لدينه خشية أن يكون ممن أبغض الصالحين، أو غض منهم؛ والعياذ بالله!

وما أحسن قولَ جدي رضي الله تعالى عنه: [من مجزوء الكامل]

مَا نَقَصَ الكُمَّلَ إِلاَّ	نَاقِصٌ أَوْ ذُو حَسَدْ
وَلا رَمَى الصَّالِحَ بِالْـ	ـفَسادِ إِلاَّ مَنْ فَسَدْ

---

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٠٣).

* فائِدَةٌ ثانِيَةَ عَشْرَةَ:

قرأت بخط شيخ الإسلام قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى ما نصه: قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: أربعة أشياء تزيد في الجماع: أكل العصافير، وأكل الإطريفل[1] الأكبر، وأكل الفستق، وأكل الجزر[2].

وأربعة أشياء تزيد في العقل: ترك الفضول من الكلام، والسواك، ومجالسة الصالحين، والعمل بالعلم.

وأربعة أشياء تقوي البدن: أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع، ولبس الكتان.

وأربعة أشياء توهن البدن: كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحموضة.

وهذا منقول في «الإحياء» عن الشافعي رضي الله تعالى عنه، وفيه تقديم وتأخير.

وزاد: وأربعة تقوي البصر: الجلوس حيال الكعبة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس.

وأربعة توهن البصر: النظر إلى القذر، والنظر إلى المصلوب،

---

(١) في «أ»: «الإطرنفل» بدل «الإطريفل».

(٢) في «إحياء علوم الدين»: «الجرجير».

والنظر إلى فرج المرأة، والقعود في استدبار القبلة[1].

وروى ابن باكويه الشيرازي عن أبي الخير الأقطع رضي الله تعالى عنه قال: ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين[2].

وروى السلمي، وأبو نعيم، والقشيري رحمهم الله تعالى عن إبراهيم الخواص رحمه الله قال: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين[3].

ورواه ابن الجوزي من طريق ابن باكويه من قول يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى[4].

وروى أبو نعيم عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى قال: بصحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموع في القرين الصالح؛ إن نسيت ذكَّرك، وإن ذكرتَ أعانك[5].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٢٠).

(٢) ورواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٨٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧٨).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٧)، والقشيري في «رسالته» (ص: ٦٥).

(٤) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٩٢).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٩).

وقلت: [من الرجز]

القَلْبُ وَالعَقْلُ جَمِيعاً صَلُحا
مِنكَ إذا صَحِبْتَ أَنتَ الصُّلَحا

وَطابَتِ الْحَياةُ فِي صُحْبَتِهِم
وَحالُ مَنْ إِلَى حِماهُم جَنَحا

* فائِدَةٌ ثَالِثَةَ عَشْرَةَ:

قال مجاهد رحمه الله تعالى: لو لم يكن في الأخ الصالح إلا أن حياءك منه يمنعك عن معصية الله تعالى كفاك.

قلت: ولقد كان هذا مستقراً في نفوس العقلاء أن العاقل إذا أراد أن يعصي استحيى من صالحي قومه وأهله استحياءً يمنعه من المعصية.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيِ مِنَ اللهِ اسْتِحْياءَكَ مِنْ رَجُلَينِ صالِحَينِ مِنْ عَشِيرَتِكَ»، كما تقدم[1].

وأما الآن فقد قل الحياء، وقل من يُستحى منه.

وفي «معجم الطبراني الكبير» ـ وإسناده حسن كما قال المنذري ـ عن عبدالله بن بُسر رضي الله تعالى عنه قال: لقد سمعت حديثاً منذ زمان: «إذا كُنتَ فِي قَوْمٍ ـ عِشرِينَ رَجلاً أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ـ فَتَصَفَّحْتَ وُجُوهَهُمْ،

(١) وتقدم تخريجه.

فَلَمْ تَرَ فِيهِمْ رَجُلاً يُهابُ، فَاعْلَمْ أَنَّ الأَمْرَ قَدْ رَقَّ»[1].

ولقد قلت: [من الرمل]

رَقَّ أَمْــرُ الــدِّينِ لَمَّــا لَــمْ يَكُــنْ

فِــي عَــشِيرٍ واحِــدٌ مِــنْهُمْ يُهــابْ

أَيْــنَ مَــنْ يَــسْتَحِي أَوْ [مَــنْ] يُــسْتَحَى

مِنْــهُ فَــلا يَحْــصُلُ مــا كــانَ يُعــاب

مُنْكَـــرُ الأُمَّـــةِ مَعْـــروفٌ كَمــا

عُــدَّ مــا كــانَ خِطــاءً فِــي الــصَّواب

* فائِدَةٌ رابِـعَةَ عَشْرَةَ:

قال ابن عطية في «تفسيره»: حدثني أبي: أنه سمع أبا الفضل الجوهري في سنة سبع[2] وستين وأربع مئة يقول: إن مَنْ أَحَبَّ أهـلَ الخير نال من بركتهم؛ كلبٌ أحـب أهل فضل وصحبهم ذكرَه الله تعالى معهم في القرآن[3]؛ يعني: كلب أصحاب الكهف.

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٦): رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد جيد.

(٢) في «المحرر الوجيز»: «تسع».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٠٤).

قلت: ويدخل معهم الجنة كما قال خالد بن معدان: ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أهل الكهف، وناقة صالح، وحمار العزير. نقله الدميري في «حياة الحيوان»، والسيوطي في «ديوان الحيوان»[1].

قلت: والثلاثة أيضاً مذكورات في القرآن، والحكمة في ذلك أن كل واحد منها كان آية عظيمة.

وروى ابن المنذر عن ابن جريج رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[الكهف: ١٨]؛ قال: يمسك عليهم باب الكهف[2]؛ أي: ليحرسهم مما يؤذيهم، أو تنتهك حرمتهم.

وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن حميد المكي رحمه الله: أنه قال في كلب أصحاب الكهف: جعل رزقه في لحس ذراعيه[3].

فهاتان خارقتان لهذا الكلب.

قال: وكان اسمه: قطميراً؛ قاله الحسن.

أو: قطموراً؛ قاله مجاهد.

ورواهما ابن أبي حاتم، والأول أشهر[4].

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٧٤)، ورواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٢١٤).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٧٣).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٧٣).

واعتاد التجار أن يكتبوه على أحمالهم في الأسفار لتحفظ، يتبركون باسمه، ولم أجد لهذا أصلاً، لكنهم لم يفعلوه إلا بإلهام الله تعالى[1]، فهي فضيلة أخرى لهذا الكلب، وكل ذلك بسبب نسبته إلى قوم صالحين.

وفي «معجم الطبراني الأوسط» ـ بسند صحيح ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[الكهف: ٢٢]؛ يعني: أصحاب الكهف.

قال: أنا من أولئك القليل: مكسلمينا، ويملخاء؛ وهو المبعوث بالورِق إلى المدينة، ومَرطولس[2]، وبثيونس، ودرْدُونِس، وكفاشْطَيطوس، ومَنطُواسَبيُوس؛ وهو الراعي، والكلب اسمه قطمير، دون الكردي وفوق القبطي[3].

---

(١) **قلت**: لو وقف المؤلف عند قوله: «ولم أجد لهذا أصلاً» لكان حسناً، وأما التماسه العذر لفعلهم ذلك بالإلهام من الله تعالى، فليس من شأن أهل العلم وتحقيقهم، والله أعلم.

(٢) في «أ»: «مرطونس» بدل «مرطولس».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١١٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): فيه يحيى بن أبي روق، وهو ضعيف.
وقال العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٢٢): أما الكلام الأول: «أنا من أولئك القليل» فصحيح عن ابن عباس، وأسماؤهم هذه فليست بمحفوظة عن ابن عباس.

قال أبو شبيل[1]: بلغني أنه من كتب هذه الأسماء في شيء - يعني: أسماء أهل أصحاب الكهف واسم كلبهم - وطرحه في حريق، سكن الحريق[2].

قلت: وهذه فضيلة أخرى لهذا الكلب بسبب عشرة الصالحين، وهي أنه ضم اسمه إلى أسمائهم في هذه الخصوصية العظيمة.

* **فائِدَةٌ خامِسَةَ عَشْرَةَ:**

روى الإمام أحمد، والبخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَما أَيُّوبُ عَلَيهِ السَّلامُ يَغْتَسِلُ عُرْياناً خَرَّ عَلَيهِ رِجْلُ[3] جَرادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحثِي فِي ثَوبِهِ، فَناداهُ اللهُ تَعالَى: أَلَمْ أَكُ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرى؟ قالَ: بَلى يا رَبِّ! وَلَكِنْ لا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»[4].

وصحح الحاكم من حديثه عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا عافَى اللهُ أَيُّوبَ أَمْطَرَ عَلَيهِ جَراداً مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي ثَوبِهِ، فَقِيلَ لَهُ: يا أَيُّوبُ أَما تَشْبَعُ؟ قالَ: وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؟»[5].

---

(١) في «أ» و«ت»: «أبو عبد الرحمن السلمي».

(٢) انظر: «المعجم الأوسط» للطبراني (٦١١٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٧٦).

(٣) جاء على هامش «أ»: «الرِجل - بالكسر -: الجراد الكثير».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٤)، والبخاري (٣٢١١).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١١٦)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٣٣).

وذكر الدميري: أن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال في هذا الحديث: نِعمَ المالُ الصالح مع العبد الصالح[1].

قلت: هو حديث أخرجه الإمام أحمد، والحاكم ـ وصححه ـ عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «نِعْمَ الْمالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[2].

وفيه دليل على أنه لا منافاة بين الصلاح والمال إذا كان مأخوذاً من حقه، موضوعاً في محله، وقد طلب سليمان بن داود عليهما السلام من الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فلما أوتيه طلب من الله تعالى أن يُوزِعه للشكر، ويدخله في الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

ولولا أن سليمان عليه السلام علم أن الملك وكثرة الأموال وعروض الدنيا لا يمنع من أن يكون الرجل صالحاً لم يسأل الله تعالى أن يدخله في الصالحين؛ بل الصالح الغني من أقوى الصلحاء لاستقامة قلبه مع الغنى على تقوى الله تعالى.

ولقد قال بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ابتلينا بفتنة الضراء

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (ص: ٢٧٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٧)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٣٢١٠).

فصبرنا، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر[1].

وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله تعالى قال: قلت لأبي سليمان رحمه الله تعالى: كان عثمان بن عفان، وعبد الرحمن ابن عوف موسرين.

قال: اسكت؛ إنما كان عثمان وعبد الرحمن خازنين من خزان الله في أرضه، ينفقان في وجوه الخير[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن يحيى بن أبي كثير قال: كان للنبي ﷺ من سعد بن عبادة كل يوم جفنة تدور معه حيثما دار من نسائه.

قال: وكان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مالاً؛ فَإِنَّهُ لا يُصْلِحُ الفِعالَ إلاَّ الْمالُ[3].

قلت: وينبغي للغني إذا أراد أن يكون من الصالحين أن يقتدي بالأغنياء الصالحين كسليمان، ويوسف عليهما السلام، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما؛ فإن سليمان عليه السلام كان يطبخ في مطبخه جِفان الطعام الطيِّب، فإذا أفطر على خبز

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٤) وحسنه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٢).

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦١٨).

الشعير وجريش الملح[1].

وكان يوسف عليه السلام يجوع وبيده خزائن الأرض، فيقال له في ذلك، فيقول: أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين[2].

وكان عثمان ﷺ يطعم الناس طعام الإمارة، ويفطر على خبز الشعير والخل والزيت، واشترى بئر رومة بعشرين ألفاً، وحمل جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً، وتصدق بالألوف[3].

قال عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنه: كنت مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة، فجاء عثمان رضي الله تعالى عنه بألف دينار، فنثرها بين يدي رسول الله ﷺ، ثم ولى، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يقلب الدنانير، وهو يقول: «ما يَضُرُّ عُثمانَ ما فَعَلَ بَعدَ هَذا اليَومِ». رواه أبو نعيم، وغيره[4].

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه كثيرَ الصدقات؛ شاطرَ الفقراء على ماله مرات.

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (ص: ٩١) بمعناه.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٨) عن وهب بن منبه.

(٣) انظر: «فضائل عثمان» لعبدالله ابن الإمام أحمد (ص: ٥٧)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص: ١٥١).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥٩)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٦٣)، والترمذي (٣٧٠١) وحسنه.

قال المِسور بن مَخرمة رضي الله تعالى عنه: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال بين بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة رضي الله تعالى عنها بمال من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إلاَّ الصَّالِحُونَ»؛ سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة[1].

وقال أبو هريرة[2] رضي الله تعالى عنه: تصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه على عهد رسول الله بشطر ماله أربع مرات[3]، ثم تصدق بأربعين ألفاً[4]، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمس مئة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة[5].

وقال الحسن رحمه الله تعالى: باع طلحة أرضاً بسبع مئة ألف،

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «المسند» (١٧٥٥)، والآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٣٠٣)، وله شاهد عند الترمذي (٣٧٤٩) وصححه من حديث أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) في مصدر التخريج: «الزهري» بدل «أبي هريرة».

(٣) كذا في «ت» و«أ»: «أربع مرات»، وفي مصدر التخريج: «أربعة آلاف».

(٤) في «أ»: «ألف دينار» بدل «ألفاً».

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٥) كلاهما عن الزهري.

فبات ذلـك المال عنـده ليلة، فبات أرِقاً من مخافـة ذلـك المال، حتى أصبح ففَرَّقه[1].

وقالت سعدى بنت عوف امرأة طلحة رضي الله تعالى عنه وعنها: لقد تصدق طلحة يوماً بمئة ألف[2]، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه[3].

وقالت أيضاً: كانت غلة طلحة كل يوم ألفـاً وافيـاً، وكـان يسمى طلحة الفياض[4].

وقال سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: كان للزبير بن العوام ﷺ ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه شيء منه[5].

روى ذلك كله أبو نعيم.

وفي نفس الأمر ما كان غنى هؤلاء إلا حجـة على جميـع الأغنياء الذين لم ينفقوا أموالهم.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٩).

(٢) في «ت» و«أ»: «بألف».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٨)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٥٦١٥).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٩٠).

وروى أبو نعيم عن مجاهد قال: يؤتى بثلاثة نفر يوم القيامة؛ بالغني، والمريض، والعبد المملوك، فيقول سبحانه وتعالى للغني: ما منعك من عبادتي؟

فيقول: أكثرت لي من المال فطغيت.

فيؤتى بسليمان بن داود في ملكه، فيقال له: أنت كنت أشد شغلاً أم هذا؟

قال: بل هذا.

قال: فإن هذا لم يمنعه شغله عن عبادتي.

قال: ثم يؤتى بالمريض، فيقول: ما منعك من عبادتي؟

قال: رب أشغلت علي جسدي.

قال: فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضره؛ قال له: أنت كنت أشد ضراً أم هذا؟

قال: [فيقول: لا، بل هذا.

قال:] فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني.

قال: ثم يؤتى بالمملوك، فيقول: ما منعك من عبادتي؟

فيقول: رب! فضلت علي أرباباً يملكوني.

فيؤتى بيوسف الصديق عليه السلام في عبوديته، فيقال: أنت أشد عبودية أم هذا؟

قال: بل هذا.

قال: فإن هذا لم يشغله شيء عن عبادتي[1].

قلت: وفي قوله في يوسف: لم يشغله شيء عن عبادتي، ولم يقل: لم تشغله العبودية إشارةٌ لطيفة؛ فإن يوسف ابتلي بالضراء، فألقي في الجُبِّ، واستُرِقَّ، وبيع بثمن بخس، وامتحن بامرأة العزيز، وبالنسوة، وبالتهمة، وبالسجن سنين، ثم ابتلي بالسراء، فاحتاج إليه الملك في تأويل الرؤيا، وطُلب إليها فتعزز حتى استنصف، ثم ملك خزائن الأرض، ثم تزوج امرأة العزيز، ثم جمع بينه وبين أبيه وإخوته، فلم يمنعه شيء من ذلك من عبادة ربه.

ثم إن للأثر[2] عن مجاهد حكم المرفوع؛ لأن مثل ذلك لا يقال رأياً.

وقد رواه الإمام أحمد في «الزهد» مفرقاً، ولفظه: «يُجاءُ يَومَ القِيامَةِ بِثَلاثَةٍ: الغَنِيِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالْمَرِيضِ، فَيُؤْتَى بِالغَنِيِّ فَيَقولُ: ما مَنَعَكَ أَنْ تَكونَ عَبداً تَقِيّاً؟

فَيَقولُ: رَبِّ! كَثَّرْتَ لِي مِنَ الْمالِ، فَيَذْكُرُ ما ابْتُلِيَ بِهِ.

قالَ: فَيُجاءُ بِسُلَيمانَ بْنِ داوُدَ عَلَيْهِما السَّلامُ فِي مُلْكِهِ، فَيُقالُ: كُنتَ[3] أَغْنَى أَمْ هَذا؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٨).

(٢) في «أ» و«ت»: «الأثر».

(٣) في «أ»: «أكنت».

فَيَقولُ: بَلْ هَذا.

قالَ: فَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي»[1].

فالمال إذا مالَ بصاحبه عن التقوى كان وبالاً عليه في الآخرة، وأقيمت عليه الحجة يوم القيامة بصالحي الأغنياء، وإن استقام صاحبه ولم يمل معه كان زيادة في مقام صاحبه.

على أن الاستقامة مع الغنى[2] أمر عزيز، ومن ثم قال عيسى بن مريم عليهما السلام: بحق أقول لكم: إن أكناف السماء لخالية من الأغنياء؛ أي: من ذكرهم، ومن ذكر أعمالهم.

قال: ولَدخول جَملٍ في سَمِّ الخياط أيسر من دخول غني الجنة. رواه الإمام أحمد في «الزهد»[3].

وروى ابنه في «زوائده» عن وهب أيضاً قال: مر رجل عابد على رجل عابد، فقال: ما لك؟

قال: أعجب من فلان؛ إنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا!

فقال: لا تعجب ممن تميل به، ولكن اعجب ممن استقام[4].

وقال رسول الله ﷺ: «ما ذِئْبانِ جائِعانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَها مِنْ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦٦١).

(٢) «الغنى» غير واضح في «أ» و«ت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٢) عن وهب بن منبه.

(٤) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٢).

حِرصِ الْمَرْءِ عَلى الْمالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه[1].

وأخرجه الخطيب في «تالي التلخيص» من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «ما ذِئْبانِ ضارِيانِ فِي زَرِيبةٍ بِأَسْرَعَ فِيها فَساداً مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمالِ فِي دِينِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ»[2].

فكما أن النبي ﷺ مدح المال الصالح للرجل الصالح؛ بين ما يخشى على الرجل الصالح من المال والشرف، ومن ثم لا يجوز إطلاق مدح المال ولا إطلاق ذمه، بل يعود ذلك إلى ما يؤول أمره إليه من النفع والضرر، أو باعتبار التصرف فيه إحساناً وإساءةً في الكسب والصرف.

* **فائِدَةٌ سادِسَةَ عَشْرَةَ:**

العبد الصالح أيُّ حاليه كان عليه من فقر أو غناء، أو شدة أو رخاء، أو مرض أو صحة، إلى غير ذلك؛ فإن حاله ذلك هو الذي يتم به صلاحه لأنه في كل حال يتأسى فيه بما أرشد إليه فيه من شكر أو صبر، ومن ثم لا يكون الصالح على حال إلا والأكمل في حقه أن لا يتمنى غيره؛ فإن الخيرة ليست له، بل لله تعالى فيه، فالاختيار أن يختار

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٦)، والترمذي (٢٣٧٦) وصححه، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٣٢٢٨).

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٣٣٨)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٤٤٩).

ما قضاه الواحد القهار، الكريم الغفار.

وقد روى ابن أبي الدنيا في «كتاب الأولياء»، والحكيم الترمذي، وأبو نعيم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله ﷻ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعالَى: مَنْ أَهانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بارَزَنِي بِالْمُحارَبَةِ، وَإِنِّي لأَغْضَبُ لأَوْلِيائِي كَما يَغْضَبُ اللَّيْثُ الْحَرِبُ.

وَما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ أَداءِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَما يَزالُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً، وَيَداً وَمُؤَيِّداً؛ إِنْ دَعانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ.

وَما تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَساءَتَهُ، وَلا بُدَّ لَهُ مِنْهُ.

وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَسْأَلُنِي البابَ مِنَ العِبادَةِ فَأَكُفُّهُ عَنْهُ أَنْ لا يَدْخُلَ عَلَيْهِ عُجْبٌ فَيُفْسِدَهُ ذَلِكَ.

وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيْمانَهُ إِلاَّ الغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ.

وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصلِحُ إِيْمانَهُ إِلاَّ الفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ.

[وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيْمانَهُ إِلاَّ الصِّحَّةُ، وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ].

وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيْمانَـهُ[1] إلاَّ السَّـقَمُ، وَلَـوْ أَصْحَحْتُـهُ لأَفْسَـــدَهُ ذَلِـكَ؛ وَذَلِـكَ أَنِّـي أُدبِّرُ عِبــادِيَ بِعِـلْمِي بِقُلُوبِـهِم؛ إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ»[2].

وفي «حلية أبي نعيم» عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى: أنه قرأ في بعض الكتب: إن الله سبحانـه يقـول: يا ابن آدم! أطعني فيما أمرتك، ولا تعلمني بما يصلحك؛ إني عالم بخلقي[3].

واشتهر بلفظ: أطعني فيما أمرتك؛ فما أعلمني بما يصلحك.

*** فائِدَةٌ سابِـعَةَ عَشْرَةَ:**

قد علم من قول الله تعالى في حديـث أنـس رضي الله تعالى عنـه المذكور آنفاً: «إِنِّي أُدبِّرُ عِبادِيَ بِعِلْمِي بِقُلُوبِـهِم» أن العبرة بصلاح القلب، ومن ثم قال: «وَإِنَّ مِنْ عِبادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيْمانَهُ إِلاَّ كَذا».

والإيمان محله القلب؛ فصلاحه وفساده في القلب.

---

(١) في «ت» و«أ»: «لا يصلحه».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٩)، والحكيم الترمـذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٨)، والبيهقي في «الأسمـاء والصفـات» (١/ ٢٤٧)، وابن عساكـر في «تاريـخ دمشـق» (٧/ ٩٦) مع بعض الاختلاف في الألفـاظ والتقـديم والتأخيـر والتطويـل والاختصار بين الروايات. وضعـف إسناده ابن رجـب الحنبلي في «جامـع العلوم والحكم» (ص: ٣٥٩).

(٣) رواه أبو نعيم في «حيلة الأولياء» (٤/ ٢٧).

ولقد تقدم قوله ﷺ: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، مَتى صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَمَتَى فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ».

وقوله ﷺ: «مَنْ كانَ لَهُ قَلبٌ صالِحٌ تَحَنَّنَ اللهُ عَلَيْهِ». رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[1].

وروى فيه عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى قال: قال عيسى عليه السلام: بالقلوب الصالحة يعمر الله الأرض، وبها يخرب الأرض إذا كانت غير ذلك؛ أي: غير صالحة[2].

والمراد بالقلوب الصالحة أن تصلح لله تعالى، ولذكره وحبه، وإرادة وجهه بكل عمل صالح، وإذا كان القلب كذلك صلحت الجوارح، وظهرت الخدمة عليها والطاعة، واستكمل العبد الصلاح.

ولسمنون المحب ـ وأجاد فيما شاد رحمه الله تعالى ـ: [من الطويل]

وَكانَ فُؤادِي خالِياً قَبْلَ حُبِّكُمْ
وَكانَ بِذِكْرِ الْخَلْقِ يَلْهُو وَيَمْرَحُ

فَلَمَّا دَعا قَلْبِي هَواكَ أَجابَهُ
فَلَسْتُ أُراهُ عَنْ فِنائِكَ يَبْرَحُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٥٦).

رُمِيـتُ بِبَـيْنٍ مِنْـكَ إِنْ كُنْـتُ كاذِبـاً
وَإِنْ كُنْـتُ فِـي الـدُّنْيا بِغَيْـرِكَ أَفْـرَحُ

وَإِنْ كـانَ شَـيْءٌ فِـي البـِلادِ بِأَسْـرِها
إِذا غِبْـتَ عَـنْ عَيْنِـي لِعَيْنِـيَ يَمْلُـحُ

فَإِنْ شِئْتَ واصِلْنِي وَإِنْ شِـئْتَ لا تَـصِلْ
فَلَـسْتُ أَرى قَلْبِـي لِغَيْـرِكَ يَـصْلُحُ(١)

* تَنبِيهٌ:

قال ولـي الله تعـالى الشيخ أرسـلان الدمشقي في «رسالتـه»: ما صلحْتَ لنا ما دام فيك بقية لسوانا، فإذا حَوَّلْتَ السوى عنك أفنيناك عنك، فصلحْتَ لنا، فأودعناك سرَّنا.

أشار بذلك إلى مقام الإخلاص بقوله: ما صلحت لنا؛ أي: ما صلح قلبك لنا.

ما دام فيك بقية لسوانا؛ أي: ما دام لك في عمل من أعمالك بقية لسوانا؛ من إرادة مَحمدة عليه، أو نظر إليه، أو غير ذلك من أنواع الرياء؛ فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه، وفي الحديث: «يَقُولُ اللهُ تَعالَى: أَنا أَغْنَى الأَغْنِياءِ عَنِ الشِّرْكِ»(٢).

---

(١) انظر: «عقلاء المجانين» لأبي القاسم النيسابوري (ص: ٣٩)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥) بلفظ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك».

وليس المراد بكلام الشيخ أرسلان أن لا يكون في العبد حركة في شيء من المباحات؛ فإن الأنبياء فمن دونهم ليس لهم غنى عن ذلك.

وقد نَظَمْتُ «الرسالة الأرسلانية» في أرجوزة، وقلت في معنى هذا الكلام: [من الرجز]

مـا أَنْـتَ صـالِحٌ لَنـا مـا دامَ فِيـكْ
بَقِيَّـةٌ لِمَـنْ سِـوانا تَقْتَـضِيكْ

فَخَـلِّ عَـنِ الـسِّوى وَحَـوِّلْ عَنْكـا
نُفْسَـكَ عَنْـكَ نَنْتَقِـذْكَ مِنْكـا

فَعُـدْتَ صـالِحاً لَنـا فَنُوْدِعَـكْ
مِـنْ سِـرِّنا شَـيْئاً بِـهِ نُمَتِّعَـكْ

* **فائِدَةٌ ثامِنَةَ عَشْرَةَ:**

روى أبو نعيم عن وهب بن منبه قال: الويل لكم إذا سماكم الناس صالحين[1]!

قلت: وفي معناه وجوه:

أحدها: أن العبد إذا أثنى الناس عليه بالصلاح فقد يسكن لهذه التسمية، ويعتقد الكمال في نفسه والصلاح، وقد سبق أن من تمام الصلاح الإزراء على النفس، واعتقاد العيب فيها والنقص.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٩).

والثاني: أن يكتفي بهذه الشهرة، ويترك الاجتهاد في الطاعة، و[1]يسترسل في المعاصي؛ فيهلك.

والثالث: أن تحمله هذه التسمية والشهرة على تكليف الناس إكرامه وتعظيمه، والقيام بخدمته حتى كأنه يرى ذلك حقاً عليهم لازماً، فإن قصروا فيه مقتهم، وسبَّهم وطعن عليهم؛ وهذا هلاك أيضاً.

والرابع: أن يعجب بصلاحه، ويحتج على دعواه وعجبه به لهذه الشهرة، ويحتقر من هو دونه.

والخامس: أن يفتن بهذه الشهرة، فيقف عند حاله، ولا يفتش عن عيوب نفسه، ويغفل عن تهذيبها حتى يخرج عن سمت الصالحين.

ومن ثم كان بعض السلف إذا أثنى عليه الناس يقول: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، ولا تفتني بما يقولون، ولا تؤاخذني بما لا يعلمون[2].

وأجاد أبو العتاهية في قوله: [من الوافر]

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْراً وَإِنِّي ... لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي[3]

---

(١) في «أ»: «أو»، والمثبت من «ت».

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٠٣) عن عدي بن أرطأة، ولفظ البخاري: «كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون».

(٣) انظر: «الأغاني» للأصبهاني (٤/ ١١٥).

* **فائِدَةٌ تاسِعَةَ عَشْرَةَ:**

روى أبو نعيم عن سهل بن عبدالله التُّستَري رحمه الله تعالى قال: يظهر في الناس ـ يعني: آخر الزمان ـ أشياء؛ ينزع منهم الخشوع بتركهم الورع، ويذهب منهم العلم بإظهارهم الكلام، ويضيعون الفرائض باجتهادهم في النوافل، ويصير نقض العهود وتضييع الأمانة وارتفاعها من بينهم علماً، ويرفع من بين المنسوبين إلى الصلاح في آخر الزمان علم الخشية وعلم الورع وعلم المراقبة، فيكون بدل علم الخشية وساوس الدنيا، وبدل علم الورع وساوس العدو، وبدل علم المراقبة حديث النفس ووسواسها.

قيل: ولم ذلك يا أبا محمد؟

قال: يظهر في القراء دعوى التوكل والحب والمقامات؛ ترى أحدهم يصوم ويصلي عشرين سنة وهو يأكل الربا، ولا يحفظ لسانه من الغيبة، ولا عينه وجوارحه مما نهى الله عنه[1].

وكان السَّري السَّقَطي رحمه الله تعالى يبكي ويقول: قد توعَّرت طريق الصالحين، وقل فيها السالكون، وهجرت فيها الأعمال، وقل فيها الراغبون، ورفض الحق، ودرس هذا الأمر، فلا أراه إلا في لسان كل بطال، ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد افترش الرُّخَص، وتمهد

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٠٦).

التأويلات، واعتل بذلك العاصون[1].

ثم يقول: واغماه من فتنة العلماء! واكرباه من حيرة الأدلاء[2]!

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار: أنه سمع عبدالله بن غالب الحذاء يقول في دعائه: اللهم إني نشكو إليك سفه أحلامنا، ونقص علمنا، واقتراب آجالنا، وذهاب الصالحين منا[3].

وروى أبو نعيم عن عبد الرحمن بن الوليد قال: سمعت ابن حَلْبَس - يعني: يونس بن ميسرة بن حَلْبَس - ينشد هذا البيت عند الموت: [من الكامل]

ذَهَبَ الرِّجَالُ الصَّالِحُونَ وَأُخِّرَتْ

نَتَنُ الرِّجَالِ لِذا الزَّمَانِ الْمُنْتِنِ[4]

*** فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ عِشرينَ فائِدَةً:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى قال: قال الحواريون: يا مسيح الله! انظر إلى بيت الله ما أحسنه!

---

(١) كذا في «أ» و«ت»، وفي «صفة الصفوة»: «بزلل العاصين».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ١٠٨).

وهذا الخبر في «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٣٥٩) يرويه السري عن عابد.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٤٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٥١).

قال: آمين آمين، بحق أقول لكم: لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله، إن الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الحجارة شيئاً، إنما أحب إلى الله منها القلوب الصالحة؛ بها يعمر الله الأرض، وبها يخرب الأرض إذا كانت على غير ذلك[1].

وروى الطبراني، والبيهقي في «سننه» عن مَسافع الديلي[2] رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْلا عِبادٌ رُكَّعٌ، وَصِبْيَةٌ رُضَّعٌ، وَبَهائِمُ رُتَّعٌ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ العَذابُ صَبّاً، ثُمَّ رُصَّ رَصّاً»[3].

وروى ابن عدي في «كامله»، وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا أَرادَ اللهُ بِقَومٍ عاهَةً نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْمَساجِدِ فَصَرَفَهُ عَنْهُمْ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٤).

(٢) في «أ» و«ت»: «نافع الديلمي».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٧): فيه عبد الرحمن بن سعد بن عمار، وهو ضعيف.

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٣٣) ولفظه: «إذا أنزل الله ﷻ عاهة من السماء على الأرض، صرفت عن عمار المساجد». وقال: رواه زافر بن سليمان، ولا يتابع عليه.
وبلفظ الأصل ذكره ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٣٤١) وعزاه للدارقطني في «الأفراد».

وروى هو وابن جرير ـ بإسناد ضعيف ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِئَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرانِهِ البَلاءَ».

ثم قرأ ابن عمر: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة: ٢٥١][1].

وروى ابن جرير عن مجاهد: أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة: ٢٥١]؛ يقول: لولا دفاع الله بالبر عن الفاجر لفسدت الأرض بهلاك أهلها[2].

وعن أبي مسلم قال: سمعت علياً رضي الله تعالى عنه [يقول]: لولا بقية من المسلمين فيكم لهلكتم؛ أي: لولا بقية صالحة كاملة الإسلام باقية فيكم لهلكتم[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] إشارة إلى أن الفضل له سبحانه حيث وفق للناس من يصلح ليدفع بهم البلاء عنهم جميعاً؛ فهو الذي أصلح الصالحين وأصلح بهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٣٣)، والطبري في «التفسير» (٢/ ٦٣٣)، وكذا العقيلي في «الضعفاء» وقال: يحيى بن سعيد العطار منكر الحديث.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٦٣٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٦٣٣).

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠].

روى ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾[الحج: ٤٠]؛ قال: صلوات أهل الإسلام؛ تنقطع إذا دخل عليهم العدو، وتنقطع العبادة من المساجد[١].

قلت: وفي قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠ ـ ٤١] إشارة إلى أن الله تعالى إنما يدفع العدو عن المسلمين بمن ينصره، وهم الصالحون كما يدل عليه إبداله[٢] من قوله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠] قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾[الحج: ٤١] إلى آخره، وهذه صفة الصالحين، وبهم ينصر الله ويدفع.

وقد روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! الرجل يكون حامية القوم، أيكون سهمه وسهم غيره سواء؟

قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ابْنَ أُمِّ سَعْدٍ! وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٠)، ورواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ١٧٧).

(٢) غير واضحة في «أ»، و«ت».

إِلاَّ بِضُعَفائِكُمْ؟»[1].

وأخرجه البخاري عن مصعب بن سعد قال: رأى سعدٌ أن له فضلاً على من دونه من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفائِكُمْ؟»[2].

وأخرجه النسائي، وغيره، ولفظه: «إِنَّما تُنْصَرُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِضَعَفَتِها؛ بِدُعائِهِمْ، وَصَلاتِهِمْ، وَإِخْلاصِهِمْ»[3].

وروى أبو نعيم عن مخلد قال: كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى مع قتيبة بن مسلم في جيش، وكان صاحب خراسان، وكانت الترك خرجت إليهم، فبعث إلى المسجد ينظر من فيه، فقيل له: ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً أصبعه.

قال قتيبة: أصبعه تلك أحب إليَّ من ثلاثين ألف عِنان[4].

ولم تزل عقلاء السلاطين يستمدون النصر بدعاء الصالحين.

واشتهر أن السلطان نور الدين الشهيد كان يكرم العلماء والصلحاء والفقراء ويقدمهم، فقيل له: تكرم هؤلاء، وإذا قاتلك العدو كانوا في فرشهم؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٩).

(٣) رواه النسائي (٣١٧٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٣).

فقال: إنهم يقاتلون معنا بسهام نافذة وهم في فرشهم؛ يعني: الدعاء.

وما أحسن ما قيل: [من الوافر]

أَتَهْزَأُ بِالدُّعاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَما يُدْرِيكَ ما صَنَعَ الدُّعاءُ

سِهامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي وَلَكِنْ ... لَها أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انْقِضاءُ[1]

* تَنْبِيهٌ:

كما أن الله تعالى يحفظ الأرض من الفساد، ويغيث العباد ويرزقهم وينصرهم بالصالحين؛ كذلك تفسد الأرض وتخذل الخلق وتقحط بفساد المفسدين وإصرار المصرين.

قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: ٤١].

قال ابن عباس في تفسير الفساد في الآية: نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا[2].

وقال السدي في قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[الروم: ٤١]: بما عملوا من المعاصي[3]. رواه[4] ابن أبي حاتم.

---

(١) نسب البيتان للإمام الشافعي، كما في «ديوانه» (ص: ٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٩٦).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٩٧).

(٤) كذا في «أ»، و«ت»، ولعل الصواب: «رواهما».

قلت: لعل المراد في الآية: [إن شاء الله][1]: أن ظهور الفساد في البر والبحر بسبب ما كسبت أيدي الناس، فأذقناهم وبالَ بعض ما عملوه من المعاصي في جملة الناس لعلهم يرجعون عن العصيان، فلا يتعدى ضررهم من بعد ذلك إلى غيرهم.

وروى ابن أبي شيبة، وابن جرير عن الحسن في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: ٤١]: يرجع من بعدهم[2].

وإنما عبر بهم عن من بعدهم؛ لأن الناس من جنس واحد، وفي عقوبة بعض العاصين تأديب لهم وتهذيب لمن يرى عقوبتهم، أو يسمع بها مِن أهل زمانهم، أو من بعدهم.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩]: إن البهائم إذا اشتدت عليهم السنة قالت: هذا من أجل عصاة بني آدم؛ لعن الله عصاة بني آدم[3].

وقال عكرمة: يلعنهم كل شيء حتى الخنافس والعقارب؛ يقولون: مُنِعنا القطر بذنوب بني آدم. رواه ابن جرير[4].

---

(١) غير واضح في «أ»، و«ت».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٠٥)، والطبري في «التفسير» (٢١/ ٥٠).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (٢/ ٦٣٨)، والطبري في «التفسير» (٢/ ٥٤).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٥٥).

فتأمل فيما بين الصالحين والمفسدين من البون؛ هؤلاء يُنصر الناس بهم ويرزقون ويمطرون، وهؤلاء يُخذلون بهم ويقحطون ويهلكون، ولو لم يكن للصالحين إلا هذه الفضيلة، وللمفسدين إلا هذه الرذيلة، لكفى!

*** فائِدَةٌ حادِيَةٌ وعِشرونَ:**

روى مسلم، وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْقَطِعُ عَمَلُ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَوَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

ووردت أحاديث أخر في أشياء غير هذه الثلاث لا تنقطع أيضاً بعد الموت؛ نبهنا عليها في غير هذا الكتاب.

وقلت عاقداً لهذا الحديث: [من مجزوء الرجز]

قالَ النَّبِيُّ العَرَبِي	الْمُصْطَفى الْمُشَفَّعُ
عَلَيْهِ مَعْ صَلاتِنا	سَلامُنا الْمُضَوَّعُ
أَعْمالُنا بَعْدَ الْمَما	تِ كُلُّها تَنْقَطِعُ
إِلاَّ إذا كانَ لَنا	عِلْمٌ بِهِ يُنْتَفَعُ
أَوْ صالِحٌ مِنَ الذَّرا	ري بِالدُّعاءِ يَضْرَعُ
أَوْ صَدَقاتٌ بَعْدَنا	تَبْقَى لِمَنْ يَصْطَنِعُ

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

وروى الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها؛ زِيادَةُ الْعُمْرِ ذِرِّيَّةٌ صالِحَةٌ يُرْزَقُها العَبْدُ، يَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِه يَلْحَقُهُ دُعاؤُهُمْ»(1).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: يرفع المؤمن بعد موته درجة، فيقول: يا رب! أي شيء هذا؟

فيقول: ولدك استغفر لك(2).

ورواه ابن أبي شيبة مرفوعاً ـ بإسناد حسن ـ ولفظه: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُرْفَعُ لَهُ الدَرَجَةَ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ! أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفارِ وَلَدِكَ»(3).

* **فائِدَةٌ ثانِيَةٌ وَعِشرونَ:**

روى مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ [قال] وهو على المنبر: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمارَتِهِ ـ يريد أسامة بن زيد؛ أي:

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (3/ 127)، وكذا ابن حبان في «المجروحين» (1/ 331)، وفيه سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبدالله الجهني، وسليمان شيخ يروي بأشياء موضوعة، لا تشبه حديث الثقات، فلست أدري التخليط فيها منه، أو من مسلمة بن عبدالله.

(2) ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (36).

(3) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (12081)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (2/ 509)، وابن ماجه (3660). وصحح ابن كثير إسناده في «التفسير» (4/ 243).

وكان أمره على بعث فطعن الناس في إمرتـه كما في رواية أخرى ـ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمارَةِ أَبِـيهِ مِنْ قَبْلِهِ؛ وَايْمُ اللهِ! إِنْ كانَ لَخَلِيقاً لَها.

وَايْمُ اللهِ! إِنْ كانَ لأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ.

وَايْمُ اللهِ! إِنَّ هَذا لَخَلِيقٌ لَها؛ يريد أسامة.

وَايْمُ اللهِ! إِنْ كانَ لأَحَبَّهَمُ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوْصِيكُمْ بِـهِ؛ فَإِنَّـهُ مِنْ صالِحِيكُمْ»[1].

علل وصيتـه لهم فيـه لكونـه من صالحيهم، فـدل ذلك على أنـه يستوصى في الصالحين ما لا يستوصى في غيرهم؛ سواء في ذلك الأحرار منهم والأرقاء، وسواء في الأحرار ذوي الأنساب والموالي.

وفي الحديث دليل أيضاً على أنه يستحب للإمام ونحـوه إذا أمَّـر أحـداً على قوم أن يكون من أصلحهم للإمارة، و[2]أتقاهم لله تعالى، وأحبهم لله تعالى ورسوله.

* فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَعِشرونَ:

روى سعيد بن منصور في «سننه»، والخطيب البغدادي في «تاريخه»، والديلمي في «مسند الفردوس» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ وَزِيرٍ صالِحٍ مَـعَ إِمامٍ؛ يَأْمُرُهُ

---

(١) رواه مسلم (٢٤٢٦)، وأصله عند البخاري (٤٠٠٤).

(٢) في «أ»: «أو»، والمثبت من «ت».

بِذاتِ اللهِ فَيُطِيعُهُ»[1].

وروى أبو داود ـ بإسناد حسن ـ والبيهقي عنها رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ بالأَمِيرِ خَيْراً جعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعانَهُ.

وَإِذا أَرادَ غيرَ ذَلِكَ جعَلَ وَزِيرَ سوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»[2].

قلت: المراد بوزير الصدق: الوزير الصالح؛ لأن الصدق يهدي إلى سائر أعمال البر والصلاح.

وقوله: «إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ»؛ أي: ذكره بالله تعالى، وبأمره، وثوابه وعقابه، وجنته وناره.

وإن ذكر الله تعالى أعانه على طاعته سبحانه.

ومما يدل على استحباب طلب الوزير الصالح للذكر والتذكير قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٤].

قال عروة: سمعَتْ عائشة رضي الله تعالى عنها رجلاً يقول: إني

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٠٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٩٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١١). قال النووي في «رياض الصالحين» (ص: ١٤٤): إسناده جيد.

لا أدري أي أخ في الدنيا كان أنفعَ لأخيه من موسى حين سأل لأخيه النبوة؟

فقالت: صدق والله. رواه ابن أبي حاتم[1].

وفيه: أن الأخ الصالح مِن تَمام النِّعمة على أخيه كالوالد الصالح والولد الصالح.

أين موسى ونفعُه لأخيه عليه السلام من قابيلَ وإضراره بأخيه هابيلَ عليه السلام؟

فقابيل سلفُ كل أخ شقيٍّ فاسق، وموسى عليه السلام سلفُ كل أخ سعيد صالح.

وكذلك آزرُ سلفُ كل والد فاسق فاجر لولد صالح، ونوح عليه السلام سلفٌ لكل والد صالح لولد فاجر.

*** فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَعِشرونَ:**

روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر، وأبو نعيم؛ كلاهما في «فضل العلم» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي إِذا صَلُحوا صَلُحَ النَّاسُ؛ الأُمَراءُ وَالفُقَهاءُ»[2].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٦٧).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٨٤). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٣): رواه ابن عبد البر، وأبو نعيم بإسناد ضعيف.

ورواه أبو نعيم في «الحلية»، ولفظه: «إِذا صَلُحا صَلُحَ النَّاسُ وَإِذا فَسَدا فَسَدَ النَّاسُ؛ العُلَماءُ وَالأُمَراءُ»[1].

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الأَئِمَّةَ وَادْعُوا لَهُمْ بِالصَّلاحِ؛ فَإِنَّ صَلاحَهُمْ لَكُمْ صَلاحٌ»[2].

وروى أبو الشيخ في «العظمة»، وابن عدي في «الكامل»، وأبو نعيم في «الطب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «العَينانِ دَلِيلانِ، وَالأُذُنانِ قمعانِ، وَاللِّسانُ ترجُمانٌ، وَاليَدانِ جَناحانِ، وَالكَبِدُ رَحْمَةٌ، وَالطِّحالُ ضَحِكٌ، وَالرِّئَةُ نفَسٌ، وَالكِلْيَتانِ مَكْرٌ، وَالقَلْبُ مَلِكٌ؛ فَإِذا صَلُحَ الْمَلِكُ صَلُحَتْ رَعِيَّتُهُ، وَإِذا فَسَدَ الْمَلِكُ فَسَدَتْ رَعِيَّتُهُ»[3].

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٦).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٠٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤٩): رواه الطبراني عن شيخه الحسين بن محمد بن مصعب الاسناني، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(3) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢١٥) كلاهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ. وقال ابن عدي: تفرد به الحكم بن فضيل العبدي، وما تفرد به لا يتابعه عليه الثقات.
وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٤٧)، وكذا الطبراني في «مسند الشاميين» (٧٣٨) عن عائشة رضي الله عنها.

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله تعالى قال: الرعية تصلح بصلاح الوالي، وتفسد بفساده[1].

* **فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَعِشرُونَ:**

لما لعن الله تعالى علماء السوء استثنى منهم مَنْ راجع الصلاح والإصلاح فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

قال عطاء في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٦٠]؛ قال: ذلك كفارة له. رواه عبد بن حميد[2].

قلت: وإذا راجع العالم دينه، وصلح وأصلح، وبيَّن ما كتم؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، يساوي العلماء الصالحين فيما لهم؛ فإن الملائكة وسائر الخلق تستغفر لهم كما سيأتي.

فكان تسخيرُ اللهِ تعالى الخلق في الاستغفار للعلماء الصالحين كالمقابل لبعثهم على لعن العلماء بالسوء.

* **فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَعِشرُونَ:**

العلماء الصالحون أدلة الخلق وهداتهم؛ فإذا تاه الدليل وحار الهادي فكيف حال المستدل والمهتدي؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٩٣).

وهذا يوضح معنى حديث ابن عباس المتقدم آنفاً.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن سفيان قال: قال عيسى عليه السلام: إنما أعلمكم لتعلموا، ليس لتعجبوا؛ يا ملحَ الأرض! لا تفسدوا؛ فإن الشيء إذا فسد إنما يصلح بالملح، وإن الملح إذا فسد لم يصلحه شيء[1].

وأنشد بعض المتقدمين: [من الرجز]

يَا عُلَمَاءَ النَّاسِ[2] يَا مِلْحَ البَلَد

مَا يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذا الْمِلْحُ فَسَد[3]

*** فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَعِشرُونَ:**

قد سبق أن الصالحين إنما أصلحهم الله تعالى، وأنه إنما يطلب الصلاح بتوفيق الله إليه.

ومن الأدعية النافعة لهذا المطلوب: ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيايَ الَّتِي فِيها مَعاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيها مَعادِي، وَاجْعَلِ الْحَياةَ زِيادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ راحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[4].

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٥).

(٢) في مصدر التخريج: «يا معشر القراء» بدل «يا علماء الناس».

(٣) عزاه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٠٦) إلى مسروق.

(٤) رواه مسلم (٢٧٢٠).

ولا شك أن من أصلح الله له دينه ودنياه وآخرته فقد استكمل الصلاح، وظفر بالفلاح، وتمت سعادته.

وقد جمع رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله تعالى عنها مبسوط هذا الدعاء في كلمة واحدة؛ فروى النسائي في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم ـ وصححه على شرطهما ـ والبيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال لها: «يا فاطِمَةُ! ما يَمْنَعُكِ أَنْ تَقُولِي: يا حَيُّ يا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِيَ طَرْفَةَ عَينٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِيَ كُلَّهُ»[1].

ورواه أبو بكر بن السُّني عنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله تعالى عنها: «ما يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي ما أُوْصِيكِ، تَقُولِي إِذا أَصْبَحْتِ وَإِذا أَمْسَيْتِ: يا حَيُّ يا قَيُّومُ! بِكَ أَسْتَغِيثُ؛ فَأَصْلِحْ لِي شَأْنِيَ كُلَّهُ[2]، وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِيَ طَرْفَةَ عَينٍ»[3].

وروى الخطيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال لها رضي الله تعالى عنها: «يا فاطِمَةُ! ما لِيَ لا أَسْمَعُكِ بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ تَقُولِينَ: يا حَيُّ يا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ؛ أَصْلِحْ لِي شَأْنِيَ كُلَّهُ،

---

(١) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٠).

(٢) «كله» ليست في «أ».

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٨).

وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي»[1].

* **فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَعِشرُونَ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن بشير الدمشقي قال: قيل لناحية من الأرض: إن عيسى بن مريم عليهما السلام مارٌّ بكم.

قال: فنزلوا من الغيران[2]، والجزائر، وأظلة الأشجار، ورؤوس الجبال.

قال: فمر بهم، فقال: اللهم اغفر لنا، اللهم اغفر لنا؛ ثلاثاً.

قالوا: يا روح الله! إنا رجونا أن نسمع منك اليوم موعظة، ونسمع منك شيئاً لم نسمعه فيما مضى!

فأوحى الله ﷻ إلى عيسى عليه السلام: قل لهم: إني من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها دنياه وآخرته[3].

قلت: وجه ذلك أن كل مولود يولد على الفطرة، فأصل كل مؤمن أن يكون على الفطرة، ومن كان على الفطرة فهو صالح بلا شك، فإذا خلط المؤمن وغفر الله تعالى تخليطه؛ والمغفرة الستر؛ بأن يستره في الدنيا، ولا يفضحه في الآخرة؛ لأنه إذا غفر في الدنيا فكرمه يقتضي أن لا يفضحه في الآخرة، لأن الكريم إذا جاد بشيء لم يرجع فيه، فبقي العبد

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٨).

(٢) جاء على هامش «أ»: «الغيران: جمع غار، وهو الكهف».

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٠٤).

بالمغفرة على أصل الفطرة.

وأيضاً فإن المغفرة تشمل الذنوب كما في الحديث: أنه ﷺ كان يقول:

«إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا»

رواه الترمذي، وغيره[1].

وإذا غفرت ذنوب العبد كان صالحاً للقربة في الدنيا والآخرة.

*** فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَعِشْرونَ:**

روى أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْخَصْلَةَ الصَّالِحَةَ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ فَيُصْلِحُ اللهُ بِها عَمَلَهُ كُلَّهُ، وَطُهُورُ الرَّجُلِ لِصَلاتِهِ يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ ذُنوبَهُ وَتَبْقَى صَلاتُهُ لَهُ نافِلَةً»[2].

ووجه ذلك: أن الخصلة الصالحة إذا كانت من صفة الرجل، ولا تصلح إلا إذا كانت طاعة خالصة لله تعالى، والطاعة على حقيقة الشكر، والشكر يقتضي المزيد، فيزيده الله تعالى من طاعته، ثم يزيده توفيقاً إليها حتى تصلح أعماله كلها.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٢٩٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٠٢). قال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٣): بشار بن الحكم منكر الحديث، وأحاديثه عن ثابت إفرادات، وأرجو أنه لا بأس به.

وفي الحديث إشارة إلى أن الرجل متى وجد من العبد خصلة صالحة ينبغي أن يتوسم فيه الصلاح، ولا يسيء الظن به؛ فإن لخصلته أخوات.

وفيه وجه آخر، وهو أن الخصلة الصالحة تكفر خصالاً من السيئات، فيرجى له أن تكون تلك الخصلة سبباً لسعادته.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٠٢].

قال أبو عثمان النهدي رحمه الله تعالى: ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾[التوبة: ١٠٢] الآية. رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «التوبة»[١]، والبيهقي في «الشعب»، وغيرهم[٢].

وروى ابن أبي حاتم عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى قال: عرضت نفسي على القرآن، فلم أجدني بآية أشبه مني بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾[التوبة: ١٠٢][٣].

وروى البيهقي عن مطرف رحمه الله تعالى قال: إني لأستلقي من

---

(١) في «ت»: «رواه ابن أبي شيبة في «التوبة» وابن أبي الدنيا».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٧٩)، وابن أبي الدنيا في «التوبة» (ص: ٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٦٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٧٤)، وكذا الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٦).

الليل على فراشي، وأتدبر القرآن، فأعرض نفسي على أعمال أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٧]، ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[الفرقان: ٦٤]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[الزمر: ٩]، فلا أراني منهم.

فأعرض نفسي على هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[المدثر: ٤٢ ـ ٤٦] فأرى القوم مكذبين، فلا أراني فيهم.

فأمرُّ بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[التوبة: ١٠٢]، وأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم[1].

قلت: لقد مر في بعض مجالسي من نحو عشرين سنة أني دعوت الله تعالى، فقلت: اللهم اجعلنا من الصالحين، فإن لم تجعلنا من الصالحين فاجعلنا من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، أو ما هذا معناه، فبعد انقضاء المجلس اعترض علي بعض السامعين، فقال: يا سيدي! كيف تدعو الله أن يجعلنا من المخلطين والمعصية مقررة فيهم؟

قلت: سبحان الله تعالى! والعمل الصالح مقرر فيهم أيضاً، وهو أولى أن يكون من المصرين، فإن لم يكن وابل فَطَلٌّ.

ثم وقفت على كلام مطرف هذا، فحمدت الله على موافقته.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٦٦).

على أن المخلطين المذكورين في الآيـة كانـوا من أعيان الأنصار والصحابة الأخيار رضي الله تعالى عنهم، وأنى لنا باللحاق بأقلهم.

وقـولـه تعـالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة: ١٠٢]؛ (عـسى) و(لعل) في القـرآن تدل على تحقيـق ما بعدهما بإجمـاع المحققين من المفسرين؛ فالتوبة مقبولة منهم بفضل الله تعالى.

*** فائِدَةٌ تَتِمُّ بِها ثَلاثونَ فائِدَةً:**

تقدم أن صلاح الرعيـة بصـلاح سلطانها، وجـاء ما يـدل على أن صلاح السلطان بصلاح الرعية، فصلاح كلٍّ متسبب عن صلاح الآخر، ومن ثم جاء عن بعض السلف أنـه كـان يدعـو: اللهم مصلحَ الراعي والرعية.

قال كعب الأحبار رحمه الله تعالى: إن لكل زمان ملكاً يبعثـه الله على قلوب أهله، فإذا أراد الله ﷻ بقوم صلاحاً بعث فيهم مصلحاً، وإذا أراد الله بقوم هلكة بعث فيهم مترفاً.

ثـم قـرأ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء: ١٦]. رواه أبو عمرو الداني في «الفتن»، والبيهقي[1].

وقال القـاسم بن مخيمـرة: إنما زمـانكم سلطـانكم؛ فـإذا صلح

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الـواردة في الفتن» (٣/ ٦٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٨٩).

سلطانكم صلح زمانكم، وإذا فسد سلطانكم فسد زمانكم. رواه الداني، وغيره[1].

وروى ابن جميع في «مسنده»، والقضاعي عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «كَما تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ». وسنده ضعيف[2].

* **فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَثَلاثونَ:**

روى أبو عمرو الداني عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: ليأتين على الناس زمان يكون صالحو الحي فيهم في أنفسهم؛ إن غضبوا غضبوا لأنفسهم، وإن رضوا رضوا لأنفسهم، لا يغضبون لله ﷻ، ولا يرضون لله ﷻ؛ فإذا كان ذلك الزمان فاحترسوا من الناس بسوء الظن[3].

قلت: إنما أطلق عمر رضي الله تعالى عنه على هؤلاء اسم الصلاح باعتبار ما يظهر منهم لحيهم من النسك وإظهار زي الصالحين، أو باعتبار ما يزعمون، وإلا فإن الصالح لا ينبغي له أن يغضب لنفسه ويرضى لنفسه.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٥٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٢).

(٢) رواه ابن جميع في «معجم الشيوخ» (ص: ١٤٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٧٧).

(٣) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٥٤٦).

أو أراد أن الفتنـة تدخل على الناس حتى على صالحيهم، فتكون فتنتهم في الغضب والرضا لأنفسهم لا لله تعالى، ومن ثم قال: فإذا كان ذلك الزمان فاحترسوا من الناس بسوء الظن.

وقد سبق عن سهل التُّستَري أنـه ينزع من المنسوبين إلى الصلاح في آخـر الزمان الخشيـة والورع والمراقبـة، ومن نزع منـه ذلـك كيـف يغضب لله أو يرضى لله.

وقد علم بذلك أن الغضب لله والرضا لله في هذا الزمان من أخص أعمال الصالحين، وهذا أعز من الكبريت الأحمر الآن.

*** فائِدَةٌ ثانِيَةٌ وَثَلاثونَ:**

روى ابن المبارك رحمـه الله تعالى عن الحسن رحمـه الله تعـالى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزالُ هَذِهِ الأُمَّةُ تَحتَ يَدِ اللهِ وَفي كَنَفِهِ ما لَمْ يُمالِ قُرَّاؤُها أُمَراءَها، وَلَمْ يُزَكِّ صُلَحاؤُها فُجَّارَها، وَما لَمْ ينمِ خِيارُها أَشْرارَها؛ فَإِذا فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ اللهُ الكَرِيْمُ عَنْهُمْ يَدَهُ، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبابِـرَتَهُمْ فَسامُوهُمْ سُوءَ العَذابِ، وَضَرَبَهُمْ بِالفَقْرِ وَالفاقَةِ وَمَلأَ قُلُوبَهُمْ رُعباً»(١).

ومعنى ممالأة القراء الأمراء: مساعدتهم على ما هم فيه، أو على ما يريدون بأي شيء كان.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهـد» (١/ ٢٨٢)، وكذا أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٩٦).

وتزكية الصلحاء الفجار: أن يثنوا عليهم ويمدحونهم، وهم يعلمون أنهم على خلاف ذلك.

وكذلك التنمية بمعنى التزكية، أو معنى تنمية الأخيار الأشرار: زيادتهم في دنياهم، وتقويتهم بمال أو سلاح أو غيره.

وكل ذلك واقع في زماننا، وظهرت العقوبة التي وعد أهله بها من فقر كثير من ذوي الأموال، وكسرهم، وتسليط جبابرة الحكام وأتباعهم عليهم حتى كأنهم أهل ذمة، وامتلاء قلوبهم رعباً وخوفاً؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!

ولقد كان الناس يُرحمون بصالحيهم، فإذا فسد الصالحون فكيف يرحمون!

*** فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَثلاثونَ:**

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦ ـ ١١٧].

أراد سبحانه أن يبين في الآية ما كان سبباً في استئصال الأمم السالفة، وهو فُشُوُّ الظلم والفساد في الأرض، والإتراف؛ وهو الإنعام في الشهوات والإمعان فيها، والاهتمام بتحصيل أسبابها، وترك النهي عن المنكر من بقايا الناس ممن بقي من ذوي العقول والأحلام منهم إلا قليلاً من أهل النجاة.

فلما سكتت بقيتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾[هود: ١١٦]، فلذلك حق عليهم العذاب.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

فإن قلتَ: كيف يجتمع الإصلاح مع الظلم؟

قلتُ: يكون الظلم من عامتهم والإصلاح من خاصتهم، وإنما قال: ﴿وَأَهۡلُهَا﴾[هود: ١١٧]؛ أي: معظمهم، أو خاصتهم.

كان الاعتبار بأهل الصلاح والإصلاح - وإن كانوا بعضاً منهم - فإنهم يقومون مقام الكل، ولذلك أطلق عليهم قوله: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾[هود: ١١٧]؛ كأنهم هم أهلها دون من سواهم، فإذا ترك خاصتهم الإصلاح عَمَّ الفساد، فكان الهلاك.

وروى ابن أبي حاتم، والخرائطي عن جرير رضي الله تعالى عنه - موقوفاً عليه - والطبراني عنه - مرفوعاً - قال: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عن تفسير هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾[هود: ١١٧]، فقال رسول الله ﷺ: «وَأَهْلُها يُنْصِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً»(١).

---

(١) رواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (٢/ ١٥٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢٨١) موقوفاً. =

والإنصـاف من أخص أخلاق الصـالحين، ومن شأن الصـالح أن ينصف ولا ينتصف، بل يكون أبداً على نفسه.

وقد روى البزار ـ ورجح وقفه ـ والطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مِنَ الإيْمانِ ـ ولفـظ أبي نعيم: ثَلاثُ خِلالٍ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ خِلالَ الإيْمانِ ـ: الإنْفاقُ مِنَ الإقْتارِ، وَالإنْصافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلعالَمِ»[1].

*** فائِدَةٌ رابِـعَةٌ وَثلاثونَ:**

روى الشيخان، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرانِ»[2].

قلت: المراد بالعبد الصالح الذي ينصح سيده، ويحسن عبادة ربه، لا يشغله حق السيد عن حق الله، ولا حق الله عن حق السيد.

كما في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ العَبْـدَ إِذا نَصَحَ لِسَيِّـدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّـهِ كانَ لَـهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ».

= ورواه ابن الأعـرابي في «المعجم» (٥/ ٣٥٠)، والخطيـب البغـدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٩٣) مرفوعـاً، ثم روى عن يحيى بن معين قولـه عن عبيد بن القاسم راوي الحديث: هو كذاب.

(١) رواه البزار في «المسند» (١٣٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤١). وذكره البخاري (١/ ١٩) معلقاً من قول عمار رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٤١٠)، ومسلم (١٦٦٥).

رواه الإمام مالك، والشيخان، وأبو داود[1].

واعلم أنه يحتج بسيدنا يوسف عليه السلام، وبكل مملوك صالح على من لم يكن كذلك كما تقدم نظير ذلك في صلحاء الأغنياء.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن مجاهد قال: ويجاء بالعبد يوم القيامة فيقول له: ما منعك أن تكون عبدتني؟

فيقول: ابتليتني، فجعلت عليَ أرباباً فشغلوني.

فيجاء بيوسف عليه السلام، فيقال: أنت كنت أشد عبودية أم هذا؟

فيقول: بل هذا.

فيقول الله تعالى: لم يمنعه ذلك أن عبدني[2].

*** فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَثلاثونَ:**

روى الطبراني في «الأوسط» ـ بإسناد حسن ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ فِي الدُّنْيا جَعَلَ اللهُ لَهُ نُوراً يَومَ القِيامَةِ إِنْ كانَ صالِحاً»[3].

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن استكمال الأعمى للكرامة يوم

---

(1) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨١)، والبخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (١٦٦٤)، وأبو داود (٥١٦٩).

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٢٠)، وكذا ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٣) وقال: بشر بن إبراهيم الأنصاري منكر الحديث.

القيامة مشروط بالصلاح؛ فإن لم يكن صالحاً ـ بأن كان كافراً أو فاسقاً ـ فلا كرامة له إلا أن يؤمن أو يتوب؛ فإنه بالكفر والفسق يكون أعمى القلب؛ ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[الإسراء: ٧٢].

والمراد بذلك أعمى القلب؛ كما روي: أن ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه ـ وكان أعمى ـ لما نزلت هذه الآية حزن، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[الحج: ٤٦][1].

ولا يختص ذلك بالعمى، بل سائر الأمراض والبلايا إذا نزلت بالعبد؛ فإن كان صالحاً فهي كرامة في حقه، وما ورد من أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون؛ فهو مع الصبر والرضا بخلاف غيرهم، فقد يشدد في البلاء عليهم ويجزعون ويسخطون.

وقد روى الإمام أحمد ـ ورواته ثقات ـ عن محمود بن لبيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذا أَحَبَّ اللهُ قَوماً ابْتلاهُمْ؛ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»[2].

وروى الترمذي ـ وحسنه ـ وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذا أَحَبَّ قَوماً

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٤٢): رجاله ثقات.

ابْتلاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[1].

وروى مسلم عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخامَةِ مِنَ الزَّرْعِ؛ تُفَيِّئُها الرِّياحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُها حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الْمُنافِقِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ الْمُجْذِبَةِ الَّتِي لا يُصِيبُها شَيءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعافُها مَرَّةً واحِدَةً»[2].

خامة الزرع ـ بالمعجمة، وتخفيف الميم ـ: الطاقة الغضة منه.

ومعنى: تفيئها ـ بالفاء ـ: تقلبها يميناً وشمالاً، أو تميلها مرة.

وتعدلها؛ أي: ترفعها.

والأرزة ـ بفتح الهمزة، وإسكان الراء، وحكي فتحها، وبعدها زاي مفتوحة ـ: شجرة تشبه شجرة الصنوبر تكون بالشام وبلاد الأرمن.

وقيل: هي شجرة الصنوبر.

والمجذبة ـ بالجيم، والدال المهملة ـ: الثابتة المنتصبة.

والانجعاف ـ بالجيم، والعين المهملة ـ: الانقلاع.

ومعنى الحديث: إن المؤمن كثير الأسقام والبلاء في نفسه وأهله وماله، إلا أن ذلك يكفر ذنوبه، ويرفع درجاته، ويصلح شأنه، كما أن لعب الريح بالخامة يصلحها ولا يضرها، والمنافق ليس كذلك، بل إذا أخذه الله لم يفلته، فيأخذه أخذة رابية.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٠)، وكذا البخاري (٥٣١٩).

واعلم أن للمنافق باعتبار البلاء طريقين:

أحدهما: أن الله تعالى يعفيه من البلاء بالكلية في حياته الدنيا، ثم يقلعه قلعة واحدة، وإلى ذلك الإشارة لحديث مسلم.

والثاني: أن الله تعالى يبتليه، ولكن لا يلهمه الصبر في البلاء، فيفجر ويسخط، وإذا انتهى بلاؤه عاد إلى ما كان عليه، فهو في مرور البلاء عليه وانحساره عنه كالبهيمة لا يعرف الحكمة في البلاء ولا في العافية.

كما روى أبو داود عن عامر الرامي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذا أَصابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ أَعْفاهُ اللهُ عَنْهُ كانَ كَفَّارَةً لِما مَضى مِنْ ذُنوبِهِ، وَمَوْعِظَةً فِيما يُسْتَقْبَلُ، وَإِنَّ الْمُنافِقَ إِذا مَرِضَ ثُمَّ أُعْفِيَ كانَ كَالبَعِيرِ عَقلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ، وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلوهُ»[1].

واعلم أن الله تعالى يحتج بسيدنا أيوب عليه السلام وسائر الصالحين من أهل البلاء بصبرهم ورضاهم وطاعتهم على من لم يصبر ولم يَرضَ.

قال مجاهد في أثره المتقدم: ويجاء بالمريض فيقول: ما منعك أن تعبدني؟

قال: فيقول: يا رب! ابتليتني.

---

(١) رواه أبو داود (٣٠٨٩). وفي إسناده راو لم يسم.

فيجاء بأيوب عليه السلام، فيقول: أنت كنت أشد ضراً أم هذا؟

فيقول: بل هذا.

فيقول: لم يمنعه ذلك أن عبدني[1].

* فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَثَلاثونَ:

إنما ابتلى الله تعالى الأنبياء عليهم السلام بأنواع البلاء ليكونوا سلفاً للصالحين، وتسلية لهم إذا نزل بهم البلاء كابتلاء آدم عليه السلام بأكل الشجرة، ثم بفقد الولد هابيل عليه السلام.

وابتلاء نوح عليه السلام بأذية قومه، وطول مدته فيهم، ثم بعمل السفينة، ثم بانعزال ولده عنه، ثم تبرئته منه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾[هود: ٤٦].

وابتلاء هود عليه السلام بقوة قومه، وجرأتهم عليه، واشتطاطهم.

وصالح عليه السلام بالناقة وعقر قومه لها.

وإبراهيم عليه السلام بأبيه وقومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده.

وإسحاق وإسماعيل عليهما السلام بالذبح[2].

ويعقوب عليه السلام بفقد ولديه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) المشهور من الروايات أن الذبيح واحد فقط من أبناء إبراهيم عليه السلام، وهو إسماعيل عليه السلام.

ويوسف عليه السلام بعداوة إخوته وقسوتهم، وإلقائه في الجب، وبالرِّق، والتهمة، والسجن.

وأخيه بنيامين عليه السلام[1] بالتهمة وفراق الأب.

وموسى عليه السلام بفرعون وأذى بني إسرائيل.

ولوط عليه السلام بفجور قومه، وقصدهم ضيوفه بالسوء.

وأيوب عليه السلام بالبلاء بالمرض، وفقد الأهل والأولاد.

وداود عليه السلام بالخطيئة، وبالخصمين.

وسليمان عليه السلام بالجسد.

وزكريا، ويحيى، وحزقيل[2]، وغيرهم بالقتل عليهم الصلاة والسلام.

وعيسى عليه السلام ببني إسرائيل، وطعنهم عليه، وقصدهم قتله.

ومحمد ﷺ بما هو مشهور في سيرته من أنواع البلاء.

فإذا نزل بالعبد الصالح نوع من البلاء نظر في أسوته ممن ابتلي ببلائه منهم، وعلم أن بلاء ذلك النبي أشد من بلائه، فكان هذا كافياً في تسليته وصبره، وتأدبه بآداب ذلك النبي في ذلك البلاء.

وفي «مصنف ابن أبي شيبة» ـ بإسناد صحيح ـ عن الأحنف بن قيس

---

(١) على القول بأنه نبي، إلا أن الراجح أنه ليس نبياً، والله أعلم.

(٢) على القول أنه نبي، والله أعلم.

رحمـه الله تعالى: أن داود عليـه السـلام قال: يا رب! إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فاجعلني يا رب لهم رابعاً.

قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود! إن إبراهيم ألقي في النار في شيء فصبر، وتلك بلية لم تَنَلْكَ، وإن إسحاق بذل مُهجة دمه في شيء فصبر، وتلك بلية لم تَنَلْكَ، وإن يعقوب أخذت حبيبه حتى ابيضت عيناه فصبر، وتلك بلية لم تَنَلْكَ[1].

وعن عبدالله بن عبيد، عن أبيه قال: قال موسى عليه السلام: أي رب! ذكرت إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ بم أعطيتهم ذاك؟

قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً إلا اختارني، وإن إسحاق جاد لي بنفسه، وهو بما سواها أجود، وإن يعقوب لم أَبْتَلِهِ ببلاء إلا ازداد بي حسنَ ظن[2].

وروى حميد بن زنجويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه دخل المسجد حين قتل ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما وهو مصلوب، أو مطروح، فقيل له: إن أسماء في ناحية المسجد، فمال إليها فقال: إن هذه الجثة ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله تعالى، فاتقي الله وعليك بالصبر.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنـف» (٣٤٢٦٢). قال ابن كثيـر في «التفسير» (٢/ ٤٨٩): هذا مرسل، وفيه نكارة، فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٧٢).

فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى بَغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل[1]!

* **فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَثلاثون:**

الصالح إذا زل زلة ينبغي أن يُتجافى عنها ولا تعدَّ عليه، بل ينبغي الاعتراف بفضله، والتنبيه على زلته لتحذر.

ويدل على ذلك: ما رواه الشيخان، وغيرهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها في حديث الإفك: أن رسول الله ﷺ قام على المنبر، فاستعذر من عبدالله بن أبيٍّ ابن سلول، فقال وهو على المنبر: «يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمينَ! مَنْ يَعْذرُني مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؛ فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ عَلى أَهْلِي إِلاَّ خَيراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيهِ إِلاَّ خَيراً، وَما كانَ يَدْخُلُ على أَهْلِي إِلاَّ مَعِي».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال: أعذرك منه يا رسول الله؛ إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام سعد بن عبادة ـ وهو سيد الخزرج رضي الله عنه، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتهلته الحمية ـ فقال لسعد بن معاذ: لَعمرو الله لا تقتلنه، ولا تقدر على قتله.

فقام أسيد بن حضير ـ وهو ابن عم سعد بن معاذ ـ فقال لسعد بن

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٢٠٢).

عبادة: كذبت؛ لعمرو الله لنقتلنه؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الْحَيَّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت[1].

فقول عائشة رضي الله تعالى عنها في سعد بن عبادة: رجلاً صالحاً؛ اعترافٌ بصلاحه، ولم يمنعها الغضب لنفسها من الاعتراف بالحق.

قالت: ولكن اجتهلته الحمية؛ أي: حملته على الجهل.

وفي رواية البخاري: احتملته؛ وهي راجعة إلى معنى تلك الرواية.

فهذه الزلة من سعد بن عبادة لا تخرجه عن صفة الصلاح، على أن له فيها عذراً من حيث إنه إنما حصلت منه هذه الحمية حين لم يتبين للناس الحق، ولا تحققوا براءة عائشة رضي الله تعالى عنها، فلما نزل القرآن ببراءتها سلموا وآمنوا حتى أصحاب الإفك، إلا ما كان من عبدالله بن أبي؛ فإنه مات منافقاً.

وأيضاً لم يكن يومئذ حد القاذف القتل، فاستجازة سعد بن معاذ لقتل المتولي ذلك الأمر اجتهاد، واعتراض سعد بن عبادة له اجتهاد، ومثل ذلك لا يخرج العبد عن كونه صالحاً، ولذلك لم ينكر النبي ﷺ على أحد منهما.

---

(١) رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٢٧٧٠).

وأما قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين؛ فالمعنى: إنك قاربت النفاق لمجادلتك عن المنافقين، أو: فعلت أفعال المنافقين.

ومن هنا يعلم أن ما شجر بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وما صدر من بعضهم من زلة لا يخرجهم عن العدالة والصلاح لأن ذلك يكون عن اجتهاد وإن أخطأ بعضهم، وكان لهم من الإحسان ما يكفر الزلة من الإساءة، ثم هم أقرب إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى من غيرهم.

ومذهب أهل السنة أن من أساء عشراً وأحسن واحدة، كفرت هذه الواحدة عن تلك العشرة؛ فكيف بمن يحسن عشراً ويسيء واحدة؟ بل كيف بمن معظم أعماله حسن وزلته واحدة؟ فافهم!

*** فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَثلاثونَ:**

اعلم أن العبد الصالح ليس من شرطه أن يكون معصوماً، بل من شرطه أن يكون كارهاً للذنب قبل وقوعه منه، محزوناً منه بعد وقوعه، خائفاً من عقوبته، واجداً على نفسه، تائباً منه.

ولقد أحسن القائل: [من الطويل]

وَمـا كُنْـتُ أَرْجُـو أَنْ تَـرى لِـيَ زَلَّـةً
وَلَكِـنْ قَـضاءُ اللهِ مـا مِنْـهُ مَهْـرَبُ[1]

---

(١) البيت لأبي بكر بن بهلول، كما في «شعب الإيمان» للبيهقي (٨٣٤١).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهِيَ أَمارَةُ الْمُؤْمِنِ». رواه البخاري في «تاريخه» عن عمر رضي الله تعالى عنه[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ساءَتْهُ سَيِّئاتُهُ، وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[2].

وفي «الأوسط» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[3].

وحديث أبي أمامة عند الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم ـ وصححه ـ والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، ولفظهم: «إِذا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَساءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَإِنَّكَ مُؤْمِنٌ»[4].

ورواه الطبراني في «الكبير» من حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[5].

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٥٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٣٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٤٧٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤).

(٥) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٨).

وروى الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ساءَتْهُ خَطِيئَتُهُ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ»[1].

قلت: ووجه ذلك أن العبد إذا كره الخطيئة وسيء بها، كانت كراهته لها حسنة، والحسنة تكفر الخطيئة من الصغائر.

وأيضاً فإن ما يدخل عليه من السوء بسبب الخطيئة مصيبة، والمصيبة مكفرة أيضاً.

فإن استغفر فالاستغفار مكفر ثالث.

وهذا حال الصالحين؛ إذا أذنب أحدهم قامت قيامته، وعظمت مصيبته، وضاقت نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت كما وصف الله تعالى بذلك الثلاثة الذين خلفهم عن المتخلفين عن تبوك؛ فإنه لما رجع جاء إليه من تخلف عنه، وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً، فاعتذروا فقبل عذرهم؛ إلا ما كان من كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية الواقفي رضي الله تعالى عنهم؛ فإنهم أقروا بأنهم تخلفوا عنه بغير عذر، وأقروا بذنوبهم، وصدقوا في ترك الاعتذار، فأمر رسول الله ﷺ بهجرهم، فمكثوا خمسين يوماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وحزنوا لذنوبهم[2]، فأنزل الله تعالى فيهم، فقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٧٥٣) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٧٢).
وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٧١).

(٢) في «أ»: «لذنبهم»، والمثبت من «ت».

ﭐلنَّبِيِّ وَﭐلۡمُهَٰجِرِينَ وَﭐلۡأَنصَارِ ﭐلَّذِينَ ﭐتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ﭐلۡعُسۡرَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَى ﭐلثَّلَٰثَةِ ﭐلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ﭐلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ﭐللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ﭐللَّهَ هُوَ ﭐلتَّوَّابُ ﭐلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﭐتَّقُواْ ﭐللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ﭐلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٧ ـ ١١٩][1].

قال السدي في الآية: كونوا مع كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية. رواه ابن أبي حاتم، وغيره[2].

فهؤلاء الثلاثة لما ساءتهم سيئتهم، وأحزنتهم، وضيقت صدورهم، تاب الله عليهم، وأمر المؤمنين أن يتأسَّوا بهم.

وفي «الصحيحين» في حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه عن توبته بعد أن وصف صدقه النبي ﷺ، ولم يتجوز في الاعتذار، وقول النبي ﷺ له: «أَمَّا هَذا فَقَدْ صَدَقَ؛ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ». وصف تأنيب قومه له على ذلك؛ قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذِّب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟

قالوا: نعم؛ رجلان قالا[3] مثل ما قلت، وقيل لهما [مثل ما قيل لك].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢١٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٠٧).

(٣) في «أ»، و«ت» «فقالا».

قال: قلت: من هما؟

قالوا: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي.

قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة.

قال: فمضيت حين ذكروهما لي[1].

فأشار كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه إلى أنه لما عرف أن له شريكين في مثل ذنبه صالحين سَلا بهما، وخفف من همه حين ساواهما؛ وفي أمثلة الناس: إذا كنت ثالث ثلاثة فلا تبالِ، ومن شأن الحكيم أن يتسلى فيما يصيبه بنظائره ونظائر مصائبه.

*** فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَثلاثونَ:**

روى البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: لا يُصلِح الناسَ إلا أميرٌ؛ بَرٌّ، أو فاجرٌ.

قالوا: هذا البَرُّ، فكيف بالفاجر؟

قال: إن الفاجر يؤَمِّن اللهُ به السبيلَ، ويجاهَد به العدوُّ، ويَجيء به الفيءُ، وتقام به الحدودُ، ويُحَجُّ به البيتُ، ويَعبُد اللهَ به المسلمُ آمناً حتى يأتيه أجلُه[2].

قلت: هذا كالبيان لقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَـذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفاجِرِ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٠٨).

(٣) تقدم تخريجه.

وهذه الأمور تتم بالبَرِّ، بل هي به أتم، وإنما يفرق بينهما بالنيـة؛ فالفاجر ينوي بذلك صيانة إمرته، وقيام حرمته، ورغبة الناس في ولايته، فيُصلِح اللهُ بـه الناسَ وإن لم يُرِد صلاحَهم، والبَـرُّ ينـوي بذلك سكونَ خواطر المسلمين، ونُصحَهم، وحمايتَهم، وإقامةَ الدِّين، وإعلاءَ كلمة الله تعالى.

وقد يكون سببَ أمْنِ الطُّرُق شِدَّةُ ظلم الأمير وحَيْفِه، فيحصُل الأمنُ اتِّقاءَ ظُلمه، ويكون في ذلك نفعٌ للمسلمين، وعلى الأمراء وزرُهم.

وأما ما سبق أن الأمراء والعلماء إذا صلحوا صلح بصلاحهم سائر الناس، فذلك صلاح يعود ثوابه على الأمراء والعلماء، وصلاح الناس بالأمراء الفجرة لا يعود منه على الأمراء ثواب.

وكان سهل بن عبدالله رضي الله عنه يقول: يعـود عليهم بسبب أمن الناس على أنفسهم وعيالهم وأموالهم، وفي طرقهم ومنازلهم ثوابٌ وخير.

والذي يظهر أنه لا ثواب لهم في شيء من ذلك إلا إذا حصل عن نية منهم صالحة، وقصد صحيح ـ وإن كانوا فجاراً في غير ذلك ـ لأن العمل بالنية؛ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧].

*** فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ أَرْبَعينَ فائِدَةً:**

روى الإمـام أحمـد، وأبـو يعلى، وابن السـني، وابن حبـان في «صحيحه»، والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقي في «الشعب»، وغيرهم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله! كيف الصلاح

بعد هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[النساء: ١٢٣]، وكل سوء جزينا به؟

فقال النبي ﷺ: «غَفَرَ اللهُ لَكَ يا أبا بَكْرٍ! أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ يُصِيبُكَ اللأْواءُ؟»

قال: بلى.

قال: «فَهُوَ ما تُجْزَوْنَ بِهِ»[١].

قوله: كيف الصلاح؛ أي: كيف صلاح الحال واستقرار النفس بعد نزول هذه الآية؛ فإن ظاهرها أن الله تعالى يجازي يوم القيامة على كل عمل سوء، فأخبره ﷺ أن المؤمن يجازى بما يعمله في الدنيا بما يصيبه من مرض أو تعب، أو حزن، أو غير ذلك.

وقد روى الإمام أحمد، والبزار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت أبا بكر يقول[٢]، والحاكم[٣] عنه: أنه سمع الزبير رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيا».

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١)، وأبو يعلى في «المسند» (٩٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٠٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦)، والبزار في «مسنده» (٢١).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٣٤٠).

* فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَأَرْبعونَ:

روى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبيهقي في «الشعب»، والمفسرون عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لا يَصلُح الكذبُ في جِدٍّ ولا هزل، ولا أن يَعِدَ أحدُكم صبيَّه شيئاً ثم لا ينجزُه؛ اقرؤوا إن شئتم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال: وهي قراءة عبدالله هكذا بكسر المهملة.

قال: فهل تجدون[1] لأحد رخصة في الكذب[2]؟

وهل يباح الكذب للمصلحة، أو لا؟

كلام ابن مسعود هذا يدل على الثاني، وهو قول جماعة؛ منهم: أبو القاسم الطبراني، وأقضى القضاة الماوردي؛ قالوا: وما جاء في هذا من الإباحة فإنما المراد به التورية واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب كأن يَعِدَ زوجته أن يحسن إليها ويكسوها، وينوي إن سمحت نفسه[3].

وفي الحديث: «إِنَّ فِي الْمَعارِيضِ مَنْدُوحَةً عَنِ الكَذِبِ». رواه ابن

---

(١) في «أ» و«ت»: «تحبون».

(٢) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (٥/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٦٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٨٩)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٦٣).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

السني عن عمران بن حصين، وأبو نعيم عن علي رضي الله تعالى عنهما[1].

قال النووي رحمه الله تعالى في «الأذكار»: ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليـه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ[2].

وهذا معنى التعريض أيضاً.

ولعل التورية إطلاق لفظ يحتمل معنيين، يوهم بأحدهما السامع، ويقصد بقلبه الآخر.

والصحيح القول الأول، وهو قول الأكثرين: جواز الكذب للمصلحة كخدعة الحرب.

نعم إن أمكنه التورية فلا يعدل إلى الصريح، وإلا جاز له العدول إليـه.

---

(١) ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٩) مرفوعاً وموقوفاً ورجح الموقوف.

وكذا رواه موقوفاً ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٨٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٥٧) عن عمران بن حصين ﷺ.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٥) عن علي بن أبي طالب ﷺ، وقال: وهذا الحديث لا أعلم يروى عن عطاء بن السائب إلا من هذا الطريق. قال ابن طاهر في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٩٤٢): فيـه نصر بن طريف، ونصر هذا أحد المعروفين بالكذب.

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٣٠٢).

وفي «الصحيحين» عن أم كلثوم رضي الله تعالى عنها: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَينَ النَّاسِ فَيَنْمِي خيراً، أَوْ يَقُولُ خَيراً».

زاد مسلم في رواية له: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها[1].

قال النووي: وأحسن ما ضبط به الكذب المباح: ما ذكره حجة الإسلام من أن الكلام وسيلة للمقاصد، وكل مقصود محمود أمكن التوصل إليه بالصدق فالكذب فيه حرام، فهو مباح إن كان المقصود مباحاً، وواجب إن كان واجباً[2].

وقال جدي شيخ الإسلام رضي الدين الغزي في ألفيته المسماة بـ: «الجوهر الفريد»: [من الرجز]

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الكِذْبَ فِي الْمَصالِحِ
مَعَ التَّوَرِّي شَأْنُ كُلِّ صالِحِ

لِقَصْدِ صِدْقٍ وَهْوَ واجِبٌ لَدى
دَفْعٍ لِمَنْ [قد] صالَ يَبْغِي وَاعْتَدَى

---

(١) رواه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٣٧)، و«الأذكار» للنووي (ص: ٣٠٢).

لأَخْـــذِ مـــالٍ أوْ إتْـــلافِ نفْـــسِ

أَوِ الأَذَى كَالـــضَّرْبِ أَوْ كَـــالْحَبْسِ

ولو استحلفت في مسألة دفع الصائل الواجب دفعه بالكذب لزمك أن تحلف وتوري؛ فإن لم تور حنثت في الأصح، كما ذكره النووي في «الأذكار»، ولا يحرم[1].

*** فائِدَةٌ ثانِيَـةٌ وَأَرْبَعونَ:**

قد سبق أن أصل الصلاح بصلاح القلب، وأن العبرة بصلاحه، ومن هنا قيل لمن كان همه إصلاح قلبـه: صاحب قلب، و: هـو من أرباب القلوب.

فصاحب القلب لا يترك عملاً ولا قولاً ولا حالاً يصلح بـه قلبه، ويجتنب كل عمل وقول وحال لا يصلح عليه قلبه، وإن كان فيه تخريب ظاهره؛ كما قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: لو علمت أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتة أجلس عليها. رواه الخطيب البغدادي[2].

وروى ابن أبي الدنيـا عن حذيفـة المرعشي صاحـب يوسـف بن أسباط: أنه رأى على رأس حناذ القلاء رحمه الله تعالى قَلَنْسوَةً سوداء مخرقة، وفرواً مخرقاً.

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٣٠١).

(٢) ورواه الإمام أحمـد في «الزهـد» (ص: ٣٢٠). ونقلها الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ١٩٦) عن الدارقطني، وقال: هذه حكاية مظلمة السند.

فقال له: ما هذه القَلَنْسُوَة على رأسك؟

قال: وجدت قلبي يصلح عليها.

قال حذيفة: فلم أر أحداً إن شاء الله كان أصدق منه.

قيل له: أين كان من يوسف بن أسباط؟

قال[1]: ما كان يوسف [بن أسباط][2] يصلح إلا شاكراً لذلك[3].

فتأمل كيف لا يعتبر أرباب القلوب ما ازدراه منهم الناس إذا صلحت قلوبهم لطاعة الله تعالى وحبه!

وكفاك دليلاً على ذلك قول الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام لقومه حين ازدروا أتباعه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ٣١].

قال السدي في قوله: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا﴾[هود: ٣١]: يعني: إيماناً. رواه أبو الشيخ[4].

وبالإيمان صلاح القلب كما سبق، وإذا صح إيمان القلب صلح القلب برثاثة الحال، فهي أولى كما لو صح بحسن البزة وسعة الحال كانت هي أولى، إلا أن الخطر في ذلك أعظم وأشد.

ولقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّفا الزُّلالُ الَّذِي لا تَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدامُ

---

(١) في «أ» و«ت»: «قيل».

(٢) ما بين معكوفتين ليس في «أ».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٩٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤١٦).

العُلَماءِ الطُّمَّعِ». رواه ابن المبارك عن سهيل[1] بن حسان مرسلاً[2].

وبزة الدنيا وزهرتها أعظم شيء يحرك الطمع في قلب العبد، فلا يكاد يصلح عليه إلا قلوب الصديقين، وأما من سواهم فقد تأخذه بعزة وابتهاج عند حسن الملبس وطيب العيش، ويكون سببه استيفاء النفس لمقصودها وشهوتها، فيحسب أن ذلك صلاح قلب، وقد وقع في الفساد والهلاك.

قال الخطيب في «تاريخه»: حدثنا أبو بكر البرقاني قال: قلت لأبي الحسين بن سمعون: أيها الشيخ! أنت تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا والترك لها، وتلبس أحسن الثياب، وتأكل أطيب الطعام؛ فكيف هذا؟

فقال: كل ما يصلحك [لله] فافعله؛ إذا صلح حالك [مع الله] بلبس لين الثياب، وأكل طيب الطعام فلا يضرك[3].

* فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَأَربعونَ:

قال أبو العتاهية: [من البسيط]

لَـنْ يـصلحَ الـنَّفسَ مـا كانَـتْ مُـصَرَّفَةً
إِلاَّ التَّنَقُّـلُ مِـنْ حـالٍ إِلـى حـالِ[4]

---

(١) في «أ» و«ت»: «سهل».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٩١).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٧٥).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٠١).

وفي معناه وجهان:

الأول: أن النفس إذا لزمت حالاً واحـدة ملَّت، فإذا انتقلـت بها الأحوال من حركة إلى سكون، ومن عشير إلى عشير، ومن طعـام إلى طعام، ومن لباس إلى لباس، صلحت وصفا لها وقتها.

وعليه: فصلاحها المراد به صيانتها عن الملل، فالمراد به صلاح عيشها في الدنيا.

وكان المأمون يفهم ذلك من البيت كما ذكـر الماوردي في «أدب الدين والدنيا»: أن المأمون كان يتنقل كثيراً في داره من مكان إلى مكان، وينشد البيت[1].

وقد يكون بصلاح عيشها في الدنيا صلاح آخرتها، ومن ثم قيل: روحوا النفس ساعة وساعة.

والثاني: أن النفس لا يصلحها بقاؤها على أصل فطرتها، والحال التي طبعت عليها حتى تنتقل من حال إلى حال أكمـل منها من محاسن الأخلاق والآداب كما في الحديث المتقدم: «إِنَّما العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّما الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» فلا يكره خلقاً ولا يستقبح حالاً إلا انتقل إلى خلق أحسن منه وحال أصلح منه، ولا يرجو في شيء نفعاً إلا طلبه، ولا يظن من شيء ضرراً إلا تنزه عنه، كما قال أبو العتاهية أيضاً: [من الطويل]

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ١).

إِذا كَـــفَّ عَبْــدُاللهِ عَمَّـــا يَــضُرُّهُ
وَأَكْثَـــرَ ذِكْـــرَ اللهِ فَالعَبْــدُ صـــالِحُ

* فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَأَرْبَعونَ:

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي العلاء بن الشِّخِّير رحمه الله تعالى قال: ما أعطي رجل ما أعطي عبد في الإسلام أفضل من عقل صالح يرزقه[1].

وكلامه يدل على أن العقل منه صالح ومنه غير صالح، وهو كذلك.

والعقل الصالح ما يعقل صاحبه على خير وعن الشر، وهو العقل الذي يعترف الفاجر يوم القيامة بأنه لم يكن لـه منه نصيب كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠ ـ ١١].

وأما العقل الذي ليس بصالح فهو العقل الذي يصرفـه صاحبه في تحصيل دنياه وموافقة هواه، فهو يوم القيامة حجـة على صاحبه، ومنـه عقول أهل الدهـاء والمكر، بل عقـول أكثـر الخلق غيـر مصروفـة إلى ما ينفعهم في الآخرة لتوجهها إلى إصلاح الدنيا ومتابعة الهوى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأٓخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم: ٦ ـ ٧].

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٩٤٢).

قال ابن عباس: يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[١].

ورووا عن قتادة في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الروم: ٧]؛ قال يعلمون تجارتها، وحِرَفها، وبيعها[٢].

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الروم: ٧]؛ يعني: معايشهم؛ متى يغرسون، ومتى يزرعون، ومتى يحصدون[٣].

وقال الحسن رحمه الله تعالى في الآية: ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي. رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤].

قلت: قد بلغ من حذقهم ما دققوه من الفكر في عمل الآنية والأمتعة، والنقوش والزخارف والتصاوير، واصطناع الشخوص المتحركة، والإصطرلابات، والساعات المرتبة على لوالب وحركات تنتقل حتى تنتهي حركتها إلى رأس كل ساعة فتضرب، وبيوت الإبر التي لا تتوجه في المرآة إلا إلى جهة الجنوب[٥]، وأعمال الناريجيات والسيمياء، والتغطية على أبصار الناس، وأنواع السحر والكهانة.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ٢٣).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ٢٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ٢٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٨٤).

(٥) يقصد البوصلة.

ومنهم أن يكون ذكاؤه وحذقه في تحريف الكلام وتصحيفه، أو يكون فكره في استخراج عيوب الناس وهجائهم، أو المبالغة في المديح والتشبيب والهجاء، ثم ترى الواحد منهم لا يعرف حكم وضوئه ولا صلاته، ولا بيعه ولا شرائه، ولا تصرفاته التي فيها خلاصه في الدار الآخرة.

نعم؛ يعرف طريق المكاسب والمكر والخديعة في البيع والشراء والحيلة في الحساب، وبذل بعض أنواع النقود دون بعض لما فيه من التفاوت وانتقاص الغريم من حقه.

ومن كان عقله كذلك فهو فاسد العقل، مطموس القلب، متعرض للهلاك والندامة والحسرة في الدار الآخرة.

وإنما العاقل: الأريب، الصالح العقل من فطانته وحذقه في أمور دينه(١).

ولقد أحسن القائل: [من الطويل]

أَلا إِنَّ خَيرَ العَقْلِ ما دَلَّ أَهْلَهُ
عَلى البِرِّ وَالتَّقْوى وَنَيْلِ الْمَكارِمِ

*** فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَأَربعونَ:**

روى أبو داود، والترمذي ـ وصححه ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله

---

(١) في «أ»: «آخرته» بدل «دينه»، والمثبت من «ت».

تعالى عنهما قال: مر علينا رسـول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًّا[1] لنا، فقال: «ما هَذا؟».

فقلنا: قد وَهى فنحن نصلحه.

فقال: «ما أَرى الأَمْرَ إلاَّ أَعْجَلَ مِنْ هَذا»[2].

فيه إشارة إلى أن إصلاح الدنيا ليس من المهمات التي ينبغي الاعتناء بها للصالحين؛ فإنهم إنما هم في صلاح آخرتهم لا دنياهم، وإلى أن الذي يهون على العبد خراب الدنيا، وترك الاهتمام بإصلاحها قصر الأمل، واعتقاد زوال الدنيا ومفارقتها عن قرب.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ثابت البناني رحمه الله تعالى: أن صفوان بن محرز رحمه الله تعالى كان له خُصٌّ فيه جذع، فانكسر الجذع، فقيل له: ألا تصلحه؟

فقال: دعوه؛ إنما أموت غداً[3].

نعم؛ لا بد مما لا بد منه من إصلاح الضروري من الدنيا كإصلاح الهيئة اللائقة بالعبد حفظاً لمروءته، وصيانة لعرضه عن وقوع الناس فيه كما قال رسول الله ﷺ: «إِذا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ فَلا يَمْشِ فِي الأُخْرى

---

(١) الخص: البيت من قصب.

(٢) رواه أبو داود (٥٢٣٥)، والترمذي (٢٣٣٥) وصححه، وكذا ابن ماجه (٤١٦٠).

(٣) ورواه ابن أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢١٥).

حَتَّى يُصْلِحَها». رواه مسلم، وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وكذلك حفظ ما أعطاه الله تعالى من متاع الدنيا للانتفاع به في طاعة الله تعالى ولو في المستقبل من طعام وشراب، ولباس وفراش، ومال كما قال رسول الله ﷺ: «أَطْفِئُوا الْمَصابِيحَ إذا رَقَدْتُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوابَ، وَأَوْكِئُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعامَ وَالشَّرابَ وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرِضُهُ عَلَيهِ». رواه البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه[2].

وكذلك إصلاح شأنك وهيئتك وبزتك إرغاماً للحاسد، وإظهاراً للنعمة كما قال رسول الله ﷺ: «أَحْسِنوا لِباسَكُمْ، وَأَصْلِحوا رِحالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شامَةٌ فِي النَّاسِ». رواه الحاكم ـ وصححه ـ عن سهل بن الحنظلية رضي الله تعالى عنه[3].

وهو في «مسند الإمام أحمد»، ولفظه: قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّكُمْ قادِمُونَ عَلى إِخْوانِكُمْ؛ فَأَصْلِحُوا رِحالَكُمْ، وَأَصْلِحوا لِباسَكُمْ حَتَّى تَكُونوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شامَةٌ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ»[4].

وروى أبو داود عن أبي الأحوص، عن أبيه رحمه الله قال: أتيت

---

(١) رواه مسلم (٢٠٩٨).

(٢) رواه البخاري (٥٣٠١).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣٧١)، وكذا أبو داود (٤٠٨٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٠).

رسول الله ﷺ في ثوب دون، فقال: «أَلَكَ مالٌ؟».

قال: قلت: نعم.

قال: «مِنْ أَيِّ الْمالِ؟».

قال: من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق.

قال: «فَإِذا آتاكَ اللهُ فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيكَ وَكَرامَتُهُ»(١).

وروى الترمذي ـ وحسنه ـ والحاكم ـ وصححه ـ عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما، والإمام أحمد عن أبي هريرة، وعمران بن الحصين رضي الله تعالى عنهم، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، والطبراني في «الكبير» عن ابن علقمة رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلى عَبْدِهِ»(٢).

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمانٍ، وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣٦)، وكذا النسائي (٥٢٢٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٨١٩) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٧١٨٨) عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما.
والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١١) عن أبي هريرة، و(٤/ ٤٣٨) عن عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنهما.
والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٦٨) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

قال رجل: يا رسول الله! إنه يعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً، ورأسي دهيناً، وشراك نعلي جديداً ـ وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه ـ فمن الكبر ذاك يا رسول الله؟

قال: «لا؛ ذاكَ الْجمالُ، إِنَّ اللهَ ﷻ [جَمِيلٌ] يُحِبُّ الْجَمالَ، وَلَكِنَّ الكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَازْدَرى النَّاسَ»[1].

فإصلاح البزة إذا خلا من هذا المرض الباطني ـ وهو سفه الحق، وازدراء الناس والخيلاء ـ لا يناقض الصلاح، فإذا وجد العبد من نفسه شيئاً من ذلك كان إصلاح قلبه بإيثار الخلق والدون، أو ما مـر بإصلاح ظاهره كما سبق عن مالك بن دينار، وحناذ القلاء رحمهما الله تعالى.

ولقد قال عيسى بن مريم عليهما السلام: جَودة الثياب من خيلاء القلب. رواه أبو نعيم عن ابن شوذب[2].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن علي بن يزيد بن جدعان قال: رأى علَيَّ سعيد بن المسيب جبة خز، فقال لي: إنك لجيد الجبة!

قلت: وما تغني وقد أفسدها علَيَّ أبو عبدالله سالم بن عبدالله؟

قال: أصلح قلبك، والبس ما شئت[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٩) واللفظ له، ومسلم (٩١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٣).

وروى ابن أبي شيبة عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى أنه قال: قلب نقي في ثياب دَنِسةٍ، خيرٌ من قلب دَنِسٍ في ثياب نقية[1].

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَصْلِحُوا دُنْياكُمْ، واعْمَلُوا لآخِرَتِكُمْ كأَنَّكُمْ تَمُوتونَ غداً»[2].

وهذا الحديث على وزان قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

في قوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] قولان:

الأول: أن المراد بالنصيب ما يحتاج إليه في الدنيا لمعاشه.

قال قتادة: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]؛ أي: تأخذ من الدنيا ما أحل الله لك؛ فإن لك فيه غنى وكفاية. رواه عبد بن حميد[3].

وقال الحسن في الآية: قدم الفضل، وأمسك ما يبلغك[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٧١).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٣٤)، وكذا القضاعي في «مسند الشهاب» (٧١٧) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٣٩)، وكذا رواه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ١١٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» =

وفي رواية: أمسك قوت سنة، وتصدق بما بقي[1]. رواه ابن أبي شيبة، والبيهقي في «الشعب»، وابن أبي حاتم، وغيرهم.

والقول الثاني: أن المراد بالنصيب ما صرفه العبد من الدنيا في طلب الآخرة.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[القصص: ٧٧]: أن تعمل فيها لآخرتك.

وفي رواية: ولا تترك أن تعمل لله في الدنيا. رواه ابن أبي حاتم[2].

وقال مجاهد: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[القصص: ٧٧]: الذي تثاب عليه في الآخرة. رواه عبدالله بن أحمد، وابن أبي حاتم، وآخرون[3].

* فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَأَرْبعونَ:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٩٣].

= (٣/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠١١)، وكذا الطبري في «التفسير» (٢٠/ ١١٣).

(١) بهذا اللفظ رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠١١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠١٠) باللفظين.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠١٠)، وكذا رواه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ١١٢) واللفظ له.

وهذه الآية ـ وإن نزلت فيمن شرب الخمر، ومات قبل تحريمه كما صححه الترمذي عن البراء بن عازب، والحاكم عن ابن عباس[1] ـ فإنها عامة في حق كل صالح اتقى الله تعالى في طعامه وشرابه، فلا حرج عليه فيه ولا في سائر مباحات الدنيا؛ وإن كان مسؤولاً عنه لعموم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[التكاثر: ٨]؛ فإن الصحيح أن العبد الصالح ـ وإن سئل عما نعَّمه الله به في الدنيا ـ فإنما يسأل سؤال تمحيص وامتنان، لا سؤال توبيخ وتثريب.

واعلم أن في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[التكاثر: ٨] أقوالاً:

أحدها: أن العبد يسأل عن كل نعيم مطلقاً.

والثاني: أنه يسأل عن ما سوى ما يشبع بطنه ويرويه، ويستر عورته، ويكنه من الحر والبرد أقل ما يكفيه من ذلك.

والثالث: أنه إذا تنعم وحمد الله تعالى عليه لا يسأل عنه، ويسأل عما ترك الحمد عليه.

والرابع: أنه إنما يسأل عن الحرام.

والخامس: أنه إنما[2] يسأل عما تناوله بغفلة عن الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٠) وصححه، عن البراء رضي الله عنه.
والحاكم في «المستدرك» (٧٢٢٥)، وكذا الترمذي (٣٠٥٢) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في «ت»: «لا» بدل «إنما».

والسادس: أن كل عبد يسأل إلا أن السؤال يختلف؛ فتارة يكون سؤال تثريب وعقوبة، وتارة يكون سؤال تمحيص لما بقي عليه من خطيئة ونحوها، وتارة يكون سؤال امتنان ليعترف العبد[1].

قلت: هذا القول هو الصحيح.

ثم أعتقد أن من عباد الله تعالى من لا يسأل عن شيء بالكلية فضلاً من الله تعالى وعفواً؛ إذ لا يلزم من قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[التكاثر: ٨] أن يسأل كل الناس، ولا أن يسأل العبد عن كل شيء؛ بل يكفي في صدق هذه العبارة أن يسأل المعظم عن المعظم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم!

*** فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَأَرْبعونَ:**

روى الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» عن محمود بن خالد قال: قلت لأبي حفص عمر[و] بن أبي سلمة: تحب أن تحدث؟

قال: ومن يحب أن يسقط اسمه من الصالحين[2]؟

وعن أبي بكر بن أبي مريم قال: كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى والي حمص: مُرْ لأهل الصلاح من بيت المال ما يغنيهم لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث[3].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٧٧).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٥١).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٦٤).

وفي كلامه إشارة إلى أن أهل الصلاح هم القراء والمحدثون.

وقد شهد النبي ﷺ للمحدثين بالعدالة، وهي داخلة في صفة الصلاح؛ إذ لا يتحقق الصلاح إلا بها.

وروى الخطيب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ [يقول]: «يَرِثُ هَذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ»[1].

وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، وفي «التاريخ» عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رضي الله تعالى عنه ـ واختلف في صحبته ـ وزاد: «يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغالِينَ، وَانْتِحالَ الْمُبْطِلينَ، وَتأْوِيلَ الْجاهِلِينَ»[2].

وأخرجه ابن عدي في «الكامل»، ومن طريقه الخطيب بهذه الزيادة عن أبي هريرة إلا أنه قال: «يَحْمِلُ هَذا العِلْمَ»[3].

وبه أخرجه الخطيب أيضاً من رواية إبراهيم بن عبد الرحمن العذري أيضاً.

ثم روى من طريق أبي بكر الخلاَّل قال: قرأت على زهير بن صالح: ثنا مهنا ـ وهو ابن يحيى ـ قال: سألت أحمد ـ يعني: ابن حنبل ـ عن حديث معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رضي الله

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢٨).

(٢) ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ١٤٧).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ١٤٦)، وكذا الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢٨).

تعالى عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «يَحْمِلُ هَـذا العِلْمَ مِنْ كُـلِّ خَلَفٍ عُدولُـهُ؛ يَنْفُـونَ عَنْـهُ تَحْرِيـفَ الْجاهِلِينَ، وَانْتِحـالَ الْمُبْطِلينَ، وَتَأْوِيلَ الغالِينَ».

فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع؟

قال: لا، هو صحيح.

فقلت له: ممن سمعته أنت؟

قال: من غير واحد.

قال أحمد: معاذ بن رفاعة لا بأس به.

فهذا نص من الإمام أحمد بتصحيح الحديث، وكفى به[1].

ومن عدله رسول الله ﷺ كيف لا يكون صالحاً؟

نعم؛ قـد يطلب الحديـث والعلم من ليس بعـدل، فلا يكون من حملة العلم والحديث، ولا من ورثتـه حتى يحمل أعباءه ويقوم بشرطه وأدبه، وحينئذ يكون من صالحي الأمة وخيارها.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنـه: ليس قوم عندي خيراً من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث[2].

ورأى أصحابَ الحديث وقـد خرجـوا من عند محدث والمحابر

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢٩).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٨).

بأيديهم، فقال أحمد: إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس[1]!

وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى: ما أحد خيراً من أصحاب الحديث[2].

وقال عمر بن حفص بن غياث: سمعت أبي وقالوا له: أما ترى أصحاب الحديث وكيف تغيروا؟ كيف قد فسدوا؟ قال: هم على ما هم خيار القبائل[3].

وقال عثمان بن أبي شيبة رضي الله تعالى عنه، وكان رأى بعض أصحاب الحديث يضطربون فقال: أما إن فساقهم خير من عُبَّاد[4] غيرهم[5].

وقال الإمام أحمد أيضاً: أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم[6].

وقال: إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون!

وقال سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فلا أدري من الأبدال!

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى: إن لم يكن أهل القرآن

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٩).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ١٤٠).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٧).

(٤) في «أ»: «عابد»، والمثبت من «ت».

(٥) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٩).

(٦) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٨).

والحديث أولياءَ الله، فليس لله في الأرض ولي[1].

روى هذه الآثار كلها الخطيب.

وروى أبو الفتوح الطائي في «أربعينه» عن ابن الأنباري: [من الكامل]

أَهــــلاً وَسَــــهلاً بِالَّـــذِينَ أَوَدُّهُـــمْ
وَأُحِـــــبُّهُمْ فِـــــي اللهِ ذِي الآلاءِ

أَهــــلاً بِقَـــومٍ صـــالِحينَ ذَوِي تُقَـــىً
خَيْـــرِ الرِّجـــالِ وَزَيْـــنِ كُـــلِّ مَـــلاءِ

يَــسْعَوْنَ فِــي طَلَــبِ الْحَــدِيثِ بِعِفَّــةٍ
وَتَـــــوَقُّرٍ وَسَـــــكِينَةٍ وَحَيـــــاءِ

لَهُـــمُ الْمَهابَـــةُ وَالْجَلالَـــةُ وَالتُّقَـــى
وَفَـــضائِلٌ جَلَّـــتْ عَـــنِ الإِحْـــصاءِ[2]

* فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَأَرْبعونَ:

روى مسلم عن يحيى بن سعيد القطان: لم نرَ الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

---

(1) رواها الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٥٠).

(2) وانظر: «معجم السفر» لأبي طاهر السلفي (ص: ٢١٣).

وعزاها ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣١) إلى ابن دريد.

وفي رواية: لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث.

قال مسلم: يقول: يجري الكذب على ألسنتهم، ولا يتعمدون الكذب[1].

قال النووي: وذلك لكونهم لا يعانون صناعة الحديث، فيقع الخطأ في رواياتهم ولا يعرفونه، ويروون الكذب ولا يعلمون أنه كذب.

ومذهب أهل الحق أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو؛ عمداً كان، أو سهواً، أو غلطاً، انتهى[2].

قلت: ليس كلام يحيى بن سعيد شاملاً لكل صالح وكل من كان من أهل الخير؛ بل أراد من غلب عليه الصلاح وعمل الخير حتى لم يشتغل بإتقان صناعة الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه منهم، ولم يطعن ذلك في صلاحه.

وثَمَّ طائفة أخرى بارعون في الحديث، ثقات فيه، مبرزون في العمل الصالح والانقطاع إلى الله تعالى، فهم أكمل منهم صلاحاً كالحسن، وابن سيرين، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومالك ابن دينار، والفضيل، وسفيان الثوري، ومِسْعر، وأحمد بن حنبل؛ في خلائق لا يحصون طبقة بعد طبقة.

وفي معنى كلام ابن سعيد ما رواه مسلم أيضاً عن أبي الزناد قال:

---

(١) انظر: «مقدمة صحيح مسلم» (١/ ١٨).

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ٩٤).

أدركت بالمدينة مئة كلهم مأمونون ما يؤخذ عنهم الحديث؛ يقال: ليس من أهله[1].

* **فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَأَربعونَ:**

مما شرط فيه الصلاح: التصوف؛ فلا يكون الصوفي صوفياً حتى يكون صالحاً، بل الصوفية خيار الصالحين، وإلا كانوا متشبعين.

قال أبو سعيد الحسن بن علي الواعظ في كتاب «الحقائق»: حكي أن سلطاناً هجم على جماعة جلسوا على غير صلاح، وعلى واحد منهم مرقعة، فقال صاحب المرقعة: أمهلوني حتى أنزع مرقعتي وأعطيكم مئة درهم.

ففعلوا، ثم قالوا له في ذلك.

قال: خشيت أن يقال: هذا رجل صوفي جلس على غير صلاح، فيقبح اسم الصوفية عند الناس.

وسئل حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى عن مال أوصي به للصوفية؛ فمن الذي يصرف إليه؟

فأجاب بأن التصوف أمر باطني لا يطلع عليه، فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته، بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي، ثم بين أنها خمس صفات: الصلاح، والفقر، وزي الصوفية، وألا يكون مشتغلاً بحرفة لا تليق بهم كالتجارة والدَّهْقنة، لا كالورَّاقة

---

(١) انظر: «مقدمة صحيح مسلم» (١/ ١٥).

والخيَّاطة، وأن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة في الخانقاه ونحوها؛ ثم بسط القول على ذلك[1].

وقد استوفيت مقاصد جوابه في شرح ألفية التصوف للجد المسمى بـ: «منبر التوحيد».

* **فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ خَمسينَ فائِدَةً:**

روى النسائي، وغيره ـ بإسناد جيد ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي، ولسنا هنالك، ثم إن الله ﷻ قضى علينا أن بلغنا ما ترون، فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله ﷻ، [فإن جاء أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون][2]، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه ﷺ، ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه ولا يقول: إني أخاف، وإني أخاف؛ فإن الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبَيْن ذلك أمور مشتبهات؛ فدع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك[3].

وروى النسائي أيضاً: أن عمر رضي الله تعالى عنه كتب إلى شريح: أن اقض بما في كتاب الله تعالى، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٥٣).

(٢) ما بين معكوفتين من «سنن النسائي».

(٣) رواه النسائي (٥٣٩٧) وقال: حديث جيد.

رسول الله ﷺ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فاقض بما قضى به الصالحون، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخير إلا خيراً لك؛ والسلام[1].

والمراد بالصالحين في هذين الأثرين: العلماء العاملون، الراسخون في العلم المجتهدون؛ كعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهم.

ولا يتناول ذلك عوام الصالحين من المتعبدين والمتزهدين.

وقد استقر الأمر الآن على تقليد الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، والأخذ من قواعد مذاهبهم، ونصوص المعتبرين من أصحابهم رضي الله تعالى عنهم.

*** فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَخَمسونَ:**

روى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن الربيع بن يونس قال: رأيت أمير المؤمنين المنصور ينازل أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه في أمر القضاء، وهو يقول: اتق الله ولا تدع في أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا؛ فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددني أن تغرقني في الفرات، أو أن أَلي الحكم، لاخترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك فلا أصلح لذلك.

---

(١) رواه النسائي (٥٣٩٩).

فقال له: كذبت، أنت تصلح.

فقال: قد حكمت لي على نفسك؛ كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب[1].

قول أبي حنيفة ﷺ: لا أصلح لذلك؛ يعني: القضاء؛ أي: لا أرى نفسي صالحاً له، ولا آمن على نفسي أن تستقيم في الرضا والغضب، وفيما لو توجه الحكم على الخليفة فمن دونه أو على حاشيته.

وهذه من آفات القضاء، ولذلك امتنع منه كثير من السلف الصالحين لاستضعاف أنفسهم عنه، وخوفهم من الفتنة فيه.

وقد روى الترمذي: أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال لابن عمر: اذهب فاقض بين الناس.

قال: أوتعافيني يا أمير المؤمنين؟

قال: وما تكره من ذلك وقد كان أبوك يقضي؟

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كانَ قاضِياً يَقْضِي بِالْحَقِّ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَنْقَلِبَ مِنْهُ كفافاً»؛ فما أرجو بعد ذلك[2]؟

وفي رواية: فقال: لا أقضي بين رجلين.

قال: فإن أباك كان يقضي؟

قال: فإن أبي كان يقضي، فإن أشكل عليه شيء سأل رسول الله ﷺ،

---

(١) ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢٨).

(٢) رواه الترمذي (١٣٢٢) وقال: غريب وليس إسناده عندي بمتصل.

فإن أشكل على رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام، وإني لا أجد من أسأله.

وقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «مَنْ عاذَ بِاللهِ تَعالَى فَقَدْ عاذَ»، وإني أعوذ بالله منك أن تجعلني قاضياً.

فأعفاه، وقال: لا تخبرن أحداً[1].

وروى البيهقي عن أيوب قال: وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدَّ الناس منه فراراً، وأشدهم منه فَرَقاً.

ثم قال: وما كنت أدركت أحداً كان أعلم بالقضاء من أبي قلابة، وكان يراد على القضاء فنفر إلى الشام مرة، ونفر إلى اليمامة مرة، وكان إذا قدم البصرة كان كالمستخفي حتى يخرج[2].

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: دخل سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه على أمير المؤمنين المنصور، فجعل يتجانن عليه[3] ويمسح البساط، ويقول: ما أحسنه! بكم أخذتم هذا؟ ثم قال: البول! البول! حتى أُخرج؛ يعني: إنه احتال ليتباعد عنهم ويسلم من أمرهم[4].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٤٦)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٤٨).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٩٧).

(٣) في «السنن الكبرى»: «عليهم».

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٩٨).

وذكر الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» عن مسعر رحمه الله تعالى قال: دعاني أبو جعفر ليوليني، فقلت: إن أهلي يقولون: لا نرضى اشتراءك لنا في شيء بدرهمين؛ وأنت توليني! أصلحك الله! إن لنا قرابةً وحقاً؛ فأعفاه[1].

أراد بالقرابة: أم الفضل الهلالية والدة عبدالله بن عباس، وكان مسعر هلالياً.

وذكر عن أبي بكر بن أبي داود قال: كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن علي - يعني: الجهضمي، أحد الحفاظ والأئمة بالبصرة - يشخصه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة، فأمره بذلك، فقال: أرجع فأستخير الله.

فرجع إلى بيته نصف النهار، فصلى ركعتين، وقال: اللهم إن كان لي عندك خير[2] فاقبضني إليك.

فنام، فأنبهوه فإذا هو ميت[3].

وعن الحسن بن علي الزنجاني قال: كان يحيى بن يحيى النيسابوري الحافظ، أحد الأئمة يحضر مجلس مالك، وكان يحضره

---

(١) انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٠/ ١٠٣)، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٢).

(٢) في «أ» و«ت»: «خيرة».

(٣) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٩/ ٣٦١).

المأمون، قال: فانكسر قلم يحيى، فناوله المأمون قلماً من ذهب، فامتنع من أخذه، فكتب المأمون على ظهر جزء: ناولت يحيى بن يحيى قلماً فلم يأخذه.

فلما ولي الخلافة كتب إلى عامله أن يولي يحيى بن يحيى قضاء نيسابور، فقال يحيى للأمير: قل لأمير المؤمنين: ناولتني قلماً وأنا شابٌّ فلم أقبله، أفتجبرني على القضاء وأنا شيخ؟

فرفع ذلك إلى المأمون فقال: يولي رجلاً يختاره.

فأشار برجل، فلم يلبث أن دخل الرجل على يحيى وعليه السواد، فضم يحيى فراشه كراهية أن يجمعه وإياه فراش، فقال: ألم تخترني؟

قال: إنما قلت: اختاروه[1]، ولم أقل لك تتقلد القضاء[2].

* **فائِدَةٌ ثانِيَةٌ وَخَمسونَ:**

روى النسائي عن ابن الفراسي: أن الفراسي رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله ﷺ: أسأل يا رسول الله[3]؟

قال: «لا، وَإِنْ كُنْتَ سائِلاً لا بُدَّ فَاسْأَلِ الصَّالِحينَ»[4].

قال الحافظ زين الدين العراقي رحمه الله تعالى في «شرح الترمذي»:

---

(١) في «أ» و«ت»: «أختار».

(٢) رواه ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ١١٣).

(٣) في «أ» و«ت»: «أنسأل برسول الله».

(٤) رواه النسائي (٢٥٨٧)، وكذا أبو داود (١٦٤٦).

هل المراد بالصالحين الذين عليهم حقوق أموالهم، ولا يمنعون إعطاء ما عليهم من الحق، وقد لا يعلمون استحقاق المستحق من غيره، فإذا عرفوا بسؤال المحتاج أعطوه مما عليهم؟

أو المراد: الصالحون الساعون في مصالح الخلق بسؤالهم لمن علموا استحقاقه ممن عليه حق، فيعطيهم أرباب الأموال لوثوقهم بصلاحهم؟

قال: وقد رأينا جماعة يكون قصدهم قضاء حوائج المحتاجين، وليس لهم أموال؛ يسألون أرباب الأموال لأهل الحاجات، انتهى.

قلت: لا شك أن الوجه الأول أقرب.

وعليه: فلا منافاة بين الصلاح والغنى كما تقدم.

ولكن أقرب منه أن يراد بالصالحين: الذين لا يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٢٦٢].

بل من هؤلاء من يرون المنة للسائل عليهم، ويسابقون السائل بالعطاء، ولا يقولون له: لا، وكان بعضهم يقول للسائل: اكتب ما تحتاج إليه في مرة أخرى؛ فإني أكره أن أرى في وجهك ذُلَّ السؤال.

ومن شأن هؤلاء البشاشة والصباحة، وإجزال النوال، والسماحة، ولا يعبسون في وجهه، ولا يتبرمون من سؤاله، وهم حِسان الوجوه

الذين قال رسول الله ﷺ في حقهم: «الْتَمِسُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسانِ الوُجُوهِ».
رواه تمام في «فوائده» من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[1]، وله طرق أخرى، وهذه أحسن الطرق[2].

وفي بعض ألفاظه: «اطْلُبُوا الْحَوائِجَ وَالْخَيْرَ عِنْدَ حِسانِ الوُجُوهِ».

وفي لفظ آخر: «عِنْدَ صِباحِ الوُجُوهِ».

وقال حسان بن ثابت، أو عبدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج»، والعسكري في «الأمثال»: [من الخفيف]

لَقَدْ سَمِعْنا نَبِيَّنا قالَ قَولاً ... هُوَ لِمَنْ يَطْلُبُ الْحَوائِجَ راحة
اطْلُبُوا الْخَيْرَ وَالْحَوائِجَ مِمَّنْ ... زَيَّنَ اللهُ وَجْهَهُ بِصَباحَة[3]

وما أحسنَ ما قيل: [من مجزوء الكامل المرفل]

لِلْخَيْرِ أَهْلٌ لا تَزا ... لُ وُجُوهُهُمْ تَدْعُو إِلَيْهِ

---

(١) رواه تمام في «فوائده» (١/ ٣٤٠).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٤٨): وطرقه كلها ضعيفة وبعضها أشد في ذلك من بعض، وأحسنها ما أخرجه تمام.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٥٩) ولفظه:

قد سمعنا نبينا قال قولا ... هو لمن يطلب الحوائج راحه
اغتدوا فاطلبوا الحوائج ممن ... زين الله وجهه بصباحه

طُـوبَى لِمَـنْ جَـرَتِ الأُمُـو　　　رُ الـصَّالِحاتُ عَلـى يَدَيْـهِ[1]

* **فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَخَمْسونَ:**

إذا كـان سـؤال الـدنيـا إذا احتيج إليـه لا ينبغي أن يكـون إلا من الصالحين، فالسـؤال عـن العلم واسـتفادتـه أولى بأن لا يكـون إلا من الصالحين.

روى مسلم في مقدمة «الصحيح» عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال: إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم[2].

قال النووي في «شرح المهذب»: قالوا: ولا نأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته، وظهرت ديانتـه، وتحققت معرفتـه، واشتهرت صيانتـه وسيادته، فقد قال ابن سيرين، ومالك، وخلائق من السلف: هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم[3].

ثم قال في «آداب المستفتي»: يجـب عليـه قطعـاً البحـث الـذي يعرف به أهلية من يستفتيه للإفتاء إذا لم يكن عارفاً بأهليته؛ فلا يجوز له استفتاء من انتسب إلى العلم وانتصب للتدريس والإقراء وغيـر ذلك

---

(١) البيتان لعبد العزيز بن سليمان الأبرش، كما في «روضة العقلاء» لابن حبان (ص: ٦٥). وزاد بيتاً وهو:

مــالم يــضق خلــق الفتــى　　　فـــالأرض واســـعة عليـــه

(٢) رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ١٤).

(٣) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٢٥).

من مناصب العلماء بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك، ويجوز استفتاء من استفاض كونه أهلاً للفتوى، انتهى[1].

وأهل الفتوى من استوفى شروط المفتي التي ذكرها النووي أيضاً، فقال: شرط المفتي كونه مكلفاً، مسلماً، ثقةً، مأموناً، منزهاً عن أسباب الفسق وخوارم المروءة، فقيهَ النفس، سليمَ الذهن، رزينَ الفكر، صحيحَ التصرف والاستنباط، متيقظاً[2].

قلت: ومن كان بهذه الصفة فهو من خيار الصالحين وصفوة المفلحين.

قال النووي: واتفقوا على أن الفاسق لا تصح فتواه، ونقل الخطيب فيه إجماع المسلمين[3].

فظهر بذلك أن قصد الصالحين من العلماء، فالاستفتاء عند الحاجة إليه واجب.

وهل يجب البحث عن الأعلم والأورع إذا كان هناك اثنان فأكثر ممن يستفتى، أو يجوز له استفتاء من شاء منهم؟

وجهان؛ الصحيح: الثاني لأن الجميع أهل.

قال أبو عمرو بن الصلاح: لكن متى اطلع على الأوثق فالأظهر

---

(١) انظر: «آداب الفتوى والمفتي والمستفتي» للنووي (ص: ٧١).

(٢) انظر: «آداب الفتوى والمفتي والمستفتي» للنووي (ص: ١٩).

(٣) انظر: «آداب الفتوى والمفتي والمستفتي» للنووي (ص: ٢٠).

أنه يلزمه تقليده كما يجب تقديم أرجح الدليلين وأوثق الروايتين.

قال النووي: فعلى هذا يلزمه تقليد الأورع من العالمين، والأعلم من الورعين؛ فإن كان أحدهما أعلم والآخر أورع، قلد الأعلم على الأصح[1].

*** فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَخَمسونَ:**

قال أبو طالب المكي في كتاب «القوت»: ويقال: إذا أثنى على الرجل جيرانُه في الحضر، وأصحابه في السفر، ومعامِلوه في الأسواق، فلا تشكُّوا في صلاحه، انتهى[2].

وفيه أن الصلاح لا يغاير التجارة والاكتساب والاحتراف، وهو كذلك؛ بل التاجر والمحترف إذا اتقيا الله تعالى في الكسب والاحتراف، وأقاما الصلاة، وآتيا الزكاة، فإنهما من الصالحين.

ولقد قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[النور: ٣٧].

لم يقل: لم يتجروا، ولم يبيعوا، بل قال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾[النور: ٣٧]، فهم كانوا يكتسبون ويحترفون إلا أنهم لم يتركوا لذلك طاعة توجهت عليهم، وبالنية يصير الكسب والحرفة عبادةً وطاعةً.

وسئل بعض السادة عن التصوف، فقال: الحرفة والعفة.

---

(١) انظر: «آداب الفتوى والمفتي والمستفتي» للنووي (ص: ٧٤).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٤٧).

والحرفة ـ وإن كانت دنيئة ـ لا تناقض الصلاح أيضـا كالجزارة، والدباغة إذا تحرز عن النجاسات.

إلا أن من الحرف ما اختاره السلف لمعنى فيه.

قال أبو طالب: وكانت هذه الأعمال العشرة صنائع الأخيار والأبرار: الخرز، والتجارة، والحمل، والخياطة، والقصارة، والخفاف، وعمل الحديد، وعمل المغازل، وصيد البر والبحر، والوراقة[1].

ومنها ما كرهوه لمعنى فيه أيضاً.

أوصى بعض التابعين رجلاً فقال: لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين: بيع الطعام، وبيع الأكفان؛ فيتمنى الغلاء وموت الناس.

والصنعتان: صنعة الجزارة؛ فإنها تقسي القلب، وصنعة الصائغ؛ فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة.

وكره ابن سيرين الدلالة.

وكره قتادة أجرة الدلال.

وكَرِه الحسن، وابن سيرين، وغيرهما الصرف[2].

وذلك كله مع تجنب المعصية في ذلك كله من الرِّبا، وصياغة الآنية من النقدين والحلي المحرم، وكذلك التصوير وعمل آلات اللهو.

فأما العاصي في حرفته فحاشا أن يكون من الصالحين، فإن كـان

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٤٣٨).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٤٣٧).

مصراً على صغيرة أو مرتكباً لكبيرة في كسبه أو حرفته فهو من الفاسقين، وإذا خرج من عهدة ما يجب عليه وكان بنية كفاية نفسه، والقيام على عياله، ومساعدة المسلمين بحرفته، وأتقن صنعته، وأحسن، وسمح في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، والقضاء والاقتضاء خصوصاً في هـذه الأعصار التي كثـر فيها الفسـاد، ومرجت فيها العهـود، واستنكر المعروف واستعرف المنكر، فهو في رتبـة الصديقيـة فضلاً عن عمـوم الصلاح.

ووجود واحد بهذه الصفة الآن في غاية العزة والشذوذ.

وذكر أبو طالب عن بعض السلف قال: أتى على الناس زمان كان الرجل يأتي إلى مشيخة الأسواق فيقول: من ترون لي أعامل من الناس من أهل الصدق والوفاء؟

فيقال له: عامل من شئت.

ثم أتى عليهم وقت آخـر وكان الرجل يقول: من ترون أعامل من الناس؟

فيقال له: عامل من شئت إلا فلاناً وفلاناً.

ونحن في زمان إذا قيل لنا: من نعامل من الناس؟

قلنا: ليس إلا فلاناً أو فلاناً.

وأخشى أن يأتي على الناس زمان يذهب هذا أيضاً[1].

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٤٤٦).

* **فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَخَمسونَ:**

ألهمني الله تعالى في قوله تعالى حكاية عن الجن في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١] مع قوله تعالى في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» كما رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1]، دليلاً سمعياً للقول الراجح في الجن أنهم يثابون على الإحسان كما يعاقبون على الإساءة خلافاً لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وآخرين أنهم يعاقبون على المعصية، وليس لهم ثواب إلا النجاة من النار فقط احتجاجاً بأنه لا دليل من السمع على أن لهم ثواباً غير ذلك[2].

ولا يخفى أن في هذه الآية مع الحديث المذكور دليلاً واضحاً على أن لهم ثواباً غير ذلك لأن الله تعالى يقول: «أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحِينَ»، وهم أعم أن يكونوا بشراً أو ملكاً أو جِنّاً، فتأمله: فإنه لطيف وهو من استنباطي؛ والله الموفق!

* **فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَخَمسونَ:**

حكى الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي رضي الله تعالى عنه في «روض

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٨)، والبخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (٢٨٢٤)، والترمذي (٣١٩٧)، وابن ماجه (٤٣٢٨).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢١٧).

الرياحين» في الحكاية الثالثة والعشرين بعد الأربعمئة عن بعض المشايخ قال: قال لي أبو بكر بن الشفق بطرسوس: إني سمعت من أبي الخير شيئاً لم يقبله قلبي منه.

قلت: وما هو؟

قال: ذكر أنه لقي عيسى بن مريم عليهما السلام.

قال: فقلت: أنا أحكي لك حكاية تصديقاً لأبي الخير: سمعت محمد بن حامد وقد ذكر قول رسول الله ﷺ: «كَيفَ أَخافُ عَلى أُمَّةٍ أَنا أَوَّلُهُمْ وَعِيسى آخِرُهُمْ»[1]؟ فقال ابن حامد: إن عيسى ينزل ثلاث مرات؛ يظهر في أول مرة للأولياء، وفي الثانية للصلحاء، والثالثة ينزل ببيت المقدس فيراه الخاص والعام.

فقام ابن الشفق فدخل داره، فركب دابة وخرج علينا، فقلت له: أين تريد؟

فقال: إلى أبي الخير أستحله.

فقلت له: اجلس إلى الغد.

فقال: إني أخاف والله الموت.

فلما كان بعد أيام رجع إلى طرسوس، فدخلت إليه فقال: رجعت بأعجب مما مضيت فيه عما مضيت فيه، وذلك أني وصلت وقد صلى

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادرالأصول» (٢/ ٩٣) عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، ولفظه: «لن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها».

أبو الخير العصر وهو في محرابـه، فلما صرت بباب المسجد قال لي: يا أبا بكر! ارجع فقد جعلناك في حل[1].

وقوله في هذه الحكاية يظهر في أول مـرة للأوليـاء، وفي الثانيـة للصلحاء؛ أراد بالأولياء خواص الصلحاء، لا مطلق الصلحاء، فلا تنافي بينه وبين ما سنذكره إن شاء الله تعالى من أن الأولياء هم الصالحون.

وقوله: وفي الثالثة ينزل ببيت المقدس؛ أراد أن يتخذ بيت المقدس نزلاً وسكناً، ولا يريـد نزولـه من السماء؛ فإن نزولـه من السماء يكون بدمشق لحديث أوس بن أوس رضي الله تعالى عنـه: أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ عِيسى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْـهِ السَّـلامُ عِنْـدَ الْمَنـارَةِ البَيْضـاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ». رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن[2].

وهو في «الصحيح» من حديث النواس بن سمعان[3].

* **فائِدَةٌ سابـِعَةٌ وَخَمسونَ:**

روى الإمام أحمد، وابن ماجه عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيلَةٍ»[4].

---

(١) انظر: «روض الرياحين في حكايات الصالحين» لليافعي (ص: ٣٥٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣١٧) وقال: في إسناده نظر.

وهذا الحديث يحتمل معنيين:

الأول: أن المهدي قد يكون قبل استخلافه مقارفاً لبعض ما عليه الناس، ثم يصلحه الله تعالى في ليلة فيكون من الصالحين كما أصلح الله تعالى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه حين استخلف، وكان قبل ذلك متنعماً بما عليه أبناء الخلافة والنعمة.

والثاني: أن المراد: يصلحه الله تعالى للخلافة، ويعرفه بما يحتاج إليه من سياسة الرعية ونحوها في ليلة واحدة.

والحاصل: أن الله تعالى يصلحه ويصلح به كما روى أبو نعيم الأصبهاني في «الأربعين» التي جمعها في المهدي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيْحَ هَذِهِ الأُمَّةَ مِنْ مُلوكٍ جَبابِرَةٍ كَيفَ يَقْتُلُونَ وَيَحيفونَ الْمُطيعينَ إلاَّ مَنْ أَظْهَرَ طاعَتَهُمْ، فَالْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ يُصانِعُهُمْ بِلِسانِهِ وَيَفِرُّ مِنْهُمْ بِقَلْبِهِ، وَإِذا أَرادَ اللهُ تَعالَى أَنْ يُعِيدَ الإِسْلامَ عَزِيزاً قَصَمَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَهُوَ القادِرُ على ما يَشاءُ أَنْ يُصْلِحَ الأُمَّةَ بَعدَ فَسادِها.

يا حُذَيفَةُ! لَوْ لَمْ يَبقَ مِنَ الدُّنيا إلاَّ يَومٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ اليَومَ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيَ، تَجْري الْمَلاحِمُ على يَدَيْهِ، وَيُظْهِرُ الإِسْلامَ؛ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ»[1].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» للسلمي (ص: ١٣٢)، و«الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٦٠).

* **فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَخَمسونَ:**

من لطائف الشعر الرائق اللائق إيراده في هذا الباب وإنشاده قـولُ الشيخ العارف بالله تعالى عبد العزيز بن أحمد الدميري رحمه الله تعالى كما نقله ابن السبكي في «الطبقات» رحمه الله تعالى: [من الوافر]

إِذا مـــا مــاتَ ذُو عِلْــمٍ وَتَقْــوى
فَقَــدْ ثُلِمَــتْ مِــنَ الإِسْــلامِ ثُلْمَــة

وَمَــوْتُ العــادِلِ الْمَلِــكِ الْمُــوَلَّى
بِحُكْــمِ الْحَــقِّ مَنْقَــصَةٌ وَوَصْــمَة

وَمَــوْتُ الــصَّالِحِ الْمَرْضِــيِّ نَقْــصٌ
فَفِــي مَحْيَــاهُ لِلإِسْــلامِ نَــسْمة

وَمَــوْتُ الفــارِسِ الــضِّرْغامِ ضَـعْفٌ
فَكَــمْ شَــهِدَتْ لَــهُ فِــي النَّـصْرِ عَزْمَــه

وَمَــوْتُ فَتَــىً كَثِيــرِ الْجُــودِ مَحْــلٌ
فَــإِنَّ بَقَــاءَهُ خِــصْبٌ وَنِعْمَــة

فَــدُونَكَ خَمْــسَةً تَبْكِــي عَلَــيْهِم
وَمَــوْتُ الغَيْــرِ تَخْفِيــفٌ وَرَحْمَــة[1]

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٢٠١).

قلت: قد سبق أن الأرض تبكي على الصالح أربعين يوماً والملك العادل، والمؤمن الشجاع، والجواد من أخيار الصالحين، وأما العالم التقي فهو شهيد أو صديق، وهما من أخص الصالحين.

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ غَدا يُريدُ العِلْمَ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِلَّهِ فَتَحَ اللهُ لَهُ باباً إِلَى الْجَنَّةِ، وَفَرَشَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَكْنافَها، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ مَلائِكَةُ السَّماواتِ وَحِيتانُ البَحْرِ، وَلِلْعالِمِ مِنَ الفَضْلِ على العابِدِ كَالقَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ على أَصْغَرِ كَوْكَبٍ فِي السَّماءِ، وَالعُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ؛ إِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً وَلا دِرْهَماً، وَلَكِنَّهُمْ وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ، وَمَوْتُ العالِمِ مُصِيبَةٌ لا تُجْبَرُ، وَثُلْمَةٌ لا تُسَدُّ، وَهُوَ نَجْمٌ طُمِسَ، مَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوتِ عالِمٍ»، رواه البيهقي[1].

وهو عند أبي داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» دون قول: «وَمَوت العالِمِ...» إلى آخره[2].

وروى البزار عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وابن لال في «مكارم الأخلاق» عن ابن عمر، وجابر رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «مَوْتُ العالِمِ ثُلْمَةٌ فِي الإِسْلامِ لا تُسَدُّ ما اخْتَلَفَ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

اللَّيْـلُ وَالنَّهــارُ»[1].

وقوله: وموت الغير تخفيف ورحمة؛ يشير إلى قوله ﷺ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتراحٌ مِنْهُ - يعني: الميت - العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيـا وَأَذاها إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعالَى، وَالعَبْدُ الفاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبادُ وَالبِـلادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ». رواه الإمـام مالـك، والإمام أحمـد، والشيخان، والنسائي عن أبي قتادة رضي الله عنه[2].

وروى الخطيب، والديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا ماتَ صاحِبُ بِدْعَةٍ فَقَدْ فُتِحَ فِي الإِسْلامِ فَتْحٌ»[3].

وصاحب البدعة شامل لمن يبتدع في الاعتقاد، ومن يبتدع الظلم والضرر والأذى.

ولأبي العتاهية: [من مجزوء الكامل]

---

(1) ورواه الديلمي في «مسند الفـردوس» (٦٤٥٩) عن عائشة رضي الله عنهـا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠١): رواه البزار، وفيه محمد بن عبد الملك عن الزهري، قال البزار: يروي أحاديث لا يتابع عليها. وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٩٥).

(2) رواه الإمام مالـك في «الموطأ» (١/ ٢٤١)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٩٦)، والبخاري (٦١٤٧)، ومسلم (٩٥٠)، والنسائي (١٩٣١).

(3) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٥٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١١١٨).

مَـوْتُ بَعْـضِ النَّـاسِ فِـي الـ أَرْضِ عَلَــى بَعْــضٍ فُتــوحُ[1]

*** فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَخَمسونَ:**

روى الإمام أحمد ـ بإسناد جيد ـ عن أبي منيب الأحدب قال: خطب معاذ رضي الله تعالى عنـه بالشام، فذكر الطاعون، فقال: إنها رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين قبلكم[2].

قوله: وقبض الصالحين قبلكم؛ ليس معنـاه أن الطاعـون لا ينزل إلا بالصالحين، بل معناه أنه إذا نزل بهم فهو رحمة، وإذا نزل بالفاجرين فهو عذاب كما في «صحيح البخاري» رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فقال: «كانَ عَذاباً يَبْعَثُهُ اللهُ عَلى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَـةً لِلْمُؤْمِنينَ؛ ما مِنْ عَبْـدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ فَيَكُونُ فِيهِ، لا يَخْرُجُ صابِـراً مُحْتَسِباً، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلاَّ كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ»[3].

فالطاعون يزيد الصالح في ثوابـه، ويرفع من مقامـه حتى يلحقـه بالشهداء كما سيأتي.

وفي «الصحيحين» عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» (ص: ١٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٠).

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٥).

«الطَّاعُونُ شَهادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

*** فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ سِتِّينَ فائِدَةً:**

من لطائف الشعر اللائق إيراده أيضاً في هذا الباب، وإنشاده قول شيخ الطائفة، وإمام الفرقة العاطفة على حب الله، والعاكفة؛ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري كما نقله عنه ابن السبكي في «الطبقات»:

[من الخفيف]

جَنِّبـانِي الْمُجـونَ يـا صـاحِبَيَّا
وَاتْلُـوا سُـورَةَ الـصَّلاحِ عَلَيَّـا

قَـدْ أَجَبْنـا لِزاجِـرِ العَقْـلِ طَوْعـاً
وَتَرَكْنـا حَـدِيثَ سَـلْمَى وَمَيَّـا

وَمَنَحْنـا لِمُوجِـبِ الـشِّعْرِ نَـشْراً
وَشَـرَعْنا لِمُوجِـبِ اللَّهْـوِ طَيَّـا

وَوَجَـدْنا إِلَـى القَناعَـةِ بابـاً
فَوَضَـعْنا عَلَـى الْمَطـامِعِ كَيَّـا

كُنْـتُ فِـي حَـرِّ وَحْـشَتِي لاخْتِيـارِي
فَتَعَوَّضْـتُ بِالرِّضـا مِنْـهُ فَيَّـا

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٥)، ومسلم (١٩١٦).

إِنَّ مَـــنْ يَهْتَـــدِي لِقَطْـــعِ هَـــواهُ

فَهْـــوَ فِـــي العِـــزِّ حـــازَ أَوْجَ الثُّرَيَّـــا

وَالَّـــذِينَ ارْتَـــوَوْا بِكَـــأْسِ هَـــواهُمْ

فَعَلَـــى الـــصَّدِّ سَـــوفَ يَلْقَـــونَ غَيَّـــا[1]

قوله رضي الله تعالى عنه: جنباني المجون يا صاحبيا... إلى آخره؛ إشارة إلى أن الصلاح يناقض المجون، وهو الخلاعة إذا كانت الخلاعة هي مقصود الخليع، أما إذا كان متستراً بالمجون، متترساً بالخلاعة إيثاراً للخمول، وطلباً لصفاء وقته مع الله تعالى، وخلوص قلبه له، فلا يناقض الصلاح، وهذا طريق الملامتية؛ فإنهم لا يظهرون خيراً ولا يضمرون شراً.

ولا في صحة طريق الملامتي أن لا يرتكب معصية هـو بها عاص في نفس الأمر، وإنما غاية أمره أن يظهر ما صورتـه المعصية، وهو في نفسه مطيع؛ كمن يخيل إلى الناس أنـه يشرب الخمر ويأكل الحشيش، وهو إنما يشرب سويقاً ويأكل حلوى.

ومأخذ الملامتية عن الخضر عليه السلام في خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار بغير أجرة لقوم لم يضيفوه وصاحبَه.

وهي طريقة خطرة خصوصاً في هذه الأزمان.

وفي نفـس الأمـر فاتبـاع السنـة ظـاهـراً وباطـنـاً أتـم مـن هـذه

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/ ١٦٢).

الطريقة وأصلح[1].

وقد أوضحت طريقة الملامتية في «منبر التوحيد»، وهو شرح ألفية الجد في التصوف.

* فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَسِتُّونَ:

روى البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي السكن الهجري رحمه الله تعالى قال: مات خليل الله عليه السلام فجأة، ومات داود عليه السلام فجأة، ومات سليمان بن داود عليهما السلام فجأة، والصالحون؛ وهو تخفيف على المؤمن، وتشديد على الكافر[2].

وروى الإمام أحمد، والبيهقي في «السنن» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَوتُ الفَجْأَةِ راحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلفاجِرِ»[3].

---

(١) قال الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨٨): وهذا هو مذهب الملامتية إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس، فيسلموا من آفة الجاه، وهذا غير جائز لمن يقتدى به، فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين، وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك، بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٢١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧٩).

روى الإمام أحمد، وأبو داود عن عبيد بن خالد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَوْتُ الفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ»[1]؛ أي: للفاجر خاصة بدليل حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

ولقد سبق أن الطاعون رحمة للصالحين، وعذاب على الفاجرين، وفي ذلك دليل على أن العبد الصالح كيفما كان فهو من الله تعالى في خير، كما قال رسول الله ﷺ: «عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْضِ لَهُ قَضاءً إلاَّ كانَ خَيراً لَهُ». رواه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه» عن أنس رضي الله تعالى عنه[2].

وفي «صحيح مسلم» عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ»[3].

ولا شك أن المؤمن كلما ترقى في الصلاح كان[4] الخير له في قضاء الله تعالى أكمل وأتم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٤)، وأبو داود (٣١١٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٤) في «أ» و«ت»: «كلما كان».

* **فَائِدَةٌ ثَانِيَةٌ وَسِتُّونَ:**

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ضاف النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، فطلب له شيئاً، فلم يجد له شيئاً حتى أصاب لقمة من سلت، فأخذها وجعل يجزئها، ووضعها بين يديه، فأكل الأعرابي حتى شبع، وفضلت فضلة، فجعل الأعرابي ينظر إليه ويقول: إنك لرجل صالح[1]!

قلت: في هذا الحديث إشارة إلى أن الأمر الخارق دليل مستقر في النفوس على صلاح العبد وولايته، وقد شاهدنا كثيراً من إخواننا الصالحين الصادقين يضيفون الطعام القليل القوم الكثيرين، وكلُّهم من رسول الله مُلْتَمِسٌ.

* **فَائِدَةٌ ثَالِثَةٌ وَسِتُّونَ:**

الرغبة في الصلاح محمودة من كل أحد، إلا أن العبد إذا شاب كانت به أليق، كما أن الفسق منه أفحش.

قال الحافظ عبد الكريم بن السمعاني في «تاريخه»: أنشدنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي قال: أنشدنا أبو سعيد بن صاعد القاضي

---

(١) ورواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ١٧٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣١١): رواه البزار، وفيه السري بن عاصم، وهو كذاب، وانظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٧٩).

قال: أنشدنا أبو يوسف يعقوب بن محمد بن أحمد الأديب: [من الوافر]

إِلَهِــي إِنَّ قَلْبِــي غَيْــرُ صــاحِي
عَلَـى الْحـالاتِ مِـنْ سُـكْرِ الْجُنـاحِ
ظَنَنْــتُ الــشَّيْبَ يُــصْلِحُنِي فَهَــذا
مَــشِيْبِي أَيْــنَ آثــارُ الــصَّلاحِ

*** فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَسِتُّونَ:**

ذكر الديلمي في «الفردوس» من حديث أبي الغصن رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَرِنِي الدُّنْيا كَما تُرِيها صالحَ عِبادِكَ»[1].

وهو في «الإحياء» بلفظ: «اللَّهُمَّ أَرِنِي الدُّنيا كَما أَرَيْتَها الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكَ».

وذلك أن الصالحين يرون الدنيا حقيرة بالنسبة إلى الآخرة كما ذكره في «الإحياء»[2].

*** فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَسِتُّونَ:**

روى أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» عن صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعْلَمْ أَنَّ عَونَ اللهِ مَعَ صالِحِي التُّجَّارِ»[3].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٩١٠).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٢١٨).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٧٦٠).

وعن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ الكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذا حَدَّثوا لَمْ يَكْذِبُوا، وَإِذا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا، وَإِذا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونوا، وَإِذا اشْتَرَوْا لَمْ يَذُمُّوا، وَإِذا باعُوا لَمْ يَمْدَحُوا، وَإِذا كانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا، وَإِذا كانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا»(١).

قلت: وهؤلاء هم صالحو التجار، ومن أوصافهم أنهم لا يكثرون الأيمان على البيع والشراء وإن كان صدقاً، ولا يغشون، ولا يكتمون عيباً، ولا يتركون صلاة في وقتها لبيع ولا شراء، ويؤتون [٩٥] الزكاة، ولا يبيعون على بيع مسلم ولا ذمي، ولا يشترون على شرائه، ولا يسومون على سَومه، ويحذَرون من كل إثم، ويرغبون في كل خير.

* فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَسِتُّونَ:

روى أبو نعيم، وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلُ الصَّالِحُ يَأْتِي بِالْخَبَرِ الصَّالِحِ، وَالرَّجُلُ السُّوءُ يَأْتِي بِالْخَبَرِ السُّوءِ»(٢).

وفي لفظ: «يُحِبُّ الْخَبَرَ الصَّالِحَ».

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٣٨٥) وقال أبوه: باطل، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٥٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٦١).

وروى أحمد بن منيع عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخَبَرُ الصَّالِحُ يَجِيْءُ بِهِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، وَالْخَبَرُ السُّوءُ يَجِيْءُ بِهِ الرَّجُلُ السُّوءُ»[1].

والمعنى أن من أخلاق الصالحين التبشير دون التنفير، كما قال رسول الله ﷺ: «بَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا»[2].

وكذلك لا يحبون نقل الأراجيف، ولا إشاعة السوء والفواحش في المسلمين لأن ذلك من خلق الأشرار المنافقين كما قال الله تعالى في أهل الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١٩].

روى ابن أبي حاتم عن خالد بن معدان قال: من حدث بما أبصرت عيناه وسمعت أذناه ـ يعني: من السوء ـ فهو من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا[3].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[النور: ٢٦] الآية.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيرها: الخبيثات من

---

(١) ذكره الحافظ في «المطالب العالية» (١٢/ ٦٥٨) عن ابن منيع، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٠٠١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٥٠).

الكلام للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام[1].

[وقال مجاهد في قوله تعالى]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾[النور: ٢٦]: من كان طيباً فهو مبرأ من كل قول خبيث يقوله، يغفر الله له، ومن كان خبيثاً فهو مبرأ من كل قول صالح يقوله، يرده الله عليه، لا يقبله [منه]. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني[2].

وقال عطاء بعد أن فسر الآية بنحو قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾[النور: ٢٦]: ألا ترى أنك تسمع بالكلمة الخبيثة من الرجل الصالح فتقول: غفر الله لفلان، ما هذا من خلقه، ولا من شيمه، ولا مما يقول، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾[النور: ٢٦] أن يكون ذلك من شيمهم ولا من أخلاقهم، ولكن الزلل قد يكون. رواه عبد بن حميد[3].

وفيه إشارة إلى أن الرجل الصالح لا تضره الكلمة السوء إذا بدرت منه واستغفر منها.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٨).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٦١).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٨٦).

ولقد سبق قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذا أَساؤُوا اسْتَغْفَرُوا، وَإِذا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا»[1].

نعم؛ من شرط الصالح إذا استغفر من الكلمة السوء والفعلة السوء أن يضيق لها صدره، ويخفق لها قلبه، ويلوم عليها نفسه.

ولا يظهر الاستغفار وفي قلبه ميل لتلك الكلمة، ولا تعلق بتلك الفعلة، ونفسه حينئذ لوامة.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[القيامة: ١ ـ ٢].

و(لا) زائدة لتأكيد الكلام، وإقسام الله تعالى بها تعظيم لها وتعريف بمقامها.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[القيامة: ٢]؛ قال: تندم على ما فات، وتلوم عليه. رواه ابن المنذر[2].

وقال الحسن رحمه الله تعالى في الآية: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه؛ ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديثي نفسي، ولا أراه إلا معاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه. رواه ابن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٤٣).

أبي الدنيا في «محاسبة النفس»، وغيرُه[1].

ولقد قلت في النفس اللوامة: [من الطويل]

إذا عَمِــلَ العَبْــدُ التَّقِــيُّ خَطِيئَــةً
تَكادُ تَـذُوبُ الـنَّفْسُ مِـنْ أَجْلِهـا حُزْنـا

تَلُــومُ عَلــى مــا فــاتَ مِنْهــا كَأَنَّهــا
تَزِلُّ مِنْ الوَسْواسِ فِي اللَّفْـظِ وَالْمَعْنـى

وَتَخْـشَى عَـذابَ اللهِ مِـنْ أَجْـلِ ذَنْبِــها
وَلَكِنَّهــا تَرْجُــو مِــنَ الْمُــؤْمِنِ الأَمْنـا

فَــلا سِــرُّها يَهْـدِي لِمــا امْتُحِنَـتْ بِـهِ
وَلا فِكْرُهــا يَـصْحُو وَلا عَيْـشُها يَهْنـا

وَلَـيْسَ لَهــا مِــنْ راحَــةٍ دُونَ أَنْ تَـرى
مِــنَ اللهِ بِــالْمَوْتِ الْمَــسَرَّةَ وَالْحُـسْنَى

* فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَسِتُّونَ:

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي عون الأنصاري رحمه الله تعالى قال: من أراد الله به خيراً يلقيه رجلاً صالحاً يعرف بينه وبينه ما لم يكن عرفه قبل.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٥).

وفيه إشارة إلى أن معرفة الصالحين دليل على صلاح العبد لما سبق من أن الجنس إلى الجنس أميل، وعليه أقبل، وما من عبد صالح يعرفه إلا رجع منه بخير يتعرفه.

*** فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَسِتُّونَ:**

روى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» عن أبي بكر بن طاهر رحمه الله تعالى قال: احتياج الأشرار إلى الأخيار صلاح الطائفتين، واحتياج الأخيار إلى الأشرار فتنة للطائفتين[1].

قلت: وبيانه أن الحاجة إذا اضطرت الأشرار إلى الأخيار أوقعت في قلوبهم توقير الأخيار والصالحين ومحبتهم، وبذلك صلاحهم، ثم إن اضطرارهم إلى الأخيار يورث الرحمة في قلوب الأخيار والشفقة عليهم، ويبذلون الجهد في نصيحتهم وإرشادهم، فتصلح الطائفتان جميعاً.

فأما إذا اضطرت الحاجة الأخيار إلى الأشرار ألجأت الأخيار إلى مداراتهم ومودتهم، والتقرب لقلوبهم وترك الإنكار عليهم، وأوهمت الأشرار خيرية أنفسهم وتزكيتها، والتكبر والافتخار، فتفسد الطائفتان، ويفتنون.

*** فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَسِتُّونَ:**

روى السلمي عن أبي بكر الوراق قال: الناس ثلاثة: العلماء،

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٩٦).

والأمراء، والقراء؛ فإذا فسدت الأمراء فسد المعاش، وإذا فسدت العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسدت القراء فسدت الأخلاق[1].

ومفهومه: أن المعاش إنما يصلح بصلاح الأمراء، والطاعات بصلاح العلماء، والأخلاق بصلاح القراء.

بيانه: أن المراد إذا فسدت الأمراء فظلمت أهل الزرع ضعفوا عنه، أو أهل الماشية قلَّتْ ماشيتهم، أو أبعدوا ماشيتهم عن ولاية الأمير الظالم، أو أهل التجارة قلَّتِ البضائع وانقطع الجلب عن البلد، فيفسد المعاش.

وإذا فسدت العلماء تساهلوا في الطاعات، أو تجوزوا في المكروهات والمحرمات، فالعوام يركبون ما يهون، ويحتجون بأحوال العلماء، فتفسد الطاعات.

وإذا فسد القراء فلم يتخلقوا بأخلاق القرآن من الحلم والكرم، والاحتمال والإعراض عن الجاهلين، وظهرت عليهم مساوىء الأخلاق، فالعامة يقع بعضهم في بعض بكل سوء، فتفسد الأخلاق من الخاصة والعامة.

*** فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ سَبْعِينَ فائِدَةً:**

روى السلمي أيضاً عن أبي بكر الوراق أيضاً قال: إذا فسدت العامة

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٧٩).

غلبت الفساق على أهل الصلاح، وولاة الجَور على ولاة العدل، والكفار على المسلمين.

وقال: وإذا فسقت الخاصة غلبت الكَذَبة على الصادقين، والكهنة على الموقنين، والموسوسون على المخلصين[1].

قلت: ووجهه أن الخاصة إذا فسقت لم يقووا على إنكار المنكر، وتكذيب الكاذب والكاهن، ونصح الموسوس، وإذا فسق أكثرهم قاس الناس بهم من لم يفسق منهم، واختلط الأمر واشتبه الحق.

وأما فساد العامة فإنهم يصير ميلهم مع كل مارق يمكِّنهم من أخذ أموال الناس، وظلم العباد، فهم أنصاره على من يأخذ على أيديهم، وينكر عليهم ويمنعهم من الظلم.

*** فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَسَبْعونَ:**

روى السلمي أيضاً عن أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى قال: صلاح خمسة أصناف في خمسة مواطن: صلاح الصبيان في الكتاب، وصلاح القطاع في السجن، وصلاح النساء في البيوت، وصلاح الفتيان في العلم، وصلاح الكهول في المساجد[2].

وبيانه: أن الصبيان ينكَفُّون بالكتاب عن اللعب ومخالطة الصبيان العارمين، وعن الفساد، وبذلك صلاحهم وصيانتهم.

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٨١).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٧٧).

ولعل هذا باعتبار زمان تقدم، وأما الآن فقد يكون في بعض المكاتب فساد بعض الصبيان لتقصير المعلمين وتساهلهم.

وقُطَّاعُ الطريق إذا حُبِسوا حِيْلَ بينهم وبين القتل والسلب وإخافة الطريق، وبذلك صلاحهم وصلاح المارين بالطريق.

والنساء إذا كن في البيوت سترت عوراتهن، وغضت أبصارهن، وأُمِنَ تبرجهن، وبذلك صلاحهن.

والفتيان إذا تمرنت نفوسهم في الشباب على طلب العلم أشربت محبة العلم والطاعة، وبذلك يصلحون.

والكهول إذا كانوا في المساجد كانوا مشتغلين بالعبادة منكَفِّين عن مخالفة الناس ومقاساتهم ومداراتهم، وذلك أصلح لهم.

* **فائِدَةٌ ثانِيَةٌ وَسَبْعونَ:**

روى السلمي عن معروف الكرخي رحمه الله تعالى قال: ما أكثرَ الصالحين وأقلَّ الصادقين في الصالحين[1]!

وأراد بالصالحين في قوله: ما أكثر الصالحين؛ من يظهر عليه آثار الصالحين وأعمالهم.

ونظيره ما ذكره أبو طالب المكي عن مجاهد قال: قلت لابن عمر رضي الله تعالى عنهما وقد دخلت القوافل: ما أكثرَ الحاجَّ!

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٨٣).

فقال: ما أقلَّهم، ولكن قل: ما أكثرَ الرَّكْب[1]!

أراد أن الحاج حقيقة هو الذي يصح قصده في حجه، ويتم بر حجه من طيب النفقة وحسن الاتباع.

قال مجاهد: وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا نظر إلى ما أحدث الناس من الزي والمحامل يقول: الحاج قليل والركب كثير.

قال: ثم نظر إلى رجل ضعيف رث الهيئة تحته جوالق، فقال: هذا نعم من الحاج[2].

*** فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَسَبعونَ:**

روى أبو يعلى، والبزار، وابن حبان، والحاكم - وصححاه - عن عامر بن سعد، عن أبيه رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً جاء إلى الصلاة والنبي ﷺ يصلي، فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفاً؟».

قال الرجل: أنا يا رسول الله.

قال: «إِذَنْ يُعْقَرُ جَوادُكَ، وَتُسْتَشْهَدُ»[3].

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ١٩٢).

(٢) روى بمعناه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٣٦)، وانظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ١٩٢).

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦٩٧)، والبزار في «المسند» (١١١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٨).

في هذا الحديث إشارة إلى أن العبد لا يستقيم مقام الصالحين إلا بالعبور إلى مقام الشهادة، والآية المتقدمة تدل على ذلك، ومن ثم جعلتُ التشبهَ بالشهيد بعد التشبه بالصالحين.

* **فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَسَبعونَ:**

روى أبو بكر بن مردويه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]؛ قال: «يا رَبِّ! مَسْأَلَةَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنها»، فهبط جبريل عليه السلام فقال: إن الله يقرئك السلام، هذا عبدي الصالح بالنية الصادقة، وقلبه تقي يقول: يا رب! فأقول: لبيك، فأقضي حاجته[1].

ومن هنا يستحب طلب الدعاء من الصالحين كما تقدم.

وفي «صحيح مسلم» عن أسير بن جابر رحمه الله تعالى قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس ابن عامر؟

قال: نعم.

قال: من مراد، ثم من قرن؟

قال: نعم.

قال: كان بك برصٌ فبرأت منه إلا موضع درهم؟

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٧٤).

قال: نعم.

قال: لك والدة؟

قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَيْكَ أُوَيْسُ بْنُ عامِرٍ مَعَ أَمْدادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِنْ مُرادٍ ثُمْ مِنْ قَرَنٍ، كانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضعَ دِرْهَمٍ، لَهُ والِدةٌ هُوَ بِها بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»؛ فاستغفر لي.

قال: فاستغفر له، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: أين تريد؟

قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟

قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي.

فلما كان من العام المقبل حج رجلٌ من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس؟

قال: تركته رث البيت، قليل المتاع.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَيْكَ أُوَيْسُ بْنُ عامِرٍ مَعَ أَمْدادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِنْ مُرادٍ ثُمْ مِنْ قرنٍ، كانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضعَ دِرْهَمٍ، لَهُ والِدةٌ هُوَ بِها بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

فأتى أويس، فقال: استغفر لي، فقال: أنت أحدث عهداً بسفر

صالحٍ، فاستغفر لي.

قال: لقيت عمر؟

قال: نعم.

فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه.

قال أسير: وكَسَوتُه بردةً، فكان كلما رآه إنسانٌ قال: من أين لأويس هذه البردة[1]؟

في هذا الحديث وصية عمر وغيره ممن يستطيع أن يستغفر له أويس القرني لكونه صالحاً خيِّراً بارّاً بأمه، كما في حديث مسلم أيضاً عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ والِدَةٌ، وَكانَ بِهِ بَياضٌ فَبَرِىءَ؛ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكَ[2]»[3].

وروى الحاكم ـ وصححه ـ عن علي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ التَّابِعِينَ»[4].

وجمع النووي بين هذا وبين قول أحمد بن حنبل وغيره: أفضل

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) في مصدر التخريج: «مروه فلستغفر لكم» بدل «فليستغفر لك».

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٧١٧) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صحابي.

التابعين سعيد بن المسيب؛ فإن مرادهم أن سعيد أفضل في العلوم الشرعية كالحديث، والتفسير، والفقه، ونحوها، لا في الخير عند الله تعالى[1].

*** فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَسَبْعونَ:**

روي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: أهل الصلاح والحسبة من المؤذنين أول من يكسى يوم القيامة. نقله ابن سيد الناس في «شرح الترمذي»[2].

والمراد أنهم أول من يكسى بعد الأنبياء والصديقين والشهداء، وأول من يكسى مطلقاً إبراهيم، ثم نبينا ﷺ.

روى الشيخان، والترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَيُّها النَّاسُ! إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفاةً مُشاةً عُراةً غُرْلاً - ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[الأنبياء: ١٠٤] الآية - وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْخَلائِقِ إِبْراهِيمُ عَلَيهِ السَّلامُ»[3].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك، والإمام أحمد؛ كلاهما في «الزهد»، وأبو يعلى عن علي رضي الله تعالى عنه قال: أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام قبطيتين، ثم يكسى النبي ﷺ حَبِرة

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٦/ ٩٥).

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٢).

(٣) رواه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٢٨٦٠)، والترمذي (٢٤٢٣).

وهو على يمين العرش[1].

وروى حميد بن زنجويه في «فضائل الأعمال» عن كثير بن مرة الحضرمي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال في حديث: «وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ بِلالُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»[2].

وروى الدينوري في «مجالسته» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهلَ الزهد[3].

وهذه خصوصية للزاهدين من الصالحين أنهم يخرجون من قبورهم وعليهم كسوتهم.

* **فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَسَبْعونَ:**

روى أبو نعيم عن سالم رحمه الله تعالى: أن رجلاً سأله وهو يطوف بالبيت: هل يؤم الأعرابي المهاجر؟

قال: ما يضره إذا كان رجلاً صالحاً[4]؟

فيه أن صلاح الإمام معتد به، وهو كذلك لأنه شفيع، وإن صحت إمامة الفاسق فإمامة العدل الصالح أولى وإن قل جمعه.

---

(1) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٠٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٦٦).

(2) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٤٥٩).

(3) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٦٥).

(4) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٢).

* فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَسَبْعونَ:

روى ابن أبي شيبة عن عبيد بن عبد الملك قال: كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول: اللهم أصلح من كان صلاحه صلاحاً لأمة محمد ﷺ، اللهم أهلك من كان هلاكه صلاحاً لأمة محمد ﷺ[1].

ويلائم ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» عنه أنه قال لابنه عبد الملك رحمه الله تعالى قال: ما أحد من الناس أحب إلي صلاحاً منك إلا إمام جماعة، يكون صلاحه صلاح من تحت يده.

* فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَسَبعونَ:

نقل أبو طالب المكي عن الإمام أحمد أنه كان يقول: إذا كان السلطان صالحاً فهو خير من صالحي الأمة، وإذا كان فاسقاً فصالحو الأمة خير منه.

قال أبو طالب: وهذا قول عدل[2].

قلت: في قوله وإذا[3] كان فاسقاً فصالحو الأمة خير منه؛ إشارة إلى أنه ـ وإن فسق ـ لا يخلو من خير كما في الحديث: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَراءُ يَفْسُدُونَ، وَما يُصْلِحُ اللهُ بِهِمْ أَكْثَرُ». رواه البيهقي عن ابن مسعود

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٢٤).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢١٠).

(٣) في «أ» و«ت»: «وإن».

رضي الله تعالى عنه[1].

ومن هنا لما سئل سهل بن عبدالله التُّسْتَري رحمـه الله تعالى: أي الناس خير؟

قال: السلطان.

قيل: كنا نرى أن شر الناس السلطان!

فقال مهلاً؛ إن لله ﷻ في كل يوم نظرتين؛ نظرة إلى سلامة أموال المسلمين، ونظرة إلى سلامة أبكارهم، فيغفر له جميع ذنوبه[2].

وروى المعافى في «الجليس والأنيس» عن مردويه قال: سمعت الفضيل ـ يعني: ابن عياض ـ رحمـه الله تعالى يقـول: لو أن لي دعـوة مستجابة لجعلتها للإمام؛ لأن صلاحه صلاح العباد والبلاد.

قال: فقام إليه ابن المبارك فقبل وجهه، وقال: يا معلم الخير! من يحسن هذا غيرك[3]؟

*** فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَسَبْعونَ:**

روى ابن أبي شيبة عن مقاتل بن سليمان رحمه الله تعالى في قوله

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٦٨)، وكذا ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٤) وقال أبوه: هذا حديث منكر، وأبو سمير متروك الحديث.

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٠٩).

(٣) رواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح والأنيس الناصح» (ص: ٣٢٩).

تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾[مريم: ٨٧]؛ قال: العهد الصلاح[١].

وروى ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله تعالى عنه في الآية قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء[٢].

وفي الحديث: «إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفاعَةً»[٣].

ولكن لا يخفى أن شفاعة الصالحين من المؤمنين أعظم من شفاعة عامتهم، وأتم وأنفع.

*** فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ ثَمانِينَ فائِدَةً:**

قال إخوة يوسف كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ﴾[يوسف: ٩].

ظنوا أن الصلاح والخير يأتي بالفساد والشر، وهذا مما لا يكون، ولو قتلوه هلكوا.

قال السدي رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ﴾[يوسف: ٩]: تتوبون مما صنعتم به. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٧١).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (١٦/ ١٢٨).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٥١) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٠٥).

ومثل هذا لا ينبغي أن يعزم العبد على المعصية اعتماداً على التوبة، لأنه قد يحال بينه وبين التوبة كما قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[سبأ: ٥٤].

ويحتمل أن يكون معنى قولهم: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾[يوسف: ٩] أي: صالحاً حالكم وبالكم من حيث إن قلوبكم لم تتشتت بسبب محبة أبيكم ليوسف وإقباله عليه، ويكون وداد أبيكم ونظره إليكم مقصوراً عليكم، ومن حيث إن يوسف إذا ذهب عن شقيقه لم يبق لشقيقه قوة في معارضتنا.

ولقد تكدر عليهم مرادهم، وتنغصت معيشتهم لحزن أبيهم لفراق ولده، وتوجه قلبه إلى طلبه.

كذلك من طلب صلاح شأنه بنفسه وتدبير نفسه لم يتم مراده، ولم يحصل على مرامه.

*** فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَثمانونَ:**

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[التوبة: ٧٥ ـ ٧٨].

في هذه الآية الكريمة أنه لا ينبغي للعبد أن يثق بنفسه في وعدها

بالصلاح وهي تطلب الدنيا، وأن الصلاح لا يتم لعبد وقلبه ملتاظ بالدنيا، وأن معاهدة العبد الله تعالى على العمل الصالح إن آتاه من الدنيا مالاً أو جاهاً أو منصباً مستنداً إلى حوله وقوته، غير مستعين بالله تعالى من أحوال المنافقين.

روى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «دلائل النبوة» عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: جاء ثعلبة بن حاطب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالاً.

قال: «وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ! قَلِيلٌ تُطِيقُ شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُهُ».

فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالاً.

قال: «وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ! قَلِيلٌ تؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُ شُكْرَهُ».

قال: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالاً.

قال: «وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ! أَما تُحِبُّ أَنْ تَكونَ مِثْلِي؟ فَلَوْ شِئْتُ أَنْ يُسَيِّرَ رَبِّي هَذِهِ الْجِبالَ مَعِيَ ذَهباً لسارَتْ».

قال: يا رسول الله! ادع الله [أن] يرزقني مالاً؛ فوالذي بعثك بالحق إن آتاني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه.

قال: «وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ! قَلِيلٌ تُطِيقُ شُكْرَهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُهُ».

قال: يا رسول الله! ادع الله تعالى.

فقال رسول الله: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مالاً».

فاتخذ أو اشترى غنماً، وبورك له فيها، ونمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة، فتنحى بها، وكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل، ثم نمت كما ينمو الدود، فتنحى بها، وكان لا يشهد الصلاة بالليل ولا بالنهار إلا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ.

ثم نمت كما ينمو الدود، [فضاق به مكانه]، فتنحى بها، [فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ]، فجعل يتلقى الركبان، ويسألهم عن الأخبار، وفقده رسول الله ﷺ، فسأل عنه، فأخبروه أنه اشترى غنماً، وأن المدينة ضاقت به، وأخبروه خبره، فقال رسول الله ﷺ: «وَيْحَ ثَعْلَبَةَ بْنَ حاطِبٍ! وَيْحَ ثَعْلَبَةَ بْنَ حاطِبٍ!».

ثم إن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ الصدقات، وأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾[التوبة: ١٠٣] الآية، فبعث رسول الله ﷺ رجلين؛ رجلاً من جهينة، ورجلاً من بني سلمة يأخذان الصدقة، فكتب لهما أسنان الإبل والغنم، وكيف يأخذانها على وجهها، وأمرهما أن يمرَّا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم، فخرجا، فمَرَّا بثعلبة، فسألاه الصدقة، فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه فقال: ما هذا إلا جزية، انطلقا حتى تفرغا، ثم مُرَّا بي، قال: فانطلقا.

وسمع بهما السلمي فاستقبلهما بخيار إبله، فقالا: إنما عليك دون هذا، فقال ما كنت أتقرب إلى الله إلا بخير مالي، فقبلا، فلما فرغا مَرَّا

بثعلبة، فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه فقال: ما هذا إلا جزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى قدما المدينة، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما: «وَيْحَ ثَعْلَبَةَ بْنَ حاطِبٍ!» ودعا للسلمي بالبركة، وأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾[التوبة: ٧٥] الثلاث آيات.

قال: فسمع بعض أقارب ثعلبة، فأتى ثعلبة فقال: ويحك! ويحك يا ثعلبة! أنزل الله فيك كذا وكذا.

قال: فقدم ثعلبة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه صدقة مالي.

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ».

قال: فجعل يبكي، ويحثي التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هَذا عَمَلُكَ بِنَفْسِكَ».

فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى، ثم أتى أبا بكر رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أبا بكر! اقبل مني صدقتي فقد عرفت منزلتي من الأنصار.

فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها؟ فلم يقبلها أبو بكر.

ثم ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فأتاه فقال: يا أبا حفص! يا أمير المؤمنين! اقبل مني صدقتي.

قال: وثقل عليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج رسول الله!

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر رضي الله تعالى عنه؛ أقبلها أنا؟ فأبى أن يقبلها.

ثم ولي عثمان، فهلك في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه[1].

* فائِدَةٌ ثانِيَةٌ وَثَمانونَ:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠].

قال أكثر المفسرين: إن المراد بالآية آدم وحواء عليهما السلام[2].

ومعنى قوله: ﴿صَٰلِحًا﴾[الأعراف: ١٩٠]: بشراً سوياً، وذلك لأن الشيطان كان قال لها: تلدين ناقة، أو بقرة، أو ماعزة، أو ضانية ـ وفي رواية: بهيمة ـ ويخرج من أنفك، أو من عينيك، أو من أذنك.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٤٧)، والطبراني في «التفسير» (١٠/ ١٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٩) وقال: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف.
وقال القرطبي في «التفسير» (٨/ ٢١٠): ثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح. قال أبو عمر: ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٨٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢١٢).

قال: وأطيعيني، وسميه عبد الحارث تلدي مثلك.

ويحتمل أن يكون معنى: ﴿صَٰلِحًا﴾[الأعراف: ١٩٠] أن يعيش وينتفع به لأنه كان لا يعيش لهما ولد.

وقد روى الإمام أحمد، والترمذي ـ وحسنه ـ والحاكم ـ وصححه ـ وغيرهم عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ طافَ بِها إِبْلِيسُ وَكانَ لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ، فَقالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الْحارِثِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الْحارِثِ، وَكانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيطانِ وَأَمْرِهِ»[1].

وقال الحسن رحمه الله تعالى في الآية: كان هذا في بعض أهل الملل وليس بآدم. رواه ابن جرير[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١١)، والترمذي (٣٠٧٧) وقال: حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٣).
قال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٢٧٥): هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:
أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا ـ وهو من تفرد بالحديث ـ هو البصري وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً، فالله أعلم.
الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير.
الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً عدل عنه.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٩/ ١٤٨).

وقـال القـاضي البيضـاوي بعد أن قـرر القـول الأول: ويحتمـل أن يكون الخطاب لآل قصي من قريش؛ فإنهم خلقـوا من نفس قصي، وكان لـه زوج من جنسه[1] عربية قرشية، وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين، فسمياهم: عبد مناف، وعبد شمس، وعبد قصي، وعبد الدار، انتهى[2].

وعلى الأول فقـال ابن عباس رضي الله تعـالى عنهمـا في قولـه: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[الأعراف: ١٩٠]: كان شركاً في طاعة، ولم يكن شركاً في عبادة. رواه عبد بن حميد[3].

وقـال السـدي في قـولـه تعـالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف: ١٩٠ ـ ١٩١]: إنه مفصول عن آية آدم وحواء، وهو خاص بآلهة العرب. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[4].

وروي نحوه عن ابن عباس، وغيره[5].

وفي ذلك دليل على أن من سأل الولد الصالح فرزقه، فينبغي أن يشكر الله تعالى، ويحسن التسمية.

---

(١) في «أ» و«ت»: «جنسها».

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٨٢).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٢٦).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (٩/ ١٤٨).

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٢٦).

وأحب الأسماء إلى الله تعالى: عبدالله، وعبد الرحمن كما في الحديث[1].

ولا يسميه عبد النبي ونحوه؛ فإن العبودية لله تعالى.

وكذلك لا ينبغي لمن لا يولد له أو من لا يعيش له ولد أن يذهب إلى المنجمين والكهنة، ويستكتبهم حروزاً، ولا يعلق تميمة ونحوها لحصول الولد، ولا لبقائه بعد الحمل وبعد الولادة كما يفعله كثير من الجاهلات؛ فإن اعتقاد أن تعليق التمائم والحروز تحفظ الجنين من الإسقاط والولد من الموت كله شرك، ويؤول إلى الشرك؛ والعياذ بالله!

وكذلك من يعتقد في نشرة من عبد صالح أو تبييت أثر عنده نفعاً أو ضرراً فإنه جهل من المعتقدين والمعتقدات لذلك، فإن اعتقد المنسوب إلى الصلاح في نفسه شيئاً من ذلك كان أشد جهلاً ممن يعتقد فيه ذلك وإن جرى على ذلك كثير من الناس؛ ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف: ١٩٠].

*** فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَثَمانونَ:**

روى أبو الحسن بن جهضم عن سهل بن عبدالله التُّسْتَري رحمه الله تعالى قال: إذا كان التزوج على غير السنة كان الولد عقوبة، فكيف تريد من ولد العقوبة الصلاح؟

ومعنى كون التزوج على خلاف السنة أن لا يراعى فيه شروط العقد، أو لا تراعى فيه الكفاءة، أو تُزوج المرأة للمال، أو للجمال، أو

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٢) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

للجاه، أو للمباهاة والمباراة، أو غير ذلك مما جاءت السنة بخلافه.

ولعل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾[التغابن: ١٤] إشارة إلى ما ذكر.

والتزوج إذا كان على غير السنة كان لأن يكون سبب العداوة والقسوة من الزوج والولد أقرب من أن يكون سبب المودة والرحمة، ولذلك كان الولد في الغالب في هذه الأزمنة غيظاً كما في حديث حذيفة وغيره: «إِنَّ مِنْ أَشْراطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ الوَلَدُ غيظاً»(١)، فكان كما أخبر ﷺ لارتكاب البدع في الأنكحة، وقلة الاعتناء بأمور السنة في التزوج.

*** فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَثَمانونَ:**

روى النسائي ـ واللفظ له ـ وابن حبان، والحاكم ـ وصححاه ـ من حديث أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ، وعبد الرزاق، والبغوي، والبزار ـ وحسن إسناده ـ من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، والطبراني في «الأوسط» ـ ورجاله رجال الصحيح ـ من حديث سفينة، والإمام أحمد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه؛ كلهم عن النبي ﷺ أنه قال: «بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٥٨) عن حذيفة رضي الله عنه. وفي إسناده فرج بن فضالة وهو ضعيف.
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٦١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، و(٦٤٢٧) عن عائشة رضي الله عنها. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٩٢): رواه الخرائطي في «مكارم الخلاق» من حديث عائشة، والطبراني من حديث ابن مسعود، وإسنادهما ضعيف.

ما أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزانِ! سُبْحانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ[(١)]»[(٢)].

وقد تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «يَنْقَطِعُ عَمَلُ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جارِيَـةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِـهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَوَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٣)].

فالولد الصالح تقر به عين والده ـ سواء تقدم والده بالوفاة[(٤)]، أو تأخر عنه ـ ومن ثم أثنى الله تعالى على عباد الرحمن القائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[الفرقان: ٧٤].

قال عكرمة رحمه الله تعالى: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين. رواه عبد بن حميد[(٥)].

---

(١) في «أ»: «فيحتسب».

(٢) رواه النسائي (٩٩٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٨٥) من حديث أبي سلمى ﷺ.

والبزار في «المسند» (٤١٨٦) ـ وحسن إسناده ـ من حديث ثوبان ﷺ.

والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٥٢) من حديث سفينة ﷺ.

والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٣) من حديث أبي أمامة ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في «أ»: «في الوفاة».

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٢٨٤).

وفي قرن الولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده بالباقيات الصالحات إيماء قوله عندما يصاب به: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦] لأن المؤمن إذا احتسب ولده أو حبيبه أو مفقوده يقولها وهي من الباقيات الصالحات أو من جنسهن؛ بل الصبر والاحتساب بالقلب من الباقيات الصالحات؛ فإن الأولى في تفسيرهن التعميم.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾[الكهف: ٤٦] قال: هن ذكر الله: لا الله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصلاة، والصيام، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهي الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة. رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم(١).

ورويا، وابنُ أبي شيبة عن قتادة رحمه الله تعالى أنه قال في الآية: كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات.

وروى ابن أبي حاتم عنه أنه سئل عن الباقيات الصالحات؛ قال: كل ما أريد به وجه الله(٢).

---

(١) ورواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٥٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٩٩).

* **فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَثَمانونَ:**

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: ٤٦].

وذكرنا أن الولد الصالح إذا مات واحتسبه والده، كان من الباقيات الصالحات.

وقد روى ابن أبي حاتم عن عياض بن عقبة رضي الله تعالى عنه: أنه مات له ابن يقال له: يحيى، فلما نزل في قبره قال رجل: والله إنه لسيد الجيش؛ فاحتسبه.

فقال: وما يمنعني أن أحتسبه وكان أمس من زينة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات[1]؟

وكذلك المال إذا أخذه من حله وأنفقه في محله يريد بذلك وجه الله تعالى؛ كان من الباقيات الصالحات.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ العَبْدُ: مالِي، مالِي، وَإِنَّما لَهُ مِنْ مالِهِ ثَلاثَةٌ: ما أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَبْقَى، وَما سِوى ذَلِكَ فَهُوَ ذاهِبٌ وَتارِكُهُ لِلنَّاسِ»[2].

---

(١) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٩).

وروى هو والترمذي، والنسائي عن عبدالله بن الشخير رضي الله تعالى عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: ١]؛ وفي لفظ: وقد أنزلت عليه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، وهو يقول: «[يَقُولُ] ابنُ آدَمَ: مالِي، مالِي؛ وَهَلْ لَكَ مِنْ مالِكَ إلاَّ ما أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ؟»(١).

فإذا أعطى الله العبد المال الطيب، ووفقه لإنفاقه في هذه الوجوه الثلاثة، وألهمه حسن النية فيها، فقد جمع له بين خير الدنيا والآخرة.

وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام. رواه ابن أبي حاتم(٢).

ولقد أحسن القائل: [من البسيط]

ما أَحْسَنَ [الدِّينَ] وَالدُّنْيا إذا اجْتَمَعا
وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالإِفْلاسَ بِالرَّجُلِ(٣)

*** فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَثَمانونَ:**

روى أبو عبدالله الحسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي (٣٦١٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٧٨٣).

(٣) انظر: «العمدة» لابن رشيق القيرواني (ص: ١١٥).

عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «أَصْبَحْنا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْكِبْرِياءُ وَالعَظَمَةُ، وَالْخَلْقُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهارُ، وَما سَكَنَ فِيهِما لِلَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ هَذا النَّهارِ صَلاحاً، وَأَوْسَطَهُ فَلاحاً، وَآخِرَهُ نَجاحاً، وَأَسْأَلُكَ خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

وأخرجه الطبراني في «الصغير»، ولفظه: «أَصْبَحْتُ وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْكِبْرِياءُ وَالعَظَمَةُ. . .» إلى آخره[2].

وفيه دليل على استحباب طلب الصلاح في كل صباح.

وفي قوله: «اجْعَلْ أَوَّلَ هَذا النَّهارِ صلاحاً، وَأَوْسَطَهُ فَلاحاً، وَآخِرَهُ نَجاحاً» ترتيب لطيف موافق للحكمة؛ فإن الصلاح نقيض الفساد؛ فالمراد طلب التوفيق إلى إصلاح الأعمال في صدر النهار.

والفلاح كما في «القاموس»: هو الفوز والنجاة، والبقاء في الخير[3].

فالمراد طلب الاستقامة على الخير في أوسط النهار، والفوز والنجاة، ولا يحصلان إلا بدوام الصلاح والاستقامة على الأعمال الصالحة.

---

(١) رواه أبو عبدالله المروزي في «زوائد الزهد» (١/ ٣٨٤)، وكذا عبد بن حميد في «المسند» (٥٣١)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٦) وقال: فيه فائد بن عبد الرحمن أبو الورقاء، ضعيف، وهو مع ضعفه يكتب حديثه.

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (ص: ١١٣).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٠٠) (مادة: فلح).

والنجاح هو الظفر بالشيء؛ فالمراد طلب الظفر بثواب الأعمال الصالحة، وثواب الاستيفاء عليها، فالصلاح ابتداء الخير، والفلاح دوامه، والفوز بثوابه، والنجاح به تمام الفلاح وكمال الخير، فلذلك قدم طلب الصلاح على طلب الفلاح لأنه متسبب عنه، وطلب الفلاح على طلب النجاح لأنه تمامه؛ فافهم!

* **فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَثَمانونَ:**

روى أبو نعيم عن أبي جعفر الخصاف قال: قال لي جابر الرحبي رحمه الله تعالى يوماً وأنا أماشيه: مر بنا نتسابق، فمر أنت هكذا حتى أَمُرَّ أنا هكذا.

قال: فمررت أنا على الجسر، فلما أبعدت على الجسر التفت فإذا هو يمشي على الماء ينتضح من تحت قدميه مثلما يخرج الغبار من تحت قدم الماشي، فلما التقينا قلت: من لا يحسن مثل هذا؛ أمشى على الجسر وتمشي أنت على الماء؟

قال: فقال لي: وقد رأيتني؟

قلت: نعم.

قال: أنت رجل صالح[1].

قلت: في ذلك إشارة إلى أن الصالح لا يطلع على كرامته إلا من كان صالحاً، أو من يراد به الصلاح، وإن كان منكراً فإنه يرجع عن الإنكار.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٦٧).

قال لي رجل من أهل الحرفة يوماً: يا سيدي! أفي هذا الزمان وليٌّ؟

قلت: لا يخلو وقت من الأولياء حتى تقوم الساعة.

فما لي لا أرى أحداً منهم؟

قلت: يا هذا! كيف تراهم وأنت لست منهم؟

قال لي: وكيف لي أن أكون منهم؟

قلت له: تصلي الصلوات الخمس، وتؤدي الفرائض التي عليك، وتلازم حرفتك، وتتقي الله فيها وفي سائر أعمالك، وتخلص لله تعالى، فحينئذ تكون من أولياء الله تعالى وتراهم.

ونظير ما تقدم ما ذكره الشيخ محي الدين بن العربي في «مسامراته» عن رياح بن عبيد قال: خرج عمر بن عبد العزيز قبل خلافته وشيخ متكىء على يده، قال: فقلت في نفسي: إن هذا الشيخ جافٍ، فلما صلى ودخل لحقته، فقلت: أصلح الله الأمير! من الشيخ الذي كان متوكئاً على يدك؟

فقال: يا رياح! رأيته؟

قلت: نعم.

قال: ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً؛ ذاك أخي الخضر عليه السلام، أتاني فأعلمني أني سَأَلي أمرَ هذه الأمة، وأني سأعدل فيها[1].

---

(١) ورواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (ص: ١٣٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٥٤). =

* فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَثَمانونَ:

روى الدينوري عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: لا يؤخذ العلم من أربعة: سفيه معلن بالسفه، وصاحب هوى، ورجل كذاب في أحاديثه وإن كان لا يتهم في الحديث، ورجل لـه فضل وعبادة وصلاح لا يعرف ما يحـدث[1]؛ أي: لا يعرف ما يحـدث بـه أهـو صحيـح أو ضعيف.

وتقدم نظير ذلك عن يحيى بن سعيد القطان.

* فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَثَمانونَ:

روى أبو نعيم عن السري السقطي رحمه الله تعالى قال: المغبون من فنيت أيامه بالتسويف، والمغبوط من تمنى الصالحون مقامه[2].

ووجهه: أن الصالحين عقلاء الناس فلا يتمنون لأنفسهم إلا ما كان خيراً لها وأصلح، فإذا غبطوا عبداً بمقامه دلت غبطتهم على علو ذلك المقام، وعثور صاحبه على المرام.

= قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤١) ـ بعد ذكره لهذا الخبر ـ: وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأعجاز، لا تخلو من أمرين؛ إما أن تكون أدخلت بين حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً، وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على جهة التعجب فنسبت إليهم على وجه التحقيق، وأكثر المغفلين مغرور بأن الخضر باقٍ، والتخليد لا يكون لبشر.

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥١٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١١٨).

بخلاف غير الصالحين؛ فإنهم لا يعرفون ما يتمنون، ولا يحسنون النظر إلى أنفسهم.

وقد روى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن أبي الدنيا في كتاب «المتمنين» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ ما يَتَمَنَّى؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي ما يُكْتَبُ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ»[1].

واعلم أن تمني أهل الدنيا قد لا يكون محمود العاقبة، بل هذا هو الغالب فيه.

قال الله تعالى حكاية عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٩٤)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (ص: ٨٨).

عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[القصص: ٧٩ ـ ٨٤].

والمتمني لا ينظر في عاقبته؛ إما أن يخذله الله في أمنيته ويلقيه في وبالها، وإما أن يمن الله عليه فيمنعه الأمنية، ويطلعه على حكمة منعه منها كما قال هؤلاء: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾[القصص: ٨٢]؛ أي: لولا أن مَنَّ الله علينا فلم يعطنا ما تمنيناه من مكان قارون وماله، لخسف بنا بسبب الأشر والبطر الذي خسف بسببه قارون.

وقال رسول الله ﷺ في حديث الثلاثة الذين تكلموا في المهد: «وَكانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْناً لَها مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ، فَمَرَّ بِها رَجُلٌ راكِبٌ ذُو شارَةٍ يَخْتالُ [فَقالَتْ]: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِيَ مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَها، وَأَقْبَلَ عَلى الرَّاكِبِ، وَقالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلى ثَدْيِها يَمُصُّهُ، ثُمَّ مَرَّا بِأَمَةٍ تُعاقَبُ، فَقالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِيَ مِثْلَ هَـذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَها، وَقالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَها، فَقالَتْ لَهُ: لِمَ ذاكَ؟

فَقالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ»[1]. رواه الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

*** فائِدَةٌ هِيَ تَمامُ تِسْعِينَ فائِدَةً:**

روى أبو نعيم عن مسعر بن كدام رحمه الله تعالى قال: لا أعلم

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٧)، والبخاري (٣٢٥٣)، ومسلم (٢٥٥٠).

حلالاً لا أشك فيه إلا أن يرد رجل الفرات فيشرب [بكفه]، أو أخ صالح يهدي إليك هدية[1].

وإنما قيد الهدية بصلاح المهدي لأنه يتحرى الحلال ويحذر الحرام؛ لأن الهدية إلى الأخ إنما هي في الحقيقة إلى الله تعالى لأنه إنما فعلها لإرادة وجه الله[2] تعالى، ولا يقبل الله إلا الطيب، ولأن الصالح إذا أهدى هدية من حلال أحسن نيته وأخلص، وبذلك يصفو حلها للمهدى إليه، وإنما نهى ﷺ عن طعام المتباريين[3]؛ لأنهما يبذلانه لغير وجه الله تعالى، فلا يخلص حله.

وفي الهدية معنى آخر، وهو أن الباعث عليها أحد أمرين؛ إما المحبة، وإما لغرض يتوصل إليه من المهدى إليه.

دليل الأول قوله ﷺ: «تَهادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُضعِّفُ الْحُبَّ»[4]؛ فإن إضعاف الحب يدل على وجوده بين المتهاديين.

ودليل الثاني قوله ﷺ: «نِعْمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمامَ الْحاجَةِ». رواه

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢١٧).

(٢) في «أ»: «وجهه».

(٣) رواه أبو داود (٣٧٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٠٥): الصحيح أنه عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسل.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ١٦٢) عن أم حكيم بنت وداع رضي الله عنها.

الطبراني في «الكبير» عن الحسن بن علي رضي الله عنهما[1].

ثم تلك الحاجة وذلك الغرض المطلوب من المهدى إليه؛ إما أن يكون ممدوحاً شرعاً، أو مذموماً.

فالأول كالهدية إلى الصالح ليدعو لك، وإلى العالم ليعلمك، وإلى الولي ليزوجك وأنت كفؤ، فالإهداء في ذلك مستحب، والمهدى إليه إن اطلع على مراد المهدي في ذلك فينبغي أن لا يقبل الهدية في مقابلة العمل الصالح ليخلص له أجره، ومتى علم أو ظن أن الباعث للمهدي على الهدية مجرد المحبة والتودد، فقبول الهدية سنة، وكذلك المكافأة عليها.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها. رواه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي[2].

وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «تَهادُوا تَحابُّوا»[3]؛ فإن التفاعل يقتضي المشاركة في الفعل.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٠٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٤٧): فيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٩٠)، والبخاري (٢٤٤٥)، وأبو داود (٣٥٣٦)، والترمذي (١٩٥٣).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٦١٤٨). قال الصنعاني في «سبل السلام» (٣/ ٩٢): في كل رواته مقال، والمصنف قد حسن إسناده، وكأنه لشواهده.

وإن أهدى أحد الأخوين وكافأه الآخر بهدية فقد تم التحاب، فإن لم يكافئه وهو قادر على المكافأة بأن لم يهد إليه بالكلية، أو أهدى إليه دون هديته، لم يتم التحاب لأنه أحب لنفسه أكثر مما يحب لأخيه.

ومن ثم قال وهب بن منبه: ترك المكافأة من التطفيف. رواه عبد الرزاق، ومن طريقه الإمام أحمد في «الزهد»، ومن طريقه أبو نعيم[١].

فإن لم يقدر على المكافأة بالهدية والإحسان فليكافئه بالدعاء والثناء.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْروفٌ فَقالَ لِفاعِلِهِ: جَزاكَ اللهُ خَيْراً فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّناءِ». رواه الترمذي ـ وحسنه ـ والنسائي، وابن حبان، وغيرهم عن أسامة بن زيد[٢].

وقد يكون الغرض في الهدية تصفية ما بينه وبين المهدى إليه، وإذهاب ما في صدره من العداوة، وهو غرض محبوب أيضاً لقوله ﷺ: «تَهادُوا؛ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُضَعِّفُ الْحُبَّ وَتَذْهَبُ بِغوائِلِ الصُّدورِ». رواه الطبراني في «الكبير» عن أم حكيم بنت وداع رضي الله تعالى عنها[٣].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٥) وقال: حسن جيد غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤١٣).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَهادُوا؛ فَإِنَّ الْهَدِيَّـةَ تُذْهِبُ وَحَرَ[1] الصَّدْرِ، وَلا تَحْقِرَنَّ جارَةٌ لِجارَتِها وَلَوْ كانَ شِقَّ فِرْسِنِ شاةٍ»[2].

وقد يكون الغرض في الهدية اتقاء شر المهدى إليه، فمهديها مأجور وآخذها يأخذها رشوة.

وفي الحديث: «ما وَقَى بِهِ الْمُؤْمِنُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ». رواه الإمام مالك عن جابر رضي الله تعالى عنه[3].

وأما الثاني: فكالهدية إلى الظالم ليحكم لـه بغير الحق، أو ليضر بمسلم، والهديـة إلى من يولي المهدي ولايـة، أو إلى امـرأة أو غـلام ليتوصل منهما إلى الفاحشة، أو إلى من يوصله إلى معصية، أو إلى من يقتل معصوماً، أو إلى من يحتمي بـه من حـق شرعي، أو من عقـوبـة شرعية، أو ليفجر تحت جاهه وظله؛ فهذه الهدايا كلها رشوة، وهي من

---

(١) جاء على هامش «أ» و«ت»: «وحر: بالحـاء المهملـة، مفتوحـة: غش الصـدر ووساوسه، وقيل: الحقد والغيظ. وقيل: العداوة، وقيل: أشد الغيظ، وهو نهايته».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٤)، والترمذي (٢١٣٠) واللفظ له، وقال: غريب.

(٣) رواه الطيالسي في «المسند» (١٧١٣). وصحح ابن القطان إسناده في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٤٣).

أشد الحرام، وقبولها أفحش.

فإن أهدى إلى حاكم ليتوصل إلى حق، فالإهداء جائز، وقبول الهدية حرام.

واعلم أن العبد الصالح لا يقبل الهدية من ذي غرض فاسد، ولا يقبل هدية قط على علم ولا هدى، ولا حكم ولا فتوى، ولا على شيء من أعمال الآخرة أصلاً خيفة من الاسترسال في ذلك، والوقوع آخراً في الشبهة، بل وفي الحرام، واحتجاب نور الحق بظلمة الهدية.

وقد قال وهب: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكُوَّة. رواه أبو نعيم[1].

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْهَدِيَّةُ تُعْوِرُ عَيْنَ الْحَكِيمِ»[2].

وقال حذيفة المرعشي: إياكم وهدايا الفتيان والسفهاء؛ فإنكم إذا قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم. رواه ابن جهضم[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن عصمة بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْهَدِيَّةُ تَذْهَبُ بِالسَّمْعِ وَالقَلْبِ»[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٤).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٩٦٩).

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٢٦) وعنده: «الفجار» بدل «الفتيان».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٥١): فيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف جداً.

وروى عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَفَعَ شَفاعَةً لأَحَدٍ فَأَهْدَى لَـهُ هَدِيَّةً عَلَيْها، [فَقَبِلَها]، فَقَدْ أَتى بـابـاً عَظِيماً مِنْ أَبـوابِ الكَبائِرِ»[1].

ومن المحققين من العلماء الصالحين من حسم عنه مادة قبول الهدية التي تبعث مهديها على إهدائها إليه اعتقاده الخير والصلاح فيه خيفة أن يكون ذلك تطلعاً على عوض دنيوي على عمل أخروي.

كما روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الورع» عن خالد بن أبي الصلت قال: قلت لمحمد بن سيرين: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟

قال: فقال لي: يا أبا عبدالله! أو: يا هذا! إنما أعطاني على خير كان يظنه بي، فلئن كنت كما ظن فما ينبغي لي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أنه لا يجوز لي أن أقبل[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن رجاء بن أبي سلمة قال: بلغني أن ابن محيريز دخل على رجل من البزازين يشتري منه شيئاً، فقال لـه رجل: أتعرف هذا؟ هذا ابن محيريز.

فقام، فقال: إنما جئنا نشتري بدراهمنا، ليس بديننا[3].

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (ص: ٥٨١)، وكذا أبو داود (٣٥٤١) وعندهما: «الربا» بدل «الكبائر».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ١١٩).

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٨٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٣٨).

وروى ابنه في «زوائده» عن أبي زرعة: أنه بلغه أن ابن محيريز دخل على تاجر يشتري ثوباً، فقال رجل كان معه للتاجر: هذا ابن محيريز.

فقال: أف! إنما دخلنا نشتري بنفقتنا، ولم نشتر بديننا.

فخرج ولم يشتر شيئاً[1].

فانظر كيف لم يرض ابن محيريز بأن سامحه التاجر بشيء ما بسبب دينه وصلاحه، كما لم يرض ابن سيرين أن يقبل ما يعطاه بسبب ما يظن فيه من الخير حسماً لمادة النفوس عن الأطماع، وصيانةً للنفوس عن التعوض عن شيء من الدين بشيء من الدنيا، فكذلك ينبغي للصالح أن لا يترخص في شيء من ذلك وإن احتاج إليه من استطاع؛ فإن في الله عوضاً من كل فائت.

وروى أبو الحسن بن جهضم عن محمد بن أبي الورد قال: كتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط: بلغني أنك بعت دينك بحبتين؛ وقفت على صاحب لبن، فقلتَ: بكم هذا؟

فقال: بسدس.

فقلتَ: بثُمن؟

فقال: هو لك، وكان يعرفك[2]!

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٣٩).

(٢) ورواه الآجري في «أخلاق أهل القرآن» (ص: ١٠)، وانظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٨٣).

وقد روى الإمام أحمد عن قتادة، وأبي الدهماء قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئا؟

قال: نعم، سمعته يقول: «إِنَّكَ لَمْ تَدَعْ شَيئاً لِلَّهِ إِلاَّ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ ما هُوَ خَيْرٌ [لَكَ] مِنْهُ»[1].

وفي لفظ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيئاً اتِّقاءَ اللهِ إِلاَّ أَعْطاكَ اللهُ خَيراً مِنْهُ»[2].

قال السخاوي: ورجاله رجال الصحيح[3].

وروى البخاري في «تاريخه»، وأبو داود، والبغوي، وغيرهم عن ذي الزوائد الجهني رضي الله تعالى عنه ـ قال البغوي: لا أعلم له غيره ـ أن النبي ﷺ قال: «خُذوا العَطاءَ ما دامَ عطاءً، فَإِذا تَجاحَفَتْ قُرَيْشٌ بَينها الْمُلكَ، وَصارَ العَطاءُ رِشاً عَنْ دِينِكُمْ، فَدَعُوهُ»[4].

والمراد بالعطاء ما يعطيه الإمام الرجلَ مما يستحقه من بيت المال.

فإذا كان ﷺ أمر بترك الحق من بيت المال إذا لم يعطه الإمام إلا رشوة على الدين كأن يطلب منك المساعدة على غرض مذموم؛ فما ظنك بالهدية والرشوة؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٧٨).

(٣) انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٥٧٧).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٣٥)، وأبو داود (٢٩٥٩).

وفي حديث آخر: «خُذوا العَطاءَ ما كانَ عَطاءً، فَإِذا كانَ إِنَّما هُوَ رِشَىً فَاتْرُكوهُ، وَلا أَراكُمْ تَفْعَلُونَ؛ يَحْمِلُكُمْ عَلى ذَلِكَ الفَقْرُ وَالْحاجَةُ»(١).

وليس في هذا الحديث بيان الرخصة للفقر والحاجة، وإنما تؤخذ الرخصة من دليل آخر.

ولقد عَدَّ الرخصةَ في ذلك نزولاً عن الرتبة وانحطاطاً في الدرجة غيرُ واحد.

وقال أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار»: سمعت أبا عبدالله محمد بن خفيف يقول: لما دخلت بغداد قصدت رُويماً وكان قد تولى القضاء، فلما دخلت عليه رحَّب بِي وأدناني، وقال لي: من أين أنت؟

فقلت: من فارس.

فقال: لمن صحبت؟

قلت: جعفر الحذاء.

فقال: ماذا يقول الصوفية فيَّ؟

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٦٥) عن معاذ بن جبل ﷺ، وعندهما: «يمنعكم» بدل «يحملكم». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٨): رواه الطبراني، ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

قلت: لا شيء.

قال: بل يقولون: إنه رجع إلى الدنيا.

فبينا هو يحدثني إذ جاء طفل صغير فقعد في حِجْره، فقال رويم: لو كنت أرى فيهم من يكفيني مؤنة هذا الطفل ما تعلقت بهذا الأمر ولا بشيء من أسباب الدنيا، ولكنَّ شُغلَ قلبي بهذا أوقعني فيما أنا فيه[1].

*** فائِدَةٌ حادِيَةٌ وَتِسعونَ:**

روى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن رويم بن أحمد رحمه الله تعالى قال: لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا هلكوا[2].

ومعناه أن الصوفية المجتمعين في رباط واحد ونحوه، أو عند شيخ واحد وهم إخوان لا يزالون بخير ما تنافروا بإنكار بعضهم، لا يرى بعضهم على أخيه شيئاً يقصر به، أو يقعد به عن بلوغ المراتب العلية إلا أنكره عليه، ونقر عليه فيه، والآخر كذلك يفعل معه، فإذا اصطلحوا فتقرب بعضهم إلى بعض بترك الإنكار عليه هلكوا.

وهذا كما كانوا يقولون: اصطلحا فافتضحا.

ونظيره ما رواه أبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إذا

---

(١) وانظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص: ٣٩).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٤٨).

أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء.

قالوا لسفيان: كيف ذاك؟

قال: يراهم يعملون بالمعاصي فلا يغير عليهم، ويلقاهم بوجه طليق[1].

وعنه أيضاً أنه قال: إذا كان الناسكُ جيرانُه عنه راضونَ فهو مداهن[2].

*** فائِدَةٌ ثانِيَةٌ وَتِسعونَ:**

ذكر أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء الأصبهاني في «معجمه» عن منصور ـ هو الفقيه ـ قال: رأيت في المنام ـ وكنت جندياً ـ كأن قائلاً يقول: [من الكامل]

فَدَعِ الْمِراءَ لِمُفْسِدٍ أَوْ مُصْلِحِ
مَنْ ذاقَ طَعْمَ طَعامِهِمْ لَمْ يُفْلِحِ

قال: فتركت الديوان[3].

وقال أبو الحسن بن جهضم: سمعت محمد بن بسام المؤذن يقول: سمعت منصور الفقيه؛ وذكر قصته وحضوره عند ابن طولون.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٠).

(٣) انظر: «المعجم» لابن المقرىء (١/ ٣٥٥).

قال: فجلسنا ننتظر حضور الطعام وحضور الأمير، فلحقتني نعسة لطول الجلوس، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: [من الكامل]

فَدَعِ الْمِراءَ لِمُفْسِدٍ أَوْ مُصْلِحِ
مَنْ ذاقَ طَعْمَ طَعامِهِمْ لَمْ يُفْلِحِ

والمعنى: دع المماراة مع من يريد لك الإصلاح، ومن يريد الإفساد إذا ناداك في أن طعام الأمراء لا يضرك فإنه يضرك، ومن ذاق طعامهم لم يفلح، فكيف بمن يلازم على أكله ويتردد إليه؟

وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ لسلمان: «إِنَّ طَعامَ أُمَرائِي بَعْدِي مِثْلُ طَعامِ الدَّجَّالِ؛ إِذا أَكَلَهُ الرَّجُلُ انْقَلَبَ قَلْبُهُ»[1].

وعنه قال: إن الرجل ليستعير من السلاطين الدابة أو السرج أو اللجام؛ فيتغير قلبه لهم[2].

*** فائِدَةٌ ثالِثَةٌ وَتسعونَ:**

قال ابن جهضم: حدثني محمد بن الحسين قال: بلغني أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما: [من البسيط]

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٦٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٤١).

يَـــا مَـــنْ تَـــشَرَّفَ بِالـــدُّنْيا وَزينَتِهـــا

لَــيْسَ التَّــشَرُّفُ رَفْــعَ اللَّــبْنِ بِــالطِّينِ

إِذا رَأَيْـــتَ شَـــريفَ النَّـــاسِ كُلِّهِـــمُ

فَــانْظُرْ إِلَــى مَلِــكٍ فِــي زِيِّ مِــسْكِينِ

ذاكَ الَّــذِي عَظُمَــتْ فِــي النَّــاسِ رَأْفَتُــهُ

وَذاكَ يَـــصْلُحُ لِلـــدُّنْيا وَلِلـــدِّينِ

مـا أَحْـسَنَ الـدِّينَ وَالـدُّنْيا إِذا اجْتَمَعـا

وَأَكْـرَمَ العِـزَّ وَالإِسْـلامَ فِـي لِـينِ(1)

في قوله: وذاك يصلح للدنيا وللدين؛ أي: يصلح لدنيا رعيته ولدينهم، وإلا فإنه صلح في نفسه لأنه ملك الأمة باستخلافه، فلم يستفزه الملك عن زي المساكين واستكانتهم، فقد اصطفاه الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة لأن مشرب قلبه من مشرب قلب إبراهيم عليه السلام، وقد أثنى الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

فأبو بكر رضي الله تعالى عنه لما رغب في ملة إبراهيم فكان أول

---

(١) عزاها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ١٢٧) لأبي بكر الصديق ﵁.

وعزاها الجاحظ في «المحاسن والأضداد» (ص: ١١٧)، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢/ ١٨٩) لأبي العتاهية.

المسلمين اصطفاه الله في الدنيا واختاره للخلافة عليهم؛ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

*** فائِدَةٌ رابِعَةٌ وَتسعونَ:**

روى ابن جهضم عن أبي علي الروذباري قال: إذا وجدت العارف متراخياً عن الأوراد التي كانت له في البدايات فليس يصلح للقدوة؛ يعني: من حيث إن من يراه ممن يحتاج إلى الاقتداء به يقلده في التراخي والتجوز، وما أسرع النفس إلى تقليد من يوافق حاله هواها.

وإن كان مقام العارف لا ينقص بالتقاعد عن الأوراد، والأعمال الظاهرة إذا أدى الفرائض منها والمؤكدات من التطوعات لقوله ﷺ: «إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذا اخْتَلَفَ النَّاسُ؛ وَإِنْ كانَ مُقَصِّراً فِي عَمَلِهِ، وَإِنْ كانَ يَزْحَفُ عَلى اسْتِهِ زَحفاً». رواه الطبراني، وغيره[1].

وقلت في معنى الحديث: [من الخفيف]

أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالْحَقِّ
إِذا ما رَأَيْتَ فِي النَّاسِ خُلْفا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١)، وكذا الطيالسي في «المسند» (٣٧٨) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٣): فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث.

ذاكَ مـــا ضَـــرَّهُ وَلا نـــالَ مِنْـــهُ
نَقْـــصُ أَعْمالِـــهِ وَلَـــوْ ســـارَ زَحْفـــا

وقال ابن عطاء الله الإسكندري في «حِكَمه»: إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك؛ فإنه ما فتحها [لك] إلا وهو يريد بأن يتعرف إليك؛ [ألم تعلم] أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك[1]؟

وقال الجد رضي الله تعالى عنه في «نظم الدرر اللوامع»: [من الرجز]

وَصـــاحِبُ العِرْفـــانِ لا يُبـــالِي
إِذا ابْتُلِـــيْ بِقِلَّـــةِ الأَعْمـــالِ

وما أحسنَ قولَه: إذا ابتلي؛ فعد قلة الأعمال بلاءً من العارف، والبلاء ليس له إلا الصبر، وصبر العارف على هذا البلاء هو أن يحمل نفسه على فضائل الأعمال وما كان يعتاده من الأوراد، ويصبر على ذلك، وحينئذ يصلح للقدوة كما في كلام الروذباري رحمه الله تعالى.

والدليل عليه من كتاب الله تعالى قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤].

---

(١) انظر: «الحكم العطائية» لابن عطاء الله (ص: ٢٨٢).

قال قتادة في قوله: ﴿أَئِمَّةً﴾[السجدة: ٢٤]: رؤساء يقتدي بهم سوى الأنبياء[1].

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[السجدة: ٢٤]؛ قال: على ترك الدنيا. رواه ابن أبي حاتم[2].

والأحسن التعميم في الصبر؛ أي: لما صبروا على البلاء ـ ومنه ترك الدنيا ـ وعلى الطاعات وعن المعاصي، عوضناهم بأن جعلناهم أئمة.

وروى الحاكم عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه أنه تلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[السجدة: ٢٤] فقال: حدثني الزهري: أن عطاء بن يزيد حدثه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما رُزِقَ عَبْدٌ خيراً لَهُ وَلا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[3].

وروى أبو نعيم عن سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: أيما عبد قام بشيء مما أمره الله به من أمر دينه، فعمل به وتمسك به، واجتنب ما نهى الله عنه عند فساد الأمور، وعند تشويش الزمان واختلاف الناس في الرأي والتفريق، إلا جعله الله تعالى إماماً يقتدى به، هادياً مهدياً قد أقام الدين في زمانه، وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو

---

(١) روى الطبري في «التفسير» (٢١/ ١١٣) بمعناه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٥٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٢). وأصل الحديث في البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

الغريب في زمانه الذي قال رسول الله ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً[1]»[2].

*** فائِدَةٌ خامِسَةٌ وَتِسعونَ:**

روى أبو نعيم عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه تلا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾[الفجر: ٢٧]، وقال: النفس المؤمنة اطمأنت إلى الله تعالى واطمأن إليها، وأحبت لقاء الله وأحب الله لقاءها، ورضيت عن الله ورضي الله عنها، فأمر بقبض روحها، فغفر لها، وأدخلها الجنة، وجعلها من عباده الصالحين[3].

قلت: فيه إشارة إلى أن العبد قد لا يكون من الصالحين فيما يظهر من حاله، فإذا اطمأن إلى الله عند الموت، ورضي عنه، وأحب لقاءه، كتب بهذه الأخلاق من الصالحين.

وكذلك كل عمل صالح أتى به قبل غرغرته بالروح خصوصاً كلمة الشهادة لقوله ﷺ: «مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[4].

والحكمة في ذلك أن هذه حسنة لا سيئة بعدها أصلاً، فكفرت ما سبق.

---

(١) رواه مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٩٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٠)، وذكره البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٨٨٧) معلقاً.

(٤) رواه أبو داود (٣١١٦).

وقد قال قاسم الجوعي رحمه الله تعالى: من أصلح فيما بقي من عمره غفر له ما مضى وما بقي، ومن أفسد فيما بقي من عمره أخذ بما مضى وما بقي. رواه ابن جهضم(١).

بل في معناه ما رواه ابن عساكر عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْسَنَ فِيما بَقِيَ غُفِرَ لَهُ ما مَضَى، وَمَنْ أَساءَ فِيما بَقِيَ أُخِذَ بِما مَضَى وَما بَقِيَ»(٢).

ولعل المراد بقوله: «وَمَنْ أَساءَ» الإساءة المحبطة للأعمال كالكفر، والنفاق، والرياء، والقتل، ثم يُصِرُّ على ذلك إلى الموت.

وروى أبو داود عن أبي الدرداء، وعبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لا يَزالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقاً صالِحاً ما لَمْ يُصِبْ دَماً حَراماً، فَإِذا أَصابَ دماً حَراماً بَلَّحَ»(٣).

وقوله «معنقاً»؛ أي: مسرعاً في الخير.

وقوله: «صالحاً»؛ أي: يرجى له الخير وفيه قابلية.

وقوله: «بَلَّح»؛ أي: أعيا؛ والمعنى: انقطع به.

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٢٣).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٣٧٤)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٠٦). وحسن المنذري إسناد الطبراني في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٢٧٠).

ومعنى الحديث: أن العبد يرجى له الخير والنجاة ما لم يقتل النفس التي حرم الله قتلها[1] إلا بالحق، فيكون إلى فساد حالـه أقرب منـه إلى صلاح شأنه.

وفي معناه قوله ﷺ: «لا يَزالُ العَبْدُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ ما لَمْ يُصِبْ دماً حَراماً». رواه الإمام أحمد، والبخاري من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[2].

وروى الديلمي عن معاذ بن جبـل رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزالُ قَلبُ العَبْدِ يَقبَلُ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ حَتَّى يَسْفِكَ الدَّمَ الْحَرامَ، فَإِذا سَفَكَهُ نُكِسَ قَلْبُـهُ، فَعادَ كَأَنَّـهُ كِيرٌ مُجْخٍ أَسْوَدُ مِنَ الرَّيْبِ، لا يَعْرِفُ مَعْروفاً وَلا يُنْكِرُ مُنْكراً»[3].

وروى سعيد بن منصور، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعـود رضي الله تعالى عنه قال: لا يزال الرجل في فسحة من دينه ما نقيت كفه من الدم، فإذا غمست يده في الدم الحرام نزع حياؤه[4].

وروى البيهقي عن محمد بن عجـلان قال: كنت بالإسكندريـة، فحضرت رجلاً الوفاةُ، لم نر من خلق الله أحداً كان أخشى لله منه، فكنا

---

(١) «قتلها» ليست في «أ».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٩٤)، والبخاري (٦٤٦٩).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٥٨٢).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٢٧)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٧٤٠).

نلقنه، فيقبل كل ما لقَّناه من سبحان الله، والحمد لله، فإذا جاءت: لا الله إلا الله أبى، فقلنا له: ما رأينا من خلق الله أحداً كـان أخشى لله منـك، فنلقنك فتلقن، حتى إذا جاءت: لا الله إلا الله أبيت؟

قال: إنه حيل بيني وبينها؛ قتلت نفساً في شبيبتي[1].

وروى عبد الرزاق، والبيهقي عن جندب البجلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ لا يَحُولَ بَيـنَـهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَـفٍّ مِنْ دَمِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُهْرِقَـهُ؛ كُلَّما تَعَرَّضَ لِبابٍ مِنْ أَبوابِ الْجَنَّةِ حالَ بَينَهُ وَبَينَهُ»[2].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «خَمْسٌ لَيسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَبهتُ مُؤْمِنٍ، وَالفِرارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَيَمِيْنٌ صابِـرَةٌ يَقْتَطِعُ بِها مالاً بِغَيرِ حَقٍّ»[3].

والإساءة المحبطة للأعمـال ارتكاب كبيـرة والإصـرار عليها إلى الممات، وبذلك يخرج العبد من عداد الصالحين في الدنيا والآخرة.

ومن اللطائف: ما رواه أبو نعيم عن أبي أحمد يحيى بن الحسين

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٦٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٥٠) وقال: الصحيح موقوف، وأصل الحديث في البخاري (٦٧٣٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٣): فيه بقية، وهو مدلس، وقد عنعنه.

القلانسي قال: رأيت ربي ﷻ في النوم، قلت: يا رب! اغفر لي ما مضى.

قال: إن أردت أن أغفر لك ما مضى فأصلح لي ما بقي.

قال: فقلت: يا رب! فأعني عليه[1].

* فائِدَةٌ سادِسَةٌ وَتِسعونَ:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[مريم: ٥٩].

قال مجاهد: عند قيام الساعة وذهاب صالح أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناةً[2].

وقال أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾[مريم: ٥٩]؛ قال: من هذه الأمة؛ يتراكبون في الطرق كما تتراكب الأنعام، لا يستحيون من الناس، ولا يخافون من الله. رواه عبد بن حميد[3].

والمراد أن الغالب في آخر الزمان على أهله هذا، وأن الصالحين يذهبون الأول فالأول كما تقدم، فيقلون، ثم ينفَدُون بالكلية.

قال وهب بن منبه: قال دانيال عليه السلام: يا لهف نفسي على زمن يُلتمَس فيه الصالحون ولا تجد منهم أحداً إلا كالسنبلة في أثر

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٠٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٦/ ٩٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٢٦).

الحاصد وكالخصلة في أثر القاطف، يوشك نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيهم. رواه أبو نعيم[1].

ثم إن الله تعالى لم يسدَّ على أولئك الخلف أبواب التوبة والصلاح، بل جعله لهم مفتوحاً، فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

ففي الآيـة دليل على أن أولئك الخلف لا يخلون من صالح، فإذا رجع أحدهم إلى الصلاح صلح وأفلح.

وقد روى الطبراني في «الكبير» عن عمار ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ؛ يَجْعَلُ اللهُ فِي أَوَّلِهِ خَيراً وَفِي آخِرِهِ خَيراً»[2].

ورواه الإمام أحمد، ولفظه: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ؛ لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ خير[3]»[4].

وبهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد، والترمذي ـ وحسنه ـ عن أنس، وأبـو يعلى عن علي، والطبـراني في «الكبير» عن ابن عمرو، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٣).

(٢) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٦٨).

(٣) «خير» ليس في «أ».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣١٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٠)، والترمذي (٢٨٦٩) وحسنه، =

وروى أبو نعيم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي كَحَدِيقَةٍ قامَ عَلَيْها صاحِبُها، فَاحْتَذَرَ رِواكِيها، وَهَيَّأَ مَساكِنَها، وَحَلَق سَعفَها، فَأَطْعَمَ عاماً فَوْجاً وَعاماً فَوْجاً، فَلَعَلَّ آخِرَهُما طُعْماً أَجْوَدُهُما قِنواناً، وَأَطْوَلُهما شِمراخاً، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَيَجِدَنَّ عِيسى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ [فِي أُمَّتِي] خَلَفاً مِنْ حَوارِيهِ»[1].

وفي المعنى قلت: [من الرمل]

لَمْ يَسُدَّ اللهُ بابَ الْخَيْرِ عَنْ ... طالِبِيهِ الصَّالِحِينَ فِي زَمَنْ

كُلُّ وَقْتٍ صالِحٌ لِلْخَيْرِ مَنْ ... يَبْتَغِي فِيهِ صَلاحاً فَحَسَنْ

* **فائِدَةٌ سابِعَةٌ وَتِسعونَ:**

روى أبو نعيم عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: العاقل الكامل من صلح مع الفاجر الجاهل[2].

هذا يحتمل وجهين:

= وأبو يعلى في «المسند» (٣٧١٧) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣١) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(١) ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٩٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٤٠٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧١).

الأول: أن العاقل الكامل العقل هو الذي يصلح ويستقيم مع الفاجر الجاهل في حال السلم بالمداراة من غير إثم، وفي حال الحرب إما بالإعراض عنه، وإما يحسن الخديعة ولطف الحيلة، والانتصار منه من غير عدوان ولا تهور.

الوجه الثاني: أن العاقل الكامل العقل هو الذي يصلح في زمان كثرة الفجار والجاهلين، ولا يتابعهم، ولا يكون معهم فيما هم فيه.

*** فائِدَةٌ ثامِنَةٌ وَتِسعونَ:**

روى أبو نعيم عن سالم بن نوح قال: مر عوف يوم جمعة، فسأله يونس فقال: كيف أنت؟ كيف حالك؟

فقال عوف: قيل لأبي السوار العدوي رحمه الله تعالى: أكل حالك صالح؟

فقال: ليت عُشْره يصلح[1].

وهذا إشارة من أبي السوار إلى أن العُشر إذا صلح كفَّر ما بقي من الأعشار التسعة؛ لأن الحسنة بعشر حسنات، وكل حسنة تكفر سيئة.

وقد سبق قول النبي ﷺ: «إِنَّ الْخَصْلَةَ الصَّالِحَةَ تَكونُ فِي الرَّجُلِ فَيُصْلِحُ اللهُ لَهُ بِها عَمَلَهُ»[2].

وقد عد بعض العارفين حب الصالحين حسنة مصلحة للعبد.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

وفي المعنى قيل : [من الوافر]

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفاعَة

وروى أبو الحسن بن جهضم عن محمد بن [حسان][1] قال : سمعت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة، فتكلم الفضيل بكلام، فقال فيما تكلم : كنتم معشرَ العلماء سُرُجَ البلاد يستضاء بكم، فصرتم ظلمة، وكنتم نجوماً يهتدى بكم، فصرتم حيرة، لم لا يستحي أحدكم يأخذ من مال هؤلاء وقد علم من أين هو، حتى يسند ظهره ويقول : حدثني فلان عن فلان، وحدثنا فلان عن فلان.

فرفع سفيان رأسه وكان مطأطئه، فقال : هاه! هاه! والله لئن كنا لسنا صالحين فإنا نحب الصالحين.

قال : فأسكت الفضيل، وطلب إليه سفيان فحدثنا بثلاثين حديثاً[2].

وروى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن عبدالله بن أبي زكريا الدمشقي أنه كان يقول : لو خيرت أن أعمر مئة سنة في طاعة الله، أو أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه، لاخترت أن أقبض في يومي هذا أو ساعتي هذه شوقاً إلى الله، وإلى رسوله، وإلى

(١) بياض في «أ»، و«ت»، والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) ورواه الجرجاني في «الأمالي الخميسية» (٢/ ٤٣٥)، والسلفي في «الطيوريات» (٣/ ٢٩٧).

الصالحين من عباد الله[1].

وهذا منتزع من قول يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

وكأن ابن أبي زكريا وثق من حبه لله تعالى ولرسوله وللصالحين ما لم يثق من طاعة مئة سنة؛ لأن الطاعة يدخلها الرياء والفساد بخلاف حب من ذكر؛ فإنه من أفضل الحسنات، ولا يدخله ما يفسده.

ولذلك قال رسول الله ﷺ لمن سأل عن الساعة فقال له: «ما أَعْدَدْتَ لَها؟».

قال: ما أعددت لها كبير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله.

فقال له: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». رواه الشيخان، وغيرهما، وتقدم[2].

* فائِدَةٌ تاسِعَةٌ وَتِسعونَ:

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت»، وأبو الشيخ، وابن منده

---

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢١٦)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٥١).

(٢) تقدم تخريجه.

في كتاب «سؤال القبر» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: أتى رجل من أهل البادية رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[يونس: ٦٣ ـ ٦٤].

فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[يونس: ٦٤] فَهِيَ الرُّؤْيا الْحَسَنَةُ تُرى لِلْمُؤْمِنِ فَيُبَشَّرَ بِها.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[يونس: ٦٤] فَإِنَّها بِشارَةُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمَوْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ غفرَ لَكَ وَلِمَنْ حَمَلَكَ إِلَى قَبْرِكَ»[1].

وأراد بالمؤمن الكامل في الإيمان، وهو العبد الصالح؛ لأن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٣] صفة الصالحين.

وقد روى الإمام أحمد، والبخاري، والنسائي، وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيا الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»[2].

وروى ابن جرير، وأبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[يونس: ٦٣]؛ قال: «هُوَ فِي الدُّنْيا الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَراها العَبْدُ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٣٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٦)، والبخاري (٦٥٨٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٢٤)، وابن ماجه (٣٨٩٣)، وكذا مسلم (٢٢٦٤).

الصَّالِحُ أَوْ تُرى لَهُ، وَفِي الآخِرَةِ الْجَنَّةُ»[1].

أي: البشرى بالجنة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠].

وقال زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى في الآية: يبشر بها عند موته، وفي قبره، ويوم يبعث؛ فإنه لقي الجنة وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه. رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم[2].

وقال أيضاً: يؤتى المؤمن عند الموت فيقال: لا تخف مما أنت قادم عليه، فيذهب خوفه، ولا تحزن على الدنيا ولا على أهلها، وأبشر بالجنة، فيموت قد أقرَّ الله عينه. رواه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[3].

وقال مجاهد: إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه. رواه أبو نعيم[4].

وفي «صحيح مسلم»، وغيره عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ١٣٥)، وأصل الحديث عند مسلم (٢٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٢٣).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٢٣).

(٤) ورواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ١٩).

عليه؟ وفي رواية: ويحبه الناس عليه؟

قال: «تِلْكَ عاجِلُ بُشْرى الْمُؤْمِنِ»[1].

فثناء الناس عليه دليل على صلاحه، وقبوله عند الله تعالى حتى جعل إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه بشارة له بذلك، وكذلك حب الناس له كما تقدم.

*** فائِدَةٌ بِها تَتِمُّ مِئَةُ فائِدَةٍ:**

وهي آخر الفوائد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أرض الجنة يرثها الذين يصلون الصلوات الخمس في الجماعات.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٦]؛ أي: بشارة لقوم عابدين.

قال: الذين يصلون الصلوات في الجماعات. رواه البيهقي في «الشعب»[2].

وروى عنه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم أنه قال في الآية: أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١٢).

السموات والأرض أنه يورث أمة محمد الأرض، ويدخلهم الجنة، وهم الصالحون(١).

وقال أبو الدرداء ﷺ: قال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ فنحن الصالحون. رواه البخاري في «تاريخه»، وابن أبي حاتم(٢).

وفي ذلك فضيلة لأمة محمد ﷺ لا تخفى من حيث إن الله تعالى سماهم في الذكر الأول الصالحين، ومن حيث إنهم ـ وإن كان فيهم الظالم لنفسه ـ فإنهم صالحون لدخول الجنة، وميراث أرضها كما يقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى».

قالوا: ومن يأبى؟

قال: «مَنْ أَطاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصانِي فَقَدْ أَبى». رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه(٣).

ولعله أراد بقوله: «وَمَنْ عَصانِي»: من عصاه في التوحيد، ولا يخلد في النار عاص موحد.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ١٠٤).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٧٥).

(٣) رواه البخاري (٦٨٥١).

وروى الحاكم ـ وصححه ـ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ شَرَدَ عَنِ اللهِ شِرادَ البَعِيرِ عَلى أَهْلِهِ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير»، والحاكم ـ وصححه ـ عن عبدالله بن يزيد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَذابُ أُمَّتِي فِي دُنْياها»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضحى: ٥]؛ قال: رضاه أن تدخل أمته كلهم الجنة[3].

وروى الخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» عنه قال: لا يرضى محمد ﷺ وأحد من أمته[4] في النار[5].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٤)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٥٧)، وكذا ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٣٣) وأعله بالحسن بن الحكم النخعي، وقال: يخطىء كثيراً ويهم شديداً، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد، وهذا الخبر باطل.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٤٥).

(٤) في «تفسير الطبري»: «أهل بيته» بدل «أمته».

(٥) ورواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٣٢)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٤٢).

وفي «صحيح مسلم» عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾[إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[المائدة: ١١٨] الآية، فرفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي»، وبكى.

فقال الله تعالى: يا جبريل! اذهب إلى محمد ﷺ فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك[1].

وروى أبو نعيم، وغيره عن علي رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَشْفَعُ لأُمَّتِي حَتَّى يُنادِيني رَبِّي: أَرَضِيتَ يا مُحَمَّدُ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ يا رَبِّ رَضِيتُ»[2].

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، واللفظ الذي ذكره المؤلف مختصر.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٧٩)، وكذا البزار في «المسند» (٦٣٨).



فصل

علم مما تقدم أن الصالحين هم أولياء الله تعالى الولاية الخاصة، وهم المحفوفون بالعنايات، المتحفون بأنواع الكرامات الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]؛ أي: لفقد الدنيا، أو لفقد ما سوى الله تعالى، أو: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢] يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[الأنبياء: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾[فصلت: ٣٠].

وهذا الأخير أرجح.

ثم بين الله تعالى أولياءه من هم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٣].

فالإيمان والتقوى يجمعان جميع أوصاف الأولياء، وجميع أقسام الولاية بهذه الآية.

ولقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ

ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: ١٩].

*** وقد أحببت أن أذكر هنا جملاً من أوصاف الأولياء ـ وإن كانت هي أوصاف الصالحين المندرجة تحت الإيمان والتقوى ـ تحريكاً للعبد ليتحلى بحليتهم، ويتشبه بهم في طريقتهم:**

روى الطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]؛ قال: «الَّذِينَ يُذْكَرُ اللهُ بِذِكْرِهِمْ»[(١)].

وفي لفظ: «الَّذِينَ إِذا رُؤُوا يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤْيَتِهِمْ».

وأخرجه الضياء في «المختارة»[(٢)].

وفي لفظ آخر عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: من أولياء الله؟

قال: «الَّذِينَ إِذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ». أخرجه ابن المبارك، والبزار، وآخرون[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٢٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٦): رواه الطبراني عن شيخه الفضل بن أبي روح، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (١١/ ١٣١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٦٤).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨): رواه البزار =

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخِيارِكُمْ؟».

قالوا: بلى.

قال: «الَّذِينَ إِذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ»(١).

وروى أبو نعيم عن سعد ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: من أولياء الله؟

قال: «الَّذِينَ إِذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ»(٢).

وروى سعيد بن منصور عن الحسن ـ مرسلاً ـ والطبراني في «الأوسط» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ الْمُصَلُّونَ، وَمَنْ يُقِيمُ الصَّلَواتِ الْخَمْسَ الَّتِي كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَصُومُ رَمَضانَ وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ، وَيُؤْتِي الزَّكاةَ مُحْتَسِباً طَيِّبَةً بِها نَفْسُهُ، وَيَجْتَنِبُ الكَبائِرَ الَّتِي نَهى اللهُ عَنْها».

فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله! وكم الكبائر؟

قال: «تِسْعٌ؛ أَعْظَمُهُنَّ الإِشْراكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ،

= عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٤١١٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٤).

(٢) أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣١).

وَالفِرارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَناتِ، وَالسِّحْرُ، وَأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَعُقوقُ الوالِدَيْنِ».

وأخرجه الطبراني ـ بسند جيد ـ بنحوه من حديث عبيد بن عمير الليثي عن أبيه[1].

وروى أبو داود، وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ عِبادِ اللهِ لأُناساً ما هُمْ بِأَنْبِياءَ وَلا شُهَداءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِياءُ وَالشُّهَداءُ يَومَ القِيامَةِ بِمَكانِهِمْ مِنَ اللهِ ﷻ».

قيل: يا رسول الله! خبرنا من هم؟ وما أعمالهم؟ لعلنا نحبهم.

قال: «هُمْ قَومٌ تَحابُّوا فِي اللهِ عَلى غَيْرِ أَرْحامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوالٍ يَتَعاطَوْنَ بِها، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَتَنَوَّرُ، وَإِنَّهُمْ عَلى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يَخافُونَ إِذا خافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنونَ إِذا حَزِنَ النَّاسُ».

ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢][2].

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان»، وأبو يعلى ـ بإسناد حسن ـ والحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد ـ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يا أَيُّها النَّاسُ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٤٧)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (١٩٧).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٢٧).

وَاعْلَمُوا: إنَّ لِلَّهِ عِباداً لَيسُوا بِأَنْبِياءَ وَلا شُهَداءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَداءُ عَلى مَنازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعالَى».

فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس، فألوى بيده إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون على منازلهم وقربهم من الله تعالى؟ انعتهم لنا، حلهم لنا، شكلهم لنا.

فَسُرَّ وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ مِنْ أفناءِ النَّاسِ وَنَوازِعِ القَبائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرحامٌ مُتَقارِبَةٌ، تَحابُّوا فِي اللهِ وَتَصادَقُوا، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَومَ القِيامَةِ مَنابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُونَ عَلَيها، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نوراً، وَثِيابَهُمْ نوراً، يَفْزَعُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِياءُ اللهِ الَّذِينَ لا خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والحاكم عن أبي إدريس الخولاني: أنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: إني أحبك في الله، فقال له: أبشر، ثم أبشر؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُنْصَبُ لِطائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ كَراسِيُّ حَولَ العَرْشِ يَومَ القِيامَةِ، وَمَنابِرُ مِنْ نُورٍ عَلَيها قَومٌ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَهُمْ لا يَفْزَعُونَ، وَيَخافُ النَّاسُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٤٧).

وَلا يَخافونَ، وَهُمْ أَوْلِياءُ اللهِ الَّذِينَ لا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ».

فقيل: من هؤلاء؟

قال: «الْمُتَحابُّونَ فِي اللهِ»[1].

وروى ابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قالَ اللهُ تَعالَى: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَجالِسِينَ فِيَّ، الَّذِينَ يَعْمُرُونَ مَساجِدِي بِذِكْرِي، يُعَلِّمونَ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى طاعَتِي؛ أُوْلَئِكَ أَوْلِيائِيَ الَّذِينَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِي، وَأُسْكِنُهُم فِي جِوارِي، وَأُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذابِي، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَبلَ النَّاسِ بِخَمْسِ مِئَةِ عامٍ يَتَنَعَّمُونَ فِيها، وَهُمْ فِيها خالِدُونَ».

ثم قرأ نبي الله ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢][2].

وروى الإمام أحمد، والطبراني عن عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يَجِدُ العَبْدُ صَرِيحَ الإِيْمانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذا أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَحَقَّ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٤)، وكذا الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٣) واللفظ الذي ذكره المؤلف بالمعنى.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٣٧٢).

الولايَةَ لِلَّهِ»[1].

وأخرجه ابن أبي الدنيا بنحوه، وزاد: «قالَ اللهُ تَعالَى: إِنَّ أَوْلِيائِي مِنْ عِبادِي وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ»[2].

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عادِ في الله ووالِ في الله؛ فإنه لا ينال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان ـ وإن كثرت صلاته وصيامه ـ حتى يكون كذلك[3].

وروى ابن أبي الدنيا عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَحَقَّ ولايَةَ اللهِ وَطاعَتَهُ: حِلْمٌ أَصِيلٌ يَدْفَعُ بِهِ سَفَه السَّفِيهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَوَرَعٌ صادِقٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعاصِي اللهِ، وَخُلُقٌ حَسَنٌ يُدارِي بِهِ النَّاسَ»[4].

وروى أبو نعيم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعالَى أَوْحَى إِلَيَّ: يا أَخا الْمُرْسَلِينَ! وَيا أَخا الْمُنْذِرِينَ! أَنْذِرْ قَوْمَكَ أَنْ لا يَدْخُلُوا بَيْتاً مِنْ بُيوتِي وَلأَحِدٍ عِنْدَهُمْ مَظْلَمَةٌ؛ فَإِنِّي أَلْعَنُهُ مادامَ قائِماً بَيْنَ

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٠)، وهو عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥١) من حديث عمرو بن الحمق رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٨): رواه الطبراني وفيه رشدين بن سعد، والأكثر على تضعيفه.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٦).

(3) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥١٤).

(4) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٣).

يَدَيَّ يُصَلِّي حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الْمَظْلَمَةَ إِلَى أَهْلِها، فَأَكُونَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَأَكُونَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَكُونَ مِنْ أَوْلِيائِي وَأَخِصَّائِي، وَيَكُونَ جارِيَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ فِي الْجَنَّةِ»[1].

وروى ابن المبارك في «الزهد والرقائق» عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ثلاث من كن فيه دخل الجنة: من إذا عرف حقاً لله ﷻ لم يؤخره إلى أيام لا يدركها، وكان عمله صالحاً في العلانية على قوام من السريرة، وكان يجمع مع ما قد عمل صلاح ما يأمل؛ فهكذا ولي الله[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ مُوجِباتِ ولايَةِ اللهِ تَعالَى ثلاثاً: إِذا رَأى حَقّاً مِنْ حُقوقِ اللهِ تَعالَى لَمْ يُؤَخِّرْهُ إِلَى أَيَّامٍ لا يُدْرِكُها، وَأَنْ يَعْمَلَ العَمَلَ الصَّالِحَ فِي العَلانِيَةِ على قِوامٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِيرَةِ، وَهُوَ يَجْمَعُ مَعَ ما يَعْمَلُ صَلاحَ ما يَأْمَلُ».

قال رسول الله ﷺ: «فَهَكَذا وَلِيُّ اللهِ»؛ وعقد ثلاثاً[3].

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١٦) وقال: غريب، وكذا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ١١٦).

(2) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٩٨).

(3) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٩): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه من لم أعرفهم. ووقع في «أ» و«ت»: «ثلاثين» بدل «ثلاثاً».

وروى هو وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيائِي عِنْدِي مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحاذِّ[1]، ذُو حَظٍّ مِنْ صَلاةٍ وَصِيامٍ، أَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ ﷻ وَأَطاعَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَكانَ غامِضاً فِي النَّاسِ لا يُشارُ إِلَيْهِ بِالأَصابِعِ، وَكانَ عَيْشُهُ كفافاً، وَصَبَرَ على ذَلِكَ، فَعُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، وَقَلَّتْ بَواكِيهِ، وَقَلَّ تراثُهُ»[2].

ورواه الأمام أحمد، والبيهقي، ولفظه: «إِنَّ أَحْسَنَ أَوْلِيائِي عِنْدِي مَنْزِلَةً رَجُلٌ ذُو حَظٍّ مِنْ صَلاةٍ، أَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ فِي السِّرِّ، وَكانَ غامِضاً فِي النَّاسِ لا يُشارُ إِلَيْهِ بِالأَصابِعِ، عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، وَقَلَّ تُراثُهُ، وَقَلَّتْ بَواكِيهِ»[3].

قلت: ولا شك أن من كان من أولياء النبي ﷺ فهو من أولياء الله تعالى.

وقلت في معناه: [من الوافر]

---

(١) الحاذ: بطن الفخذ، وقيل هو الظهر، والموضع الذي يقع عليه اللبد من ظهر الفرس يقال له: حاذ، والمراد في الحديث: القليل الحظ من الدنيا.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٢٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٢٩).

وَلِـيُّ اللهِ مَـنْ والَـى النَّبـِيَّا ... وَكـانَ بِالاقْتِـداءِ بِـهِ حَرِيَّـا
غَمِيضٌ فِي الوَرى لَمْ يُوْمَ يَوماً ... إِلَيْـهِ وَلَـمْ يَنَـلْ صِـيتاً عَلِيَّـا
يُصَلِّي مُحْسِناً فِي السِّرِّ نـاجَى ... بِـإِخْلاصٍ وَإِشْـفاقٍ خَفِيَّـا
كَفافـاً عَيْشُهُ قَـدْ نـالَ صَـبراً ... يَمُـوتُ فَلَـمْ تَجِـدْ قَومـاً بُكِيَّـا
وَلَـمْ يَتْـرُكْ مِـنَ الـدُّنْيا تراثـاً ... وَلَكِـنْ كـانَ بِـالتَّقْوى مَلِيَّـا

وحديث أبي أمامة عند الإمام أحمد، والترمـذي، وابن ماجـه، والحاكم في «المستدرك»، ولكن لفظه: «إِنَّ أَغْبَطَ النَّاسِ عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحاذِ، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلاةِ، أَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ، وَأَطاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكانَ غامِضاً فِي النَّاسِ لا يُشارُ إِلَيْهِ بِالأَصابِعِ، وَكانَ رِزْقُـهُ كفافاً فَصَبَرَ عَلى ذَلِكَ، عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، وَقَلَّتْ بَواكِيهِ، وَقَلَّ تراثُهُ[1]»[2].

وروى الثعلبي وغيره عن علي ﷺ: أنه قال في أولياء الله تعالى:

[من مجزوء الكامل]

صُـفْرُ الوُجُـوهِ مِـنَ الـسَّهَر ... عُمْـشُ العُيـونِ مِـنَ العِبَـر

---

(١) تراثه: أي ميراثه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٢)، والترمذي (٢٣٤٧) وقال: علي ابن يزيد ضعيف الحديث، ابن ماجه (٤١١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٣٧).

خُمْـصُ البُطُـونِ مِـنَ الطَّـوَى   يُبْسُ الـشِّفاهِ مِـنَ الـذَّوَى[1][2]

وروى الدينوري في «المجالسة» عن المدائني قال: نظر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى قوم ببابه، فقال لقنبر: يا قنبر! من هؤلاء؟

قال: هؤلاء شيعتك يا أمير المؤمنين.

قال وما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة؟

قال: وما سيماء الشيعة؟

فقال:

خُمْـصُ البُطُـونِ مِـنَ الطـوَى
يُـبْسُ الـشِّفاهِ مِـنَ الظَّمـا
عُمْـشُ العُيـونِ مِـنَ البُكـا[3]

فوصف شيعته في هذا الخبر بما وصف به الأولياء في الخبر الآخر، فشيعة علي رضي الله تعالى عنه هم أولياء الله تعالى.

وكيف يكون من أوليائه من يبغض أولياءه؟ وأفضل أولياء الله الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأفضل الصحابة أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) بياض في «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٣٧).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢١٦).

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن يوسف بن يعقوب الحنفي قال: بلغنا أن الله ﷻ يقول: يا أوليائي! طال ما نظرت إليكم في الدنيا وقد قَلَصَتْ شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وَخَمصَت بطونكم؛ فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن وهب بن منبه قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم عليهما السلام: مَنْ أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟

قال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، وأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير حق وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحبونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا برفضها فرحين، وباعوها فكانوا ببيعها رابحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت فيهم المَثُلات، فأحبوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله

---

(١) ورواه الثعلبي في «التفسير» (١٠/ ٣٠).

ويحبون ذكره، يستضيئون بنوره، لهم الخبر العجيب، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون[1].

وروى أبو نعيم عن وهب: أن الله ﷻ أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود! إنما يكفي أوليائي اليسير من العمل، كما يكفي الطعام [القليل] من الملح.

يا داود! هل تدري متى أتولاهم؟ إذا طهَّروا قلوبهم من الشرك، ونزعوا قلوبهم من الشك، وعلموا أن لي جنة وناراً، وأني أحي وأميت، وأبعث من في القبور، وأني لم أتخذ صاحبة ولا ولداً؛ فإن توفيتهم بيسير من العمل وهم موقنون بذلك جعلته عظيماً عندي[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن عثمان بن عمارة عن بعضهم قال: إن أولياء الله أرضى عن الله ﷻ من أن يسألوه ينقلهم من حالة إلى حالة حتى يكون هو الذي ينقلهم[3].

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: أخبرني محمد بن جعفر من

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٥)، وكذا ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٦٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٤).

الأبناء قال: ذكروا عند رابعة عابداً من بني إسرائيل ينزل من متعبده في كل سنة، فيأتي مزبلة على باب الملك، فيلتقم من فضول مائدته، فقال رجل عندها: وما على هذا إذ كان له هذه المنزلة أن يسأل الله أن يجعل رزقه من غير هذا؟

فقالت رابعة: يا هذا! إن أولياء الله إذا قضي لهم قضاء لم يسخطوه[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى: أن الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون: ولا تغرنكما بزَّته، ولا ما متع به، ولا تمدان إلى ذلك أعينكما؛ فإنها زهرة الدنيا وزينة المترفين، وإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته [تعجز] عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكن أرغب بكما عن ذلك، وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً ما خرت لهم في أمور الدنيا؛ فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهَلَكة، وإني لأجنبهم سكونها[2] وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة، وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٤).

(2) في «الزهد»: «سلوتها» بدل «سكونها».

الدنيا، ولم يُطْغِه الهوى.

واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا؛ فإنه زينة المتقين، عليهم منه لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك هم أوليائي حقاً، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك.

واعلم أن من أهان لي ولياً، أو أخافه فقد بارزني[1] بالمحاربة، وبادأني وعرض لي نفسه، ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم بي، أَوَيظن الذي يحاددني أو يعاديني أن يعجزني، أَوَيظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؛ كيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نصرتهم إلى غيري[2].

وذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «الإحياء» أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت! أي الخصال من الإنسان خير؟

قال: الدين.

قال: فإذا كانتا اثنتين؟

قال: الدين، والمال.

قال: فإذا كانت ثلاثاً؟

---

(١) في «أ» و«ت»: «بارزته».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٤)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٤٧).

قال: الدين، والمال، والحياء.

قال: فإذا كانت أربعاً؟

قال: الدين، والمال، والحياء، وحسن الخلق.

قال: فإذا كانت خمساً؟

قال: الدين، والمال، والحياء، وحسن الخلق، والسخاء.

قال: فإذا كانت ستاً؟

قال: يا ولدي! إذا اجتمعت فيه الخمس فهو تقي نقي، لله ولي، ومن الشيطان بري[1].

وقلت في المعنى: [من الرجز]

الـدِّينُ ثُـمَّ الْمـالُ فَالْحَيـاءُ	فَـالْخُلُقُ الْحَـسَنُ فَالـسَّخاءُ
خَيْرُ خِصالٍ هِيَ فِـي الإِنْـسانِ	كَما أَتَى فِي النَّقْلِ عَـنْ لُقْمـانِ
فَإِنْ تَكُنْ مَجْمُوعَـةً فِـي رَجُـلِ	فَهْـوَ التَّقِـيُّ وَالنَّقِـيُّ وَالـوَلِيْ

وروى أبو الشيخ بن حيان في كتاب «الثواب» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما جُبِـلَ وَلِيٌّ لِلَّهِ إلاَّ عَلى السَّخاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ»[2].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٥٢).

(٢) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٩٥) ونقل عن الدارقطني قوله: الحديث لا يثبت.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى قال: أولياء الله تعالى هم الألباء العقلاء، الحذِرون المسارعون في رضوان الله المراقبون لله[1].

وروى أبو نعيم عن أبي عمرو الرازي[2] قال: من صفات الأولياء ثلاث: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والثقة بالله في كل شيء[3].

وعن محمد بن أبي الورد رحمه الله تعالى قال: ولي الله إذا زاده[4] ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء: إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده[5].

وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى قال: تضاحكت الأشياء إلى أولياء الله العارفين بأفواه القدرة عن مليكهم لما يرون من آثار صنعه فيها، ويعاينون من بدائع خلقه معهم، فلهم في كل شيء معتبر، وعند كل شيء مذكر[6].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٤) لكن عن عطاء بن مسلم عن رجل.

(٢) في «حلية الأولياء»: «المروزي» بدل «الرازي».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥٥).

(٤) غير واضحة في «ت».

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١٥).

(٦) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥٤).

وعن الربيع بن أنس قال: كنت عند صفوان بن محرز خالياً، فدخل علينا شابٌ من أصحاب الأهواء، فذكر أشياء، فقال: أيها الفتى! ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[المائدة: ١٠٥] الآية[١].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن عمرو بن عثمان المكي: قال: ثلاثة أشياء من صفات أولياء الله: الرجوع إلى الله في كل شيء... إلى آخر ما ذكره أبو نعيم عن ابن عمرو الرازي[٢].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن معروف الكرخي رحمه الله تعالى أنه سئل ما علامة الأولياء؟

قال: ثلاثة: همومهم الله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه[٣].

وعن أحمد بن خضرويه قال: ولي الله لا يَسِمُ[٤] نفسه بسيماء، ولا يكون له اسم يتسمى به[٥].

وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى قال: ثلاث خصال من خصال الأولياء: الثقة بالله في كل شيء، والغنى به عن كل شيء،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢١٥).

(٢) ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٢٣).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٨٥).

(٤) في «أ»: «يوسم».

(٥) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٥).

والرجوع إليه في كل شيء[1].

وعن أبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى قال: الحياء من الله أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة[2].

وعن شاه الكرماني رحمه الله تعالى قال: لأهل الفضل فضلٌ ما لم يَرَوْهُ، فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولايةٌ ما لم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم[3].

وعن محمد بن حامد الترمذي رحمه الله تعالى قال: الولي في ستر حاله أبداً، والكون كله ناطق عن ولايته، والدَّعِي ناطق به؛ أي: بنفسه، والكون كله ينكر عليه[4].

وعن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن سالم صاحب سهل التُّسْتَري رحمهما الله تعالى أنه سئل: بم تعرف الأولياء في الخلق؟

قال: بلطف لسانهم، وحسن أخلاقهم، وبشاشة وجوههم، وسخاوة أنفسهم، وقلة اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذر إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلائق؛ بَرِّهِم وفاجرهم[5].

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٠٠).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٣٣).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٧).

(٤) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢١٨).

(٥) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٣١٣).

وعن عبدالله الرازي قال: الخلق كلهم يدَّعون المعرفة، لكنهم عن صدق المعرفة بمعزل.

قال: وصدق المعرفة خص بها الأنبياء عليهم السلام، والسادة من الأولياء رضي الله عنهم[1].

وعن أبي الحسن البوشنجي رحمه الله تعالى قال: الناس على ثلاث منازل:

الأولياء: وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم.

والعلماء: وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء.

والجهال: وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم، وهم لا ينصفون من أنفسهم ويطلبون الإنصاف من غيرهم[2].

ونقل الثعلبي عن ابن كيسان في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾[يونس: ٦٢] الآية؛ قال: هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان، وتولوا القيام بحقه والدعاء إليه[3].

وهذا مبني على جعل الولي بمعنى المفعول وبمعنى الفاعل جميعاً.

وقال أبو القاسم القشيري في باب الولاية من «رسالته»: الولي له معنيان:

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٣٣٨).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٣٤٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٣٨).

أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦]؛ فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق رعايته.

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله بطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان.

قال: وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً يجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء.

قال: ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع.

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: قصد أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى بعض من وُصف بالولاية، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه، فخرج الرجل وتنخم في المسجد، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة؛ فكيف يكون أميناً على أسرار الحق؟ انتهى[1].

وذكر نحو ذلك في «عيون الأجوبة»، وزاد فيه: إن الولي من حيث الاستحقاق ـ يعني: للولاية ـ من يكون لربه ولا يكون لنفسه.

قال: ومعناه سقوط حظوظه، وقيام حقوق الحق بعد زوال نفسه

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٢).

كما قيل: [من الوافر]

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ[1]

وقد علمت من كلامنا السابق أن الولاية لا تتم إلا بولاية الله تعالى للعبد، فإذا تولى الله العبد تولى العبد طاعة الله تعالى فصار ولياً.

وهذا معنى قوله: وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً.

وذكر في «التحبير»: من علامات من يكون الحق وليه أن يصونه ويمونه، ويعينه على قلبه في كل نفس بتحقيق آماله عند إشارته، وتعجيل مآربه عن خطراته، وأن يديم توفيقه حتى لو أراد سوءاً أو قصد محذوراً عصمه عن ارتكابه، ولو مال إلى تقصير في طاعته لم يتسهل له، بل ينقلب ذلك توفيقاً وتأييداً، وأن يرزقه مودة في قلوب أوليائه تجلب له زيادة الإفضال والإنعام من الله ﷻ.

قلت: وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يستنصر بتولي الله تعالى له، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٥ ـ ١٩٦]؛ أي: الذي يتولى نصرتي وحفظي الله، فالولي بمعنى الناصر والحفيظ، فإذا تولى الله العبد وفقه لولايته فيكون ناصراً لله تعالى ولأمره، حفيظاً لحقوقه وحقوق

(١) انظر: «تفسير القشيري» (١/ ٤٢٨).

خلقه، فإذا كان كذلك زاده الله تعالى نصرة وحفظاً وتوفيقاً.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠].

وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد: ٧].

وقال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ»[١].

فالغالب على الولي في حال صحوه كما قال القشيري في باب كرامات الأولياء من «رسالته» صدقُه في أداء حقوق ربه سبحانه، ثم رفقه والشفقة على الخلق في جميع أحواله، ثم انبساط رحمته لكافة الخلق، ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق، وانتدابه لطلب الإحسان من الله إليهم من غير التماس منهم، وتعليق الهمة تجاه الخلق، وترك الانتقام منهم، والتوقي عن استشعار حقه عليهم مع قصر اليد عن أموالهم، وترك الطمع بكل وجه فيهم، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم، والتصاون عن شهود مساوئهم، وترك الانتقام منهم، ولا يكون خصماً لأحد في الدنيا والآخرة[٢].

هذا ما ذكره القشيري، ويستثنى من قوله: وترك الانتقام منهم والتوقي عن استشعار حقه عليهم: ما لو انتهكت محارم الله؛ فيجب الغضب عند ذلك على المنتهك من حيث جرأتُه على الله تعالى، لا من

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٣٨٢).

حيث إن الله تعالى قلبه في ذلك، فيرحمه من هذه الحيثية ويود أن لو عوفي من ذلك.

وكذلك انبساط رحمته لكافة الخلق من حيث ضعفهم، لا من حيث إن الله تعالى أراد ما أراد فيهم، فليس له أن يريد خلاف ما أراده الله تعالى.

قال القشيري: وقيل: إن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قال لرجل: أتحب أن تكون لله ولياً؟

قال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفَرِّغ نفسك لله ﷻ، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن مسمع بن عاصم قال: اختلف العابدون عندنا في الولاية، فقال بعضهم إذا استحقها عبد لم يهم بشيء إلا ناله في دين كان أو دنيا.

وقال الآخر: الولي لا يعصى غير أنه لا يدرك الشيء الذي يريده من الدنيا بهمه، ولا يدركه إلا بطلبه كأنهم يقولون: يدعو فيجاب.

وقال آخرون: المستحق للولاية لا يعرض لانتقاص حظه من الآخرة.

فتكلموا في ذلك بكلام كثير، فأجمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها: أمة الجليل بنت عمرو العدوية، وكانت منقطعة جداً من طول الاجتهاد، فاستأذنوا عليها، فأذنت لهم، فعرضوا عليها اختلافهم،

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٢٩٣).

فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي المستحق في الدنيا من حاجة.

ثم أقبلت على بعضهم فقالت: من حدثك، أو أخبرك أن وليه له هم غيره فلا تصدقه[1].

وفي معناه أنشدوا: [من البسيط]

كانَتْ لِقَلْبِيَ أَهْواءٌ مُشَتَّتَةٌ
فَاسْتَجْمَعَتْ مُذْ رَأَتْكَ النَّفْسُ أهْوائِي

وَصارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسُدُهُ
وَصِرْتُ مَولَى الوَرى مُذْ صِرْتَ مَوْلائِي[2]

وأنشدوا أيضاً: [من الخفيف]

لِي شُغْلٌ وَلِلْعَوالِمِ شُغْلُ
شُغْلُها فَضْلَةٌ وَشُغْلِيَ فَضْلُ

أَنْتَ يا واهِبَ الْمَحامِدِ شُغْلِي
حَبَّذا الشُّغْلُ شُغْلُ مَنْ لا يَمَلُّ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٣٦).

(٢) البيتان لأبي المعالي عبد الملك بن أبي نصر الجيلي، كما في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (١٦/ ١٤٦).

كُــلُّ مـــا هامَـــتِ الْعَـــوالِمُ فِيــه

فَهْــوَ فَــرْعٌ وَأَنْـــتَ لِلْكُـــلِّ أَصْـــلُ

وذكـرت بذلـك ما رواه الدارقطني في «الأفـراد» عن أبي هـريـرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ شُغْلِ اللهِ فِي الدُّنْيا هُمْ أَهْلُ شُغْلِ اللهِ فِي الآخِـرَةِ، وَأَهْلُ شُغْلِ أَنْفُسِهِمْ فِي الدُّنْيا هُمْ أَهْلُ شُغْلِ أَنْفُسِهِمْ فِي الآخِرَةِ»[١].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «الزهد» عن شميط بن عجـلان قال: إن أوليـاء الله آثـروا رضى ربهم ﷻ على هوى أنفسهم، فأرغموا أنفسهم كثيراً لرضى ربهم تبارك وتعالى، فأفلحوا وأنجحوا[٢].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاتـه»، وأبو نعيم عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: اطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة[٣].

وذكر السلمي في «الحقائق» عنه قال: ولي الله الذي يأخذ كتاب الله بيمينه، وسنة رسوله ﷺ بشماله، ويتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلي

---

(١) رواه الدارقطني في «الأفراد» كما في «أطراف الغرائب والأفراد» (٥/ ٢٥٧)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (١٦٦٠).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٧).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٩).

من بينهما للمولى؛ أي: يجيبه إلى أوامره.

ونقل القشيري عنه قال: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل طائفة منهم من اسم منها؛ وهي الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام.

فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته.

ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره.

ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق.

ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله.

وكلٌّ كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الله ببره وقام عنه بنفسه(1).

قال القشيري رحمه الله تعالى: هذا الذي قاله أبو يزيد يشير إلى أن الخواص من عباده سبحانه ارتفعوا عن هذه الأقسام، فلا العواقب هم في ذكرها، ولا السوابق هم في فكرها، ولا الطوارق هم في أسرها.

قال: وكذا أصحاب الحقائق يكونون محواً عن نعوت الخلائق.

قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[الكهف: ١٨]، انتهى(2).

---

(١) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٤).

ونقل أبو طالب المكي عن سهل بن عبدالله التُّستري رحمه الله تعالى أنه قال: مخالطة الولي للناس ذل، وتفرده عز، وقَلَّما رأيت ولياً لله إلا منفرداً[1].

ونقل القشيري عنه قال: الولي الذي توالت أفعاله على الموافقة[2].

ونقل عنه غيره أنه قال: الولاية ملك[3] النفس وسعة الصدر[4].

وروى أبو نعيم عن أبي يزيد رحمه الله تعالى قال: أولياء الله مخدرون معه في جمال[5] الأنس به، لا يراهم أحد في الدنيا والآخرة إلا من كان محرماً لهم، وأما غيرهم فلا إلا منتقبين من وراء حجبهم[6].

وروى القشيري عنه قال: أولياء الله عرائس الله، ولا يرى العرائس إلا المحرمون، وهم مخدرون عنده في جمال الأنس، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة[7]؛ فلا يراهم أحد على ما هم عليه وإن رأوا أجسادهم وخالطوهم وهم غير عارفين بهم.

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ١٧٤).

(٢) وانظر: «تفسير السلمي» (١/ ٣٠٦).

(٣) في «تفسير السلمي»: «طيب» بدل «ملك».

(٤) ذكره السلمي في «تفسيره» (١/ ٣١٣) لكن عن محمد بن الفضل.

(٥) في «حلية الأولياء»: «حجال» بدل «جمال».

(٦) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤١).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٤).

أما في الدنيا فالولي يكون بين ظهرانيهم وهم يحسبونه كواحد منهم، وهو مشاهد لمولاه ملاحظ لرضاه.

وأما في الآخرة فالولي يراه من يراه فيما يكون فيه بظاهره، ولا يعلمون ما بينه وبين الله من القرب والمسارة.

بل من أولياء الله تعالى من يستره الله تعالى في الدنيا بما يخيِّله إلى حُسَّاده من الركون إليها والعكوف عليها، والعصيان فيها، وهو فيما بينه وبين الله تعالى في طاعة[1].

وفي المعنى قلت: [من الهزج]

يَلُومُونِي علـى فِعْلِـي	بِفَرْطِ اللَّوْمِ وَالعَتَبِ
وَلا يَـدْرُونَ مـا بَيْنِي	وَبَيْنَ اللهِ فِـي قَلْبِي
تَرانِي مُبْعِـداً عَنْـهُ	وَإِنِّي مِنْـهُ فِـي قُـرْبِ

وروى [القشيري عن] النصرآبادي قال: ليس للأولياء سؤال، إنما هو الذبول والخمود.

قال: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء عليهم السلام[2].

---

(١) تقدم للمؤلف رحمه الله نقده لمن يخيل للناس هذه الأفعال، وأنها ليست من سنة النبي ﷺ في شيء.

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧/ ١٠٦).

قال القشيري: وقال أبو عثمان المغربي: الولي قد يكون مشهوراً، ولكن لا يكون مفتوناً.

قال: وقال يحيى بن معاذ: الولي لا يرائي ولا ينافق، وما أقل صديق من كان هذا خلقه.

قال: وقال أبو علي الجوزجاني: الولي هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحق، تولى الله سياسته[1] فتوالت عليه أنوار التولي، لم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع غيره قرار[2].

قال: وقال يحيى بن معاذ: الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصديقون، فتصل رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم[3].

قلت: وهذا من معاني قوله ﷺ في الأولياء: «الَّذِينَ يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤْيَتِهِمْ أَوْ بِذِكْرِهِمْ» كما تقدم.

قال القشيري: وقال يحيى في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة، واعتنقوا الرَّوح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية[4].

---

(١) في «الرسالة»: «أسبابه» بدل «سياسته».

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٤).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٥).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٣).

قال: وسئل الواسطي رحمه الله تعالى: كيف يغذى الولي في ولايته؟

قال: في بدايته بعبادته، وفي كهولته بستره بلطافته، ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته، ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته.

قال: وقال الخراز رحمه الله تعالى: إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب، وأدخله دار الفردانية، وكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو، فحينئذ صار العبد زمِناً فانياً، فوقع في حفظه سبحانه، وبرىء من دعاوى نفسه[1].

وقال في باب الذكر: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: الذكر منشور الولاية؛ فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل[2].

وقال جدي رضي الدين رضي الله تعالى عنه في «ألفيته» في معناه:

[من الرجز]

وَالذِّكْرُ مِنْهُ مَدَدُ الكَرامَة وَهْوَ عَلى وِلايَةٍ عَلامَة

ويؤيده ما رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٩٥).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٥٦).

أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعالَى: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنا مَعَهُ إِذا ذَكَرَنِي»[1].

وروى ابن ماجه، وابن حبان، والبيهقي من حديثه، والحاكم ـ وصححه ـ من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أن الله ﷻ يقول: «أَنا مَعَ عَبْدِي إِذا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتاهُ»[2].

وصحح الحاكم أيضاً عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ اللهُ تَعالَى: عَبْدِي! أَنا عِنْدَ ظَنِّكَ بِي وَأَنا مَعَكَ إِذا ذَكَرْتَنِي»[3].

وهذه المعية معية النظرة والحفظ والمعونة، وهو معنى ولاية الله تعالى لعبده؛ فمن ذكر الله تعالى ذِكْرَ طاعة وتعظيم وإجلال، فتوفيقه للذكر دليل ولاية الله تعالى.

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن أبي حفص الحداد

---

(١) رواه البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥)، والترمذي (٣٦٠٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٣٠)، وابن ماجه (٣٨٢٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٩)، وذكره البخاري في «صحيحه» (٦/ ٢٧٣٦) معلقاً عن أبي هريرة ﷺ.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٢٤) عن أبي الدرداء ﷺ.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٢٨).

رحمه الله تعالى قال: الولي من أيد بالكرامات وغيب عنها[1].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن أبي محمد الجريري رحمه الله تعالى قال: من لم تكن فيه خصلتان فلا يطمع في الولاية: نزاهة طبع، وخلقه ظرف.

قلت: نزاهة الطبع طهارته ونظافته من الأخلاق السيئة والخلال القبيحة، فإما أن يكون ذلك في أصل الطبع والجبلة كحال ابني الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام.

وإما أن يكون ذلك مخالفاً لطبعه، وهو أعظم أجراً من الأول لأنه في جهاد، ولا يعذر في موافقة طبعه المخالف لما أمر به كما قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: الإنسان لا يعاب بما في طبعه، إنما يعاب إذا فعل ما في طبعه. رواه أبو نعيم[2].

والمراد بالظرف ما رواه ابن جهضم عن الجنيد رحمه الله تعالى: أن رجلاً وقف عليه في حلقته فقال له: جئتك من أقصى خراسان في مسألة.

فقال له: سل.

فقال له: ما الظرف؟

فأطرق أبو القاسم رأسه، ثم قال: الاجتناب لكل خلق دنيٍّ،

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٠٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٦٩).

واستعمال كل خلق سنِيٍّ، وأن يعمل لله ثم لا ترى أنك عملت.

وسئل الحسن عن الظريف، فقال: هو الحسن الدين، المتنزه عن القبيح. رواه ابن جهضم أيضاً.

وأنشدوا: [من الكامل]

لَـيْسَ الظَّرِيـفُ بِكامِـلٍ فِـيْ ظُرْفِـهِ
حَتَّـى يَكُـونَ عَـنِ الْحَـرامِ عَفِيفـا[1]

فالظرف[2]: في اللسان البلاغة، وفي الوجه الحسن، وفي القلب الذكاء؛ كما في «النهاية»[3].

وذكر السلمي في «حقائقه» عن أبي عبدالله السِّجزي رحمه الله تعالى قال: علامة الأولياء ثلاث: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة.

وكل واعظ يقوم الغني من مجلسه فقيراً والفقير غنياً فليس بواعظ[4].

وعن أبي بكر الواسطي رحمه الله تعالى قال: علامة الولي أربعة:

أولها: أن يحفظ سرائره التي بينه وبين ربه مما يرد عليه من

---

(١) البيت لأبي عبدالله الواسطي، انظر: «زهر الآداب» للقيرواني (٢/ ١٢٦).

(٢) في «أ» و«ت» زيادة: «لغة».

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٥٧).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ٢٠٢).

المصائب فلا يشكو.

والثاني: أن يصون كرامته له، فلا يتخذها رياء ولا سمعة، ولا يغفل عنها هواناً.

والثالث: أن يحتمل أذى خلقه فلا يكافئهم.

والرابع: أن يداري عباده على تفاوت أخلاقهم لأنه رأى الخلق لله، وفي أسر القدرة، فعاشرهم على رؤية ما منهم إليه[1].

وعن جعفر الصادق رحمه الله تعالى قال: لا بد للعبد المؤمن من ثلاث سنن: سنة الله، وسنة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وسنة الأولياء.

فسنة الله كتمان السر.

قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الجن: ٢٦].

وسنة النبي ﷺ مداراة الخلق.

وسنة الأولياء الوفاء بالعهد، والصبر في البأساء والضراء[2].

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: الإيمان بطريقنا هذا ولاية.

وروى أبو القاسم الأصبهاني عن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت

---

(١) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٥٢).

رجلا يسأل وهباً[1] ـ يعني: ابن منبه ـ في المسجد الحرام، فقال: حدثني عن زبور داود عليه السلام.

فقال: وجدت في آخره ثلاثين سطراً: يا داود! اسمع مني والحق أقول؛ من لقيني وهو يحبني أدخلته جنتي.

يا داود! اسمع مني والحق أقول؛ من لقيني وهو مستحي من معاصيَّ أنسيت حفظَتَه ذنوبه.

يا داود! اسمع مني والحق أقول؛ لو أن عبدًا من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوباً، ثم ندم حلب شاة، واستغفرني مرة واحدة، فعلمت من قلبه أنه لا يريد أن يعود إليها، ألقيتها عنه أسرع من هبوط[2] المطر من السماء على الأرض.

يا داود! اسمع مني والحق أقول؛ لو أن عبداً من عبادي أتاني بحسنة واحدة حكمته في جنتي.

قال داود عليه السلام: إلهي! من أجل ذلك لا يحل لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك.

قال: يا داود! إنما يكفي أوليائي اليسير من العمل كما يكفي الطعام القليل من الملح.

هل تدري يا داود متى أتولاهم؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك،

---

(١) في «أ» و«ت»: «عن وهباً».

(٢) في «أ» و«ت»: «هبط».

ونزعوا من قلوبهم الشك، وعلموا أن لي جنةً وناراً، وأني أحي وأميت، وأبعث من في القبور، ولم أتخذ صاحبة ولا ولداً؛ فإن توفيتهم بيسير من العمل وهم يوقنون بذلك جعلته عظيماً.

هل تدري يا داود من أسرع الناس مَرّاً على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري.

هل تدري يا داود أي المؤمنين أحب إلي؟ الذي إذا قال: لا الله إلا الله اقشعر جلده، إني أكره له الموت كما يكرهه[1] الوالد لولده، ولا بد له منه، إني أريد أن أُسره في دار سوى هذه [الدار]؛ فإن نعيمها فيها بلاء، ورخاءها فيها شدة، فيها عدو لا يألوهم فيها خَبالاً، من أجل ذلك عجلت أوليائي إلى الجنة، لولا ذلك ما مات آدم وولده حتى ينفخ في الصور.

يا داود! [إني أدري] ما تقول في نفسك؛ تقول: قطعت عنهم عبادتهم؛ أما تعلم ما أثيب المؤمن على عثرة يعثرها؟ فكيف إذا ذاق الموت، وهو أعظم المصيبات، وهو بين أطباق التراب؟ إنما أحبسه طول ما أحبسه لأعظم له الأجر، وأجري عليه أحسن ما كان يعمل إلى يوم القيامة.

يا داود! من أجل ذلك سميت نفسي أرحم الراحمين[2].

---

(١) في «أ» و«ت»: «يكره».

(٢) رواه وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٦)، وروى طرفاً منه ابن أبي الدنيا =

قلت: جميع ما في هذا الأثر موافق لما جاء مرفوعاً عن النبي ﷺ، ولا يناقض قوله فيه: وأجري عليه أحسن ما كان يعمل إلى يوم القيامة؛ حديثَ مسلم: «يَنْقَطِعُ عَمَلُ ابْنِ آدَمَ إلاَّ مِنْ ثلاثٍ»[1]، ونحوه لأن قوله: وأجري عليه أحسن ما كان يعمل؛ أن الله تعالى يجري على المؤمن بعد موته ثواب ما نوى أن يعمله وأدركه الأجل قبل العمل.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ». رواه الطبراني في «الكبير» من حديث سهل بن سعد، والبيهقي في «الشعب» من حديث أنس رضي الله تعالى عنه[2].

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: مَن همَّ بصلاة أو صيام، أو حج أو عمرة، أو غزو، فحيل بينه وبين ذلك، بلَّغه الله ما نوى[3].

وقال ثابت البناني رحمه الله تعالى: نية المؤمن أبلغ من عمله؛ إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه

= في «الأولياء» (ص: ٢٣).

(١) رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٤٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٧١).
والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: هذا إسناد ضعيف.

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٥٢).

نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله[1].

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: إن للمؤمن نية في الخير هي أبداً أمامه لا يبلغها عمله، وإن للفاجر نية في الشر هي أبداً أمامه لا يبلغها عمله، والله مبلغ بكل ما نوى[2].

وقال الحسن رحمه الله تعالى: المؤمن تبلغ نيته وتضعف قوته، والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته[3].

روى هذه الآثار ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص والنية».

قلت: وفي قوله ﷺ في حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى»[4] إشارة إلى مسألتين عظيمتين:

الأولى: أن النية تارة تكون مع العمل، وتارة تكون دون عمل، فأشار إلى الأول بقوله: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ»، وإلى الثاني بقوله: «وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى»؛ أي: سواء عمل أو لم يعمل.

والمسألة الثانية: أن العمل لا ينفع مستقلاً دون نية، وأن النية تنفع مستقلة دون العمل، ومن ثم كانت نية المؤمن خيراً من عمله

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ٢١٩).

(٣) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٦٣).

(٤) تقدم تخريجه.

وأبلغ من عمله.

وروى الإمام أحمد، والترمذي ـ وصححه، واللفظ له ـ عن أبي كبشة الأنماري رضي الله تعالى عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ» قال: «ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْها إِلاَّ زادَهُ اللهُ عِزّاً، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بابَ فَقْرٍ»؛ أو كلمة نحوها.

قال: «وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ؛ إِنَّما الدُّنْيا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مالاً وَعِلْماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقّاً؛ فَهَذا بِأَفْضَلِ الْمَنازِلِ.

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مالاً، فَهُوَ صادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُما سَواءٌ.

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقّاً؛ فَهُوَ بِأَخْبَثِ الْمَنازِلِ.

وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مالاً وَلا عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَوِزْرُهُما سَواءٌ»[1].

قلت: وفي هذا الحديث دليل على أن العلم هو الذي ينفع العبد

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣١)، والترمذي (٢٣٢٥) وقال: حسن صحيح.

ـ سواء كان له مال، أو لا مال له ـ وأن الجهل مع المال ودونه ضار، وإذا كان كذلك فكيف بعالم عَمِل عمَل هذين الجاهلَين، فهو أخبث منهما.

وسيأتي في[1] القسم الثاني من الكتاب الكلام على قباحة تشبه العالم بالجاهل.

ثم يعلم من الحديث أن الولاية لا تكون مع الجهل؛ لأنَّ من آمن ونوى خيراً، وعمل صالحاً هو الولي بعينه، فإذا جهل في نيته وجهل في عمله فليس له من الولاية نصيب.

ومن ثم قال الإمام أبو حنيفة، والإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهما: إن لم يكن العلماء العاملون أولياءَ الله فليس لله ولي[2].

وقال بعض السلف: ما اتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذه لعلَّمه.

وليس هذا بحديث، ولكنه مشهور على الألسنة.

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: قال شيخنا؛ يعني: قاضي القضاة ابن حجر العسقلاني: ليس بثابت في المرفوع، ولكن معناه صحيح[3].

والمراد بقوله: ولو اتخذه لعلَّمه؛ يعني: لو أراد اتخاذه ولياً لعلمه ثم اتخذه ولياً.

---

(١) في «ت»: «من» بدل «في».

(٢) رواه عنهما الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٥٠).

(٣) انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٥٧٤).

قلت: وحكى السخاوي في ترجمة ابن حجر: أنه مر بالشيخ محمد ابن أحمد الصعيدي المعروف بالفرغل، وكان يومئـذ بمصر دخلها في شفاعة، فقال ابن حجر في سره: ما اتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذه لعلَّمه؛ على طريق الإنكار.

فقال له الشيخ محمد: قف يا قاضي، فوقف، فأمسكه وأخذ يقول: بل اتخذني وعلمني! بل اتخذني وعلمني[1]!

قلت: ويكفي الولي من العلم قدر ما يحتاج إليه في إصلاح طريقه من علوم الشريعة، ثم إن لجماعة من أولياء الله تعالى علوماً خصهم الله بها من علـوم المعامـلات، أو علوم المكاشـفات، وهو حقيقة العلم، ومطلوب كل متعلم أخلص في طلبه.

روى ابن باكويه الشيرازي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: جرى ذكر معروف الكرخي في مجلس والدي، فقال واحد من الجماعة: هو قصير العلم.

فقال له والدي: أمسك عافاك الله؛ وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف؟

ورواه الخطيـب من طريق آخـر وقال: وهـل يـراد من العـلم إلا ما وصل إليه معروف[2]؟

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ٤٢٧).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٠٠).

وقال المعافى بن زكريا: حدثت عن عبدالله بن أحمد بن حنبل أنه قال: قلت لأبي: هل كان مع معروف شيء من العلم؟

فقال: يا بني! كان معه رأس العلم، خشية الله تعالى. رواه ابن الجوزي في ترجمة معروف رضي الله تعالى عنه[1].

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى عن الأولياء في الدنيا: يطيرون بقلوبهم في الملكوت، يرتادون[2] ألوان الفوائد والحكمة، ويشربون من عين المعرفة، فهم يفرون من فضول الدنيا، ويأنسون بالمولى، ويستوحشون من نفوسهم إلى وقت موافاة الرحيل[3].

وأقول: [من المجتث]

لِلَّـــهِ أَهْـــلُ الرِّعايَـــة	نـــالُوا الرِّضـــا بِالرِّعايَـــة
بِـــالعِلْمِ حـــازُوا الوِلايَـــة	رِوايَـــــةً أَوْ دِرايَـــــة
عُوفُـوا مِـنَ الْجَهْـلِ حَتَّـى	نـــالُوا التُّقَـــى وَالْهِدايَـــة
أَوْلاهُـــــمُ اللهُ مِنْـــــهُ	حِمايَـــــةً وَكِفايَـــــة
بِدايَـــةُ القَـــوْمِ مِنْـــهُ	كَمـــا إِلَيـــهِ النِّهايَـــة

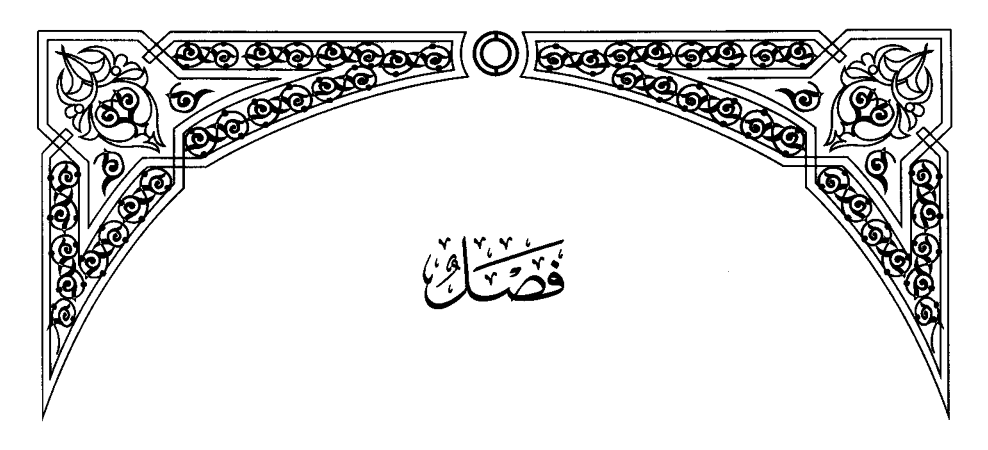
* * *

---

(١) انظر: «الجليس الصالح والأنيس الناصح» للمعافى بن زكريا (ص: ٣٣٤).

(٢) في «أ» و«ت»: «يزدادون».

(٣) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٣٠٧).



فصل

ينبغي للعبد طلب الولاية من الله تعالى مع التحري لما ورد في الحديث: «وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ»[1].

وقيل: لكل طالب نصيب.

وقد شرع لنا طلب الهداية والعافية، والولاية، والبركة، والوقاية في كل يوم مرة في صلاة الفجر في دعاء القنوت: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعافِنِي فِيْمَنْ عافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبارِكْ لِي فِيما أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ ما قَضَيْتَ» إلى آخره[2].

وقوله: «تَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»؛ أي: اجعلني من أهل ولايتك الذين حففتهم بعنايتك، وحفظتهم بحسن رعايتك، وأقبلت بقلوبهم عليك، ورددتها إذ شَرَدت إليك، فبذلك تتم الولاية وتكمل الرعاية.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) وحسنه، والنسائي (١٧٤٥)، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وفي الحديث: «وَإِذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً لَمْ يَضُرَّهُ ذَنبٌ». رواه القشيري في «الرسالة»، وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه[1].

ومعناه: أن الله تعالى إذا أحب العبد فزل العبد زلة، أخذ بيده، فوفقه للتوبة، ورجع به إليه؛ فإن ذلك من تمام التولي.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران: ١٢٢].

قال جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما: فينا نزلت في بني حارثة وبني سلمة: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران: ١٢٢]، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران: ١٢٢]. رواه الشيخان، وغيرهما[2].

قال قتادة: وذلك يوم أحد، هموا بأمر فعصمهم الله تعالى من ذلك.

قال: وقد ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا، وقد أخبر الله أنه ولينا. رواه ابن جرير[3].

يعني: إن الطائفتين هموا بالفرار فشلاً ـ والفشل الجبن؛ كما رواه

---

(١) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٢٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٣٢).

(٢) رواه البخاري (٤٢٨٢)، ومسلم (٢٥٠٥).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٧٢).

ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ[1]، فعصمهم الله تعالى لولايته لهم، وكذلك عادة الله تعالى يأخذ بيد وليه عند الزلات، ويقيله العثرات لأن أولياءه يتوكلون عليه ويتخذونه وكيلاً، فكفاهم؛ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[الأحزاب: ٣].

ولذلك قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران: ١٢٢]؛ أي: ليتولاهم ويكفيهم ما أهمهم، وما هموا به من عصيانه، وما عصوه فيرجع بهم إلى التوبة.

ولله تعالى في عصمة أوليائه أنواع من الإحسان؛ فتارة يحول بينهم وبين العصيان بالكلية، وتارة يهمون بالعصيان فيحول بينهم وبين الاسترسال بالهم وبلوغ الفعل، وتارة تقع منهم الزلات فيوفقهم للتوبة كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾[التوبة: ١١٨].

ومن النوع الأول ما رواه القشيري، وغيره عن الجنيد عن الحارث ابن أسد أنه قال: بيني وبين الله علامة أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة[2].

وعن إسماعيل بن نجيد قال: كان أبو تراب يقول: بيني وبين الله تعالى عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه[3].

وحكى ابن عطاء الله الإسكندري في «لطائف المنن» عن أستاذه

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٧٤).

(٢) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٣٤).

(٣) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٤٦).

أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى قال: عزم علينا بعض صلحاء الإسكندرية في بستان له بالرمل، فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر، ولم يخرج معنا صاحب البستان ذلك الوقت، بل وصف لنا المكان، فتجارينا ونحن خارجون في الكلام في الورع، وكلٌّ قال شيئاً، فقلت لهم: إن الورع من ورعه الله.

فلما أتينا إلى البستان ـ وكان زمن ثمرة التوت ـ كلهم أسرع إلى الأكل وأكل، وكنت كلما جئت لآكل أجد وجعاً في بطني فأرجع، فينقطع الوجع عني، فعلت ذلك مراراً فجلست ولم آكل شيئاً، وهم يأكلون، وإذا بإنسان يصيح: كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستاني بغير إذني؟ فإذا هم قد غلطوا بالبستان، فقلت لهم: ألم أقل لكم: إن الورع من ورعه الله سبحانه؟

وقوله: «وَعافِنِي فِيمَنْ عافَيتَ»؛ قال سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى: أجمع العلماء أن تفسير العافية أن لا يكل الله العبد إلى نفسه، وأنه يتولاه، وهو قول النبي ﷺ: «لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي». رواه أبو الحسن بن جهضم.

وفي كلامه أن العافية تمام الولاية، وأول الولاية الهداية، فلذلك بدأ النبي ﷺ بطلب الهداية، ثم العافية، ثم الولاية في دعاء القنوت.

وسئل الجنيد عن العافية فقال: العافية واسطة بين الهداية والولاية.

قيل له: هل له في السنة أثر؟

قال: نعم؛ قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعافِنِي فِيمَنْ عافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ».

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سئل أبو حفص عن العافية، فقال: الناس طلبوا العافية فأخطؤوا الطريق، وأخطؤوا السؤال، سألوا الله العافية ولم يعرفوا أن البلاء يتولد من العافية، ومحلها أن آدم عليه السلام كان في الجنة معافى منعماً، فتولد من العافية البلاء.

فالواجب على الإنسان أن يطلب من الله تعالى أن يتولاه في العافية وإمساك العافية.

قلت: فالإنسان في العافية محتاج إلى العافية في العافية، وإنما يعافيه في عافيته إذا تولاه وكان له ولياً، فلا يكله إلى نفسه طرفة عين، والعافية في العافية ثمرة الشكر في العافية لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧].

وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: ارحم عبادي المبتلى والمعافى.

قال: فما بال المعافى؟

قال: لقلة شكره على معافاتي[1].

ومعنى الهداية التوفيق إلى طاعة الله وخدمته، فإذا استجاب الله تعالى لقوله: «اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢١٤).

تَوليت»؛ وفقه للطاعة، وإذا شرد عنها شردة وفقه إلى التوبـة، وعافاه في الطاعة من الإعجاب والرياء ونحوهمـا، وفي المعصيـة من الإصرار، وتولى نصره على عدوه، وحفظه منه ومن شؤم نفسه وتزكيتها، وتولاه فلم يكله إلى نفسه طرفة عين ورجع بقلبه إليه.

قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى: رأيت رجلاً بالبادية، فقلت له: من أنت؟

قال: أنا الخضر الموكل بالأولياء؛ أردُّ قلوبهم إذا شردت عن الله تعالى.

يا أبا تراب! التلف في أول قدم، والنجاة في آخر قدم[1].

وما أحسنَ قولَ سمنون المحب رحمـه الله تعالى كمـا رواه عن السلمي في «طبقاته»، والرفاعي في «أماليه»: [من المنسرح]

كـانَ لِـي قَلْـبٌ أَعِـيشُ بِـهِ ... ضَـاعَ مِنِّـي فِـي تَقَلُّبِـهِ

رَبِّ فَـارْدُدْهُ عَلَـيَّ فَقَـدْ ... ضَـاقَ صَـدْرِي فِـي تَطَلُّبِـهِ

وَأَغِـثْ مَـا دامَ بِـي رَمَـق ... يَـا غِيَـاثَ الْمُسْتَغِيثِ بِـهِ[2]

وكان أحمد بن الطيب رحمه الله تعالى يقول في وجوده: [من المجتث]

سَـلَبْتَ مِنِّـي فُـؤَادِي ... فَـارْدُدْ فُـؤَادِي إِلَيَّـهْ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ١٢٠).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٦١).

شَوَّشْــــتَ عَقْلِـــي عَلَـــيَّ فَجُـــدْ بِعَقْلِـــي عَلَيَّـــهْ

رواه ابن جهضم في «بهجة الأسرار».

وروى فيه عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى قال: لن يصل إلى قلبك روح التوحيد ولله في قلبك حق لم تؤده، ومن لم يصلح لخدمته كيف يصلح لولايته؟ ومن مل خدمته لم يصل إلى رؤيته.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن الوضين بن عطاء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أحس من الناس بغفلة عن الموت [١٦٨] جاء فأخذ بعضادتي الباب، فهتف ثلاثاً، ثم نادى: «يا أَيُّها النَّاسُ! يا أَهْلَ الإِسْلامِ! قَدْ أَتَتْكُمُ الْمَوْتَةُ لازِمَةً راكِبَةً، جاءَ الْمَوْتُ بِما جاءَ بِهِ جاءَ بِالرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ، وَالكَرَّةِ الْمُبارَكَةِ لأَوْلِياءِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ دارِ الْخُلُودِ الَّذِينَ كانَ سَعْيُهُمْ وَرَغْبَتُهُمْ فِيها لَهُ.

جاءَ الْمَوْتُ بِما جاءَ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدامَةِ، وَالكَرَّةِ الْخاسِرَةِ لأَوْلِياءِ الشَّيْطانِ مِنْ أَهْلِ دارِ الغُرُورِ الَّذِينَ كانَ سَعْيُهُمْ وَرَغْبَتُهُمْ فِيها لأَهْلِها.

أَلا إِنَّ لِكُلِّ ساعٍ غايَةً، وَغايَةُ كُلِّ ساعٍ الْمَوْتُ، فَسابِقٌ وَمَسْبُوقٌ»[١].

* * *

(١) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦٩).



فصل

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة: ٢٥٧].

النور الإيمان، والظلمات الكفر. رواه ابن جرير عن الضحاك، وأبو الشيخ عن السدي(١).

وقال قتادة: النور الهدى، والظلمات الضلالة. رواه عبد بن حميد، وابن جرير(٢).

والآية قاضية بأن الله تعالى ولي كل مؤمن، وهو كذلك.

لكن الولاية على قسمين:

عامة لسائر المؤمنين.

وخاصة للمتقين.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٢) عن الضحاك، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٤).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢١).

نعم؛ يتولى الله تعالى أمر كل مؤمن حتى يوصله إلى مقامه الذي كتبه له في الأزل بأن يوفقه إلى طاعته، ثم يزيده إيماناً، ثم يوفقه، وهكذا.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[محمد: ٧ ـ ٨].

ثم قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[محمد: ١١] أي لا ناصر لهم ولا متولي لأمرهم، وهو لا يخالف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[الأنعام: ٦٢].

فإن المولى فيه بمعنى المالك، ثم إن ولاية الله للمؤمن إنما هي للمؤمن في الأزل، بخلاف من سبقت له سابقة السوء، فما يكون له في الدنيا من نصرة ورزق فهو استدراج أو توفية عن عمل حسن الظاهر أو خلق جميل فيه، ولكن يجوز أن يطلق كل مؤمن على نفسه أن الله تعالى وليه، ويتعلق بنصرته وكلأته من باب التفاؤل وحسن الظن بالله لأنه عند حسن ظن عبده به، وكلٌّ ميسر لما خلق له، ولذلك لما قال أبو سفيان في أحد: إن لنا عزى ولا عزى لكم، قال رسول الله ﷺ: «أَجِيبُوهُ».

قالوا: كيف نجيبه؟

قال: «قُولُوا لَهُ: اللهُ مَولانا وَلا مَوْلَى لَكُمْ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٧٤) عن البراء بن عازب ﷺ.

وليس له أن يدعي الولاية لنفسه وإن جاز علمه بها ـ كما سيأتي ـ هضماً للنفس، وخوفاً من المكر، واتضاعاً لله تعالى.

ثم ليعتبر نفسه؛ فإذا وجدها تقبل الخير وتترقى فيه فليحمد الله تعالى، وليستبشر بتوليه له، وإذا وجد نفسه بخلاف ذلك فليحزن، وليخف أن لا يكون الله تعالى وليه.

ومن ثم ورد: كل يوم لا أزداد فيه خيراً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم[1].

ومما يدل على ما سبق ما جاء في أدعية النبي ﷺ قال: «يا عُدَّتِي عِنْدَ كُرْبَتِي! وَيا صاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي! وَيا وَلِيَّ نِعْمَتِي! يا إِلَهِي وَإِلَهَ آبائِي! لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِيَ فَأَقْتَرِبَ مِنَ الشَّرِّ وَأَتَباعَدَ مِنَ الْخَيْرِ، وَآنِسْنِي فِي قَبْرِي مِنْ وَحْشَتِي، وَاجْعَلْ لِي عَهْداً يومَ القِيامَةِ مَسْؤُولاً». رواه الحاكم في «تاريخ نيسابور»[2].

وأما حال المؤمن مع أخيه المؤمن فالواجب عليه أن يعتقد فيه الخير لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة: ٢٥٧]، فإذا

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٢٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٧٩) عن عائشة رضي الله عنها، وأعله بالحكم بن عبدالله ابن سعد الأيلي، وقال: وله عن الزهري بهذا الإسناد أحاديث بواطيل، وهذا حدث به عن الحكم بقية وغيره، وهذا حديث منكر المتن، وهو عن الزهري منكر، لا يرويه عنه غير الحكم.

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٤٥).

ظهر من حاله الإيمان لا ينبغي له أن يخرجه من ولاية الله تعالى إلا ببرهان ظاهر بأن تحقق منه غلبة الفسق والشر، فله أن يتحرز منه بسوء الظن وإلا فلا.

وقد قال بعض المحققين: إن الله تعالى أخفى وليه في عباده المؤمنين لئلا يساء الظن بهم.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[الحجرات: ١٢].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءاً. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب»[1].

وروى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيْحَكِ! وَما أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ؛ مالُهُ وَدَمُهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ إِلاَّ خَيراً»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن سعيد بن المسيب قال: كتب إلي

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٥٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٣٢) لكن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، ورواه الترمذي (٢٠٣٢) وحسنه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك.

ولا تظنن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شراً وأنت تجد له في الخير محملاً.

ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه.

ومن كتم سره كانت الخيرة في يده.

وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وعليك بإخوان الصدق فعش بأكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدة عند عظيم البلاء.

ولا تتهاون في الحلف فيهينك الله.

ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون.

ولا تضع حديثك إلا عند من يشتهيه.

وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق.

واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله.

وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب[1].

ورواه الزبير بن بكار، وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٤٥).

عنه، وقال فيه: من تَعرَّض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن[1].

وينبغي للمؤمن إذا اشتبه عليه حال أخيه المؤمن أن يعود على نفسه باللائمة، ويقول: إنما الخطأ في نظرك، وإنما رأيت عيوبك في أخيك لأن المؤمن مرآة أخيه.

وإذا تحقق من عبد فسقاً أو فجوراً ثم غاب عنه فلا ينبغي أن يستصحب فيه ما يعلمه منه؛ بل يقول: لعله تاب ورجع، حتى يتحقق منه خلاف ذلك.

وليعلم أن الله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] فلعل من شأنه أن هداه وأصلحه، واتخذه ولياً.

قال أبو طالب المكي: حدثني بعض الأشياخ عن الخضر عليه السلام قال: ما حدثت نفسي يوماً قط أنه لم يبقَ ولي لله إلا عرفته إلا رأيت ذلك اليوم ولياً لم أكن أعرفه.

قال: وإني كنت يوماً جالساً في حلقة عبد الرزاق بصنعاء، فنظرت إلى شاب قاعد ناحية، فجئت إليه، فقلت له: لم لا تسمع من عبد الرزاق؟

فقال: ما أسمع منه؟

قلت: حديث معمر عن الزهد.

فقال: قد سمعت من الله تعالى فأغناني عن عبد الرزاق.

فقلت: وأنت ممن يحسن أن يسمع من الله عَزَّ وَجَلَّ؟

---

(١) ورواه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص: ٩٠).

قال: نعم.

قلت: فمن أنا؟

قال: الخضر.

ثم غاب عني فلم أقدر على النظر إليه[1].

وروى أبو الحسن بن جهضم، عن ابن مسروق، عن أبي عمران الخياط قال: قال لي الخضر عليه السلام: ما كنت أظن أن لله ولياً إلا وقد عرفته، وكنت بصنعاء اليمن في المسجد، والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث، وشاب جالس في ناحية المجلس، فقال لي: ما شأن هؤلاء؟

فقلت: يسمعون من عبد الرزاق.

فقال عمن؟

قلت: فلان عن فلان، عن النبي ﷺ.

فقال: هلا سمعوا عن الله تعالى؟

قلت: فأنت ممن يسمع عن الله تعالى؟

قال: نعم.

قلت: فمن أنا؟

قال: أنت الخضر.

---

(١) وانظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٩٤). **قلت**: وهذا كما يقول بعض من ليس الحديث من شأنه: «حدثني قلبي عن ربي»، وهو لا يمت إلى علم السنة النبوية بأدنى ماتة.

فعلمت أن لله أولياء ما عرفتهم[1].

وروى الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ ضَنائِنَ مِنْ خَلْقِهِ، يَغْذُوهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، يُحْيِيهِمْ فِي عافِيَةٍ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عافِيَةٍ، وَإِذا تَوَفَّاهُمْ تَوَفَّاهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ تَمُرُّ عَلَيهِمُ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَهُمْ مِنْها فِي عافِيَةٍ»[2].

الضنائن: جمع ضنينة بمعنى: مضنون بها.

والمراد: أن من أولياء الله تعالى من يضن الله تعالى بهم، ويغار عليهم أن يطلع عليهم غيره.

ويحتمل أن يكون المراد: أنه يضن بهم عن الإهانة والقتل كما في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «إِنَّ لِلَّهِ عِباداً يَضِنُّ بِهِمْ عَنِ القَتْلِ، وَيُطِيلُ أَعْمارَهُمْ فِي حُسْنِ العَمَلِ، وَيُحَسِّنُ أَرْزاقَهُمْ، وَيُحْيِيهِمْ فِي عافِيَةٍ، وَيَقْبِضُ أَرْواحَهُمْ فِي عافِيَةٍ عَلى الفُرُشِ فَيُعْطِيهِمْ مَنازِلَ الشُّهَداءِ». رواه الطبراني في «الكبير» أيضاً[3].

---

(١) عزاه ابن حجر في «الزهر النضر في أخبار الخضر» (ص: ١٥٦) إلى ابن جهضم، وقال: ابن جهضم معروف الكذب.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٦): رواه الطبراني وفيه مسلم بن عبدالله الحمصي، ولم أعرفه، وقد جهله الذهبي، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٧١). قال الهيثمي في «مجمع =

وفي حديث ابن عمر دليل على أن الله تعالى يكرم أولياءه، يحفظهم في أيام الفتنة منها كما سيأتي نحو ذلك في الأبرار، بل قد يطفىء الله تعالى ببعض أوليائه الفتنة، ويهين البدعة، كما روى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعالَى عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِها الإِسْلامُ وَأَهْلُهُ وَلِيّاً صالِحاً يَذُبُّ عَنْهُ، وَيَتَكَلَّمُ بِعَلاماتِهِ؛ فَاغْتَنِمُوا حُضُورَ تِلْكَ الْمَجالِسِ بِالذَّبِّ عَنِ الضُّعَفاءِ، وَتَوَكَّلُوا عَلى اللهِ؛ وَكَفى بِاللهِ وَكِيلاً»[1].

* تَتِمَّةٌ:

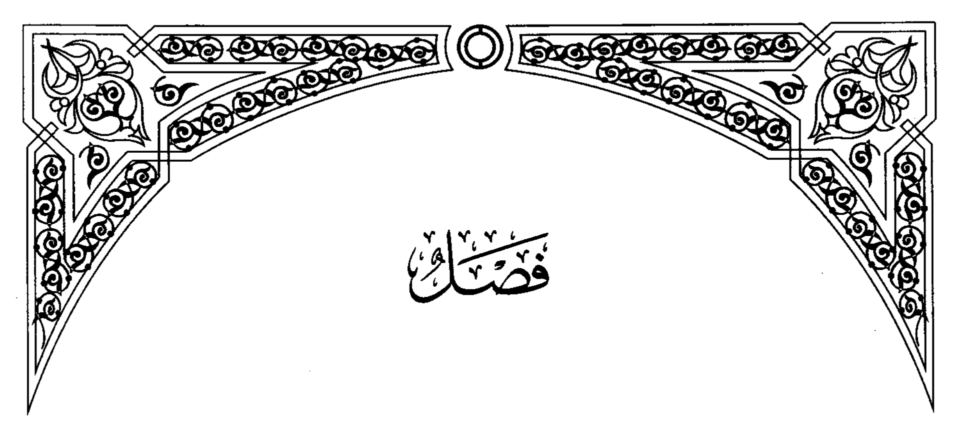
روى الإمام أحمد عن الحسن رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ ورجال إسناده رجال الصحيح ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِئَةَ رَحْمَةٍ، وَإِنَّهُ قَسَمَ رَحْمَةً واحِدَةً بَينَ أَهْلِ الأَرْضِ فَوَسِعَتْهُمْ إِلَى آجالِهِمْ، وَادَّخَرَ عِنْدَهُ تِسعاً وَتسعِينَ لأَوْلِيائِهِ يَومَ القِيامَةِ»[2].

* * *

= الزوائد» (١٠/ ٢٠٣): وفيه جعفر بن محمد الواسطي الوراق، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥١٤).



فصل

تقدم أن الصالحين ينبغي للعبد محبتهم وصحبتهم، وزيارتهم والتبرك بهم وبآثارهم، وطلب الدعاء منهم، فكذلك الأولياء لأنهم هم[1].

وقد قال شاه الكرماني رحمه الله تعالى: ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى بما[2] يحبونه.

وقال: أيضاً: محبة أولياء الله تعالى دليل على محبة الله. رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته»[3].

وروى ابن باكويه الشيرازي عن أبي موسى الدئيلي قال: سمعت رجلاً سأل أبا زيد فقال: دلني على عمل أتقرب به إلى ربي.

فقال: أَحِبَّ أولياء الله؛ فإن الله ينظر إلى قلوب أوليائه، فلعله أن

---

(١) كذا في «أ» و«ت».

(٢) في «أ» و«ت»: «كما» بدل «بما».

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٧).

ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك[1].

وروى أبـو نعيم عن ابن مسعـود ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَنْ قُلْ لِفُلانٍ العابِـدِ: أَمَّا زُهْدُكَ فِي الدُّنْيا فَتَعَجَّلْتَ راحَةَ نَفْسِكَ، وَأَمَّا انْقِطاعُكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِي؛ فَماذا عَمِلْتَ فِي ما لِيَ عَلَيْكَ؟

فَقالَ: يا رَبِّ! وَماذا لَكَ عَلَيَّ؟

قالَ: هَلْ والَيْتَ لِي وَلِيّاً؟ أَوْ عادَيْتَ لِي عَدُوّاً؟»[2].

وروى الحكيم الترمـذي في «نـوادره» عن واثلـة ﷺ قـال: قـال رسول الله ﷺ: «يَبْعَثُ اللهُ تَعالَى يَومَ القِيامَةِ عَبْداً لا ذَنْبَ لَهُ، فَيَقُولُ لَهُ: بِأَيِّ الأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَجْزِيَكَ؛ بِعَمَلِكَ أَمْ بِنِعْمَتِي عَلَيْكَ؟

قالَ: يا رَبِّ! أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَعْصِكَ.

قـالَ: خُـذوا عَبْدِي بِنِعَمَـةٍ مِنْ نِعَمِـي، فَما تَبْقَى لَـهُ حَـسَنَةٌ إِلاَّ اسْتَغْرَقَتْها تِلْكَ النِّعْمَةُ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ! بِنِعْمَتِكَ وَرَحْمَتِكَ.

فَيَقُولُ: بِنِعْمَتِي وَرَحْمَتِي.

وَيُؤْتَى بِعَبْدٍ مُحْسِنٍ فِي نَفْسِهِ لا يَرَى أَنَّ لَـهُ سَيِّئَةً، فَيُقالُ لَـهُ: هَلْ كُنْتَ تُوالِي أَوْلِيائِي؟

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١١٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١٦).

فَيَقُولُ: يا رَبِّ! كُنْتُ مِنَ النَّاسِ سِلْماً.

قالَ: هَلْ كُنتَ تُعادِي أَعْدائِي؟

قالَ: يا رَبِّ! لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَينَ أَحَدٍ شَيْءٌ.

فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: وَعِزَّتِي، لا يَنالُ رَحْمَتِي مَنْ لَمْ يُوالِ أَوْلِيائِيَ وَيُعادِ أَعْدائِيَ»[1].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى قال: ولي الله ريحانه في أرضه؛ فإذا شمه المريدون وصارت رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون به إلى ربهم، ومجالستك إياه تلهيك عن الأهل والمال، وتشغلك عن جميع الأشغال[2].

وقال: من هجر الأقرباء في الله عوضه الله تعالى صحبة الأولياء.

وفي معنى كلامه الأول ما قدمناه عن الجد رحمه الله تعالى: [من الوافر]

جُلُوسُكَ مَعْ رِجالِ اللهِ يُلْهِي
عَنِ الدُّنْيا وَعَنْ أَهْلٍ وَشُغْلِ

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٨٤)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٥٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٩): رواه الطبراني، وفيه بشر بن عون، وهو متهم بالوضع.

(٢) تقدم نحوه.

وروى أبو نعيم عن أبي إسحاق إبراهيم بن داود القصار أنه كان يقول: حسبك من الدنيا شيئان: حرمة وَلِيٍّ، وصحبة فقير[1].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى قال: من نظر إلى ولي من أولياء الله تعالى، فقبله وأكرمه، أكرمه الله على رؤوس الأشهاد[2].

وعن أبي عثمان النيسابوري رحمه الله تعالى قال: من صحب نفسه صحبه العجب، ومن صحب أولياء الله وفق للوصول إلى الطريق لله[3].

وعن علي بن سهل الأصبهاني قال: الأنس بالله أن تستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله تعالى؛ فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله[4].

وذكر سيدي محمد بن عراق رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ: «السفينة العراقية المشحونة بنفائس الآي القرآنية الجارية بالأنفاس النبوية» عن الفقيه الأجل محمد بن الحسين البجلي: أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام قال: فقلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟

قال: وُقُوفُكَ بَيْنَ يَدَيْ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيـاءِ اللهِ تَعالَى كَحَلْبِ شاةٍ، أَوْ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥٤).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٣٤).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٤٤).

(٤) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٨٨).

شَيٍّ بَيْضَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ إِرْباً إِرْباً[1].

قال: فقلت: يا سيدي! حياً كان أو ميتاً؟

قال: «حَيّاً كانَ أَوْ مَيْتاً».

والمراد بالوقوف بين يديه أن يتواضع له، ويطلب مرضاته، ويرجو بركاته، [وإذا كان ميتاً أن يترحم عليه ويرجو بركاته]، ولا بأس أن تدل غيرك من المسلمين على مقام من تعرفه بالولاية لينتفع المدلول به وباعتقاده.

وقد روى ابن أبي الدنيا، ومن طريقه الدينوري عن حماد بن زيد قال: سمعت أيوب رحمه الله يقول: ما أحب الله عبداً إلا أحب أن [لا] يشعر به[2].

وأما بغض أولياء الله تعالى والوقيعة فيهم فإنها من الكبائر الفواحش الموجبة للمقت والسخط.

روى أبو نعيم عن أبي تراب النخشبي قال: إذا ألفت القلوب الإعراض عن الله صحبتها الوقيعة في الأولياء[3].

---

(١) هل هذا إلا كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر: ٣]. فسامح الله المؤلف على إيراده مثل هذه المنامات التي هي أضغاث أحلام.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٦٦).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٩).

وفي الحديث القدسي: «مَنْ عادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ بارَزَنِي بِالْمُحارَبَةِ»[(١)].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن محمد بن حامد الترمذي رحمه الله تعالى قال: الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله[(٢)].

* **فائِدَةٌ لَطِيفَةٌ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن بلال بن كعب قال: مر أبو حازم رحمه الله تعالى بأبي جعفر المديني وهو مكتئب حزين، فقال له: ما لي أراك مكتئباً حزيناً؟ وإن شئت أخبرتك!

[قال: أخبرني ما وراءك!

قال: ذكرت ولدك من بعدك][(٣)].

قال: نعم.

قال: فلا تفعل؛ فإن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء فلا تبال ما لقوا بعدك[(٤)].

* **لَطِيفَةٌ أُخْرَى:**

روى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن ذي النون

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢١٩).

(٣) في «أ» و«ت»: «قال: أخبرني، قال: فيما وراءك ذكرت ولدك من بعدك».

(٤) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٣٢).

المصري رحمه الله تعالى قال: إن الله ﷻ لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً، ولكنه صان أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه[1].

*** فائِدَةٌ ثالِثَةٌ:**

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يسأل علي بن زيد وهو يبكي، فقال: يا أبا الحسن! كم بلغك أن ولي الله يحبس على الصراط؟

قال: كقدر رجل دخل في صلاة مكتوبة أتم ركوعها وسجودها.

قال: فهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله؟

قال: نعم[2].

قلت: يحتاج العبد يوم القيامة حين يمر على الصراط إلى النجاة والرفق في النجاة، والرفق يكون بتقريب مسافة المرور عليه، وبتوسعته، وذلك إنما يتم لأولياء الله تعالى المتقين الصالحين.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: ٧٢].

وروى الحاكم ـ وصححه ـ [عن] عبدالله بن سلام رضي الله تعالى

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٧٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٧).

عنه قال: إذا كان يوم القيامة يبعث الله الخليقة أمة أمة، ونبياً نبياً حتى يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزاً، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادي مناد: أين أحمد وأمته؟

فيقوم ﷺ، فتتبعه أمته؛ بَرُّها وفاجرُها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه، فتتلقاهم الملائكة تبوئهم منازلهم في الجنة؛ على يمينك، على يسارك، على يمينك، على يسارك، حتى ينتهي إلى ربه، فيلقى له كرسي عن يمين الله، ثم ينادي مناد: أين عيسى وأمته؟

فيقوم ﷺ، فتتبعه أمته؛ برُّها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي والصالحون، ثم يتبعهم الناس حتى يكون آخرهم نوح عليه الصلاة والسلام[١].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد»، وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض مثل الوادي الواسع[٢].

وروى أبو نعيم عن سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٩٨).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٢٢).

في الدنيا دق له في الآخرة[1].

وهذه فائدة عظيمة للتقوى والولاية والصلاح ينبغي أن تضم إلى ما أسلفناه من الفوائد التي تحصل للمتشبه بالصالحين.

* فائِدَةٌ رابِعَةٌ:

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: لله عَجَلَّ مئة رحمة؛ كل رحمة ما بين السماء والأرض، فقسم رحمة منها يتراحم بها الخلائق، وأخر تسعاً وتسعين رحمة إلى يوم القيامة، والله تعالى قابض تلك الرحمة فيكملها لأوليائه مئة رحمة[2].

وقلت: [من السريع]

وِلايَةُ اللهِ لأَهْلِ التُّقَى
تَسْتَوْعِبُ الرَّحْمَةَ يَومَ الْمآبْ

صِراطُهُمْ مُتَّسِعٌ سالِكٌ
عَلَيْهِ مِثْلَ البَرْقِ كانَ الذَّهابْ

وُفُّوا مِنَ اللهِ مَواعِيدَهُمْ
وَقَدْ كُفُوا بِالفَضْلِ سُوءَ الْحِسابْ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٩٧).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٦٧).

مَنــــازِلَ الرِّضْــــوانِ قَــــدْ بُوِّئُــــوا

وَتَــدْخُلُ الأَمْــلاكُ مِــنْ كُــلِّ بــابْ

تُقْــــرِي وَلِـــــيَّ اللهِ تَــــسْلِيمَهُ

صَــفا لَــهُ العَــيْشُ وَطــابَ الــشَّرابْ

* * *



فَصْلٌ
في أحكام تتعلق بالأولياء رضي الله عنهم

الإجماع على أن الأولياء لا يبلغون درجات الأنبياء من حيث النبوة[1].

وقال النصرآبادي، وغيره: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء عليهم السلام[2].

ثم النبي أفضل من الولي باتفاق أهل الحق، وغلط من قال: إن الولاية أفضل من النبوة بعد تسليمه أن النبي أفضل من الولي، والمختار أن الأنبياء عليهم السلام هم خواص الأولياء والصالحين بنص القرآن.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الزهر النضر في أخبار الخضر» (ص: ٢٤ ـ ٢٧):
ويلاحظ أن كثيراً منهم ـ يعني: الصوفية ـ يفضلون الولي ـ في زعمهم ـ إما مطلقاً، وإما من بعض الوجوه على النبي، زاعمين أن في قصة الخضر مع موسى عليه السلام الواردة في سورة الكهف، حجة لهم.
وممن يفضل بعض الأولياء، أمثال الخضر ـ عليه السلام ـ، على الأنبياء: الحكيم الترمذي في كتاب «ختم الأولياء».

(٢) تقدم تخريجه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الصافات: ١١٢].

ثم إن الأنبياء عليهم السلام معصومون؛ أي: لا تقع منهم معصية أصلاً، ولا صغيرة في حال النبوة، وما سمي مما وقع منهم خطيئة أو معصية بالنسبة إلى علو مقامهم، وإنما الواقع منهم كان خلاف الأولى بهم، فأطلق عليه المعصية لأن مقامه منزه وحاله شريف، والأولياء رضي الله تعالى عنهم محفوظون؛ أي: لا يصرون على الذنب كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾[آل عمران: ١٣٥].

ولكن المختار أن الولي لا يقع منه الذنب على وجه المخالفة والعناد، ولكن على وجه الزلة والخطأ من غير اقتصاد، ولو شاء الله لعصم أولياءه كما عصم أنبياءه، ولكن أراد أن يظهر مزية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليعرف الأولياء وغيرهم حقوقهم فلا يتعدى أحد طَوره، وأن يكون أولياؤه تحت قهره تجري عليهم أقضيته، وهم مُطرقون بين يدي قدرته، ولتنكسر قلوبهم بالزلة فينخفض جناحهم، ويلين جانبهم بين يديه، فيرفعهم حينئذ ويقربهم، ويخلع عليهم خلع التوبة والقبول، فلا يشمخون ولا يعجبون، ويستكينون إليه، ويذلون بين يديه.

وقد قيل لأبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: أيزني العارف؟

فأطرق ملياً، ثم قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. نقله القشيري في «الرسالة»[١].

وأنشد في «عيون الأجوبة»: [من الطويل]

وَمـا كُنْـتُ أَخْـشَى أَنْ تَـرى لِـيَ زَلَّـةً
وَلَكِـنْ قَـضاءُ اللهِ مـا مِنْـهُ مَهْـرَبُ[٢]

وسئل محمد بن موسى ـ وكان من قدماء العارفين ـ: ما معنى إجراء الخطيئة على أولياء الله تعالى؟

فقال: أراد أن يحفظ عليهم مواضع فضله بما أجرى عليهم من عدله.

وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى في كتاب «جلاء الخاطر»: وليس من شرط البدلية والولاية العصمة، ليس بعد الأنبياء معصوم، العصمة من جملة خصائصهم.

قال: ويحكى عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا عَصى وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِياءِ اللهِ تَعالَى ضَحِكَتِ الْمَلائِكَةُ، وَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا إِلَى وَلِيِّ اللهِ كَيفَ يَعْصِي»، انتهى.

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

وروى ابن جهضم عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قال: طفت ذات ليلة بالبيت الحرام، وكانت ليلة مطيرة شديدة الظلمة، وقد خلا الطواف، فوقفت عند الملتزم أدعو، وقلت: اللهم اعصمني حتى لا أعصيك.

فهتف بي هاتف: يا إبراهيم! أنت تسألني أن أعصمك وكل عبادي يسألوني العصمة، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل، ولمن أغفر؟[1]

قال إبراهيم: فبقيت ليلتي إلى الصباح مستغفراً الله، مستحيً منه تبارك وتعالى.

وروى الديلمي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْلا أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ لَعُصِمَ مِنَ الذَّنْبِ حَتَّى لا يَهِمَّ بِـهِ، وَلَكِنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ العُجْبِ»[2].

ومن فوائد جواز الزلة على الولي أن لا يَأْمَنَ مكر الله، فيكون ملازماً للخوف.

وقد قال السَّري السَّقَطي رحمه الله تعالى: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة، على كل شجرة طير يقول بلسان فصيح: السلام عليك يا ولي الله، فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكوراً به، كذا نقله القشيري[3].

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ١٠٢).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٠٦٩).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٨١).

وروى أبو الحسن بن جهضم، وأبو نعيم عنه أنه قال: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار، عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار، فخاطبه كل طائر منها بلغته، وقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك، كان في يديها أسيراً[1].

أي: فلا ينبغي له أن يكون ولياً لأن الولي لا يسكن إلى الكرامة خوفاً من أن يكون بها محجوباً أو مستدرجاً.

واختلف المشايخ هل يجوز لولي أن يعلم بولايته؟

فقال الإمام أبو بكر بن فُورك: لا يجوز؛ لأنه يسلبه الخوف، ويوجب له الأمن.

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق، والأستاذ أبو القاسم القشيري، وعامة المشايخ: يجوز، وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء، فيجوز في حق بعضهم أن يعلم أنه ولي، ويجوز في حق بعضهم أنه لا يعلم ذلك من نفسه، ولا يعلمه منه غيره أيضاً.

وإذا علم بعضهم أنه ولي، كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها، وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء، ولو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١١٨).

ولياً بخلاف الأنبياء(١).

وما قيل: إن علم الولي بولايته أو كرامته يسلبه الخوف، ويوجب له الأمن؛ هذا ليس بمطرد، ولو كان هذا كذلك للزم مثله في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولفاتهم مقام الخوف.

وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكان النبي ﷺ أخشى الناس لله وأخوفهم منه، وهذا أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهم؛ صح خبر النبي ﷺ أنهم في الجنة، وما يحكى عنهم في الخوف والرهبة لا يكاد يحصى كثرة.

فلا يلزم من علم الولي لولايته أن يسلب الخوف أصلاً وإن أمن الأولياء من تغير العواقب لما يجدون في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال ما يزيد على غيرهم(٢).

وهل يجوز أن يكون الولي ولياً في الحال ثم يتغير أو لا؟

اختلفوا في ذلك؛ فمن جعل من شرط الولاية حسن الخاتمة يقول: إن ذلك غير جائز، واختاره القشيري، والصدر ينشرح إليه، وإلا

---

(١) انظر: «بستان العارفين» للإمام النووي (ص: ١٣٩).

(٢) انظر: «بستان العارفين» للإمام النووي (ص: ١٤٠).

لصدق على من كان مؤمناً ثم ارتد أنه كان ولياً ثم صار عدواً، وإنما العبرة بالخواتيم.

ولكن نقول: إن من كان على الخير ثم عاد إلى الكفر أو الفسق أنه كان في صورة الأولياء، وهو في علم الله بخلاف ذلك، ومثاله: بلعام بن باعورا كان قد آتاه الله من آياته وعلمه الاسم الأعظم، وكان مجاب الدعوة، فانسلخ من آيات الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[الأعراف: ١٧٦]؛ أي: بمشيئة الله تعالى، فبلعام لم يكن من أولياء الله تعالى قط، وإنما كان في صورة ولي وهو عند الله شقي.

ويجوز أن يقال: كان صالحاً ثم تغير لأن الصلاح أمر مشهور، وهو صفة العبد بخلاف الولي؛ فإنه لا يكون ولياً إلا إذا تولاه الله، ثم تولى هو طاعته كما سبق، فمن شرط الولي حسن العاقبة بخلاف الصالح، وبذلك يلوح الفرق بين الولي والصالح؛ فإن العبد يمكنه أن يظهر أعمالاً كأعمال الصالحين وقلبه على خلاف قلوبهم، وأمر القلب خفي عنَّا.

قال محمد بن واسع رحمه الله تعالى: كان لقمان يقول لابنه: يا بني! اتق الله ولا تُرِ الناس أنك تخشى الله ليكرموك [بذلك] وقلبك فاجر. رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»[1].

ومن هنا يعلم أنه يجوز للعبد أن يشهد للعبد بالصلاح والعدالة،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩٣)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٩).

وليس له أن يشهد له بالولاية كما ليس له أن يشهد عليه بالنفاق، ويجوز له أن يشهد عليه بالفسق لظهوره وخفاء النفاق.

نعم؛ يجوز لمن أعطي مقام الكشف أن يشهد بالولاية لمن كوشف بها فيه، وليس له أن يشهد عليه بالنفاق لأن حسن الظن أوسع من سوء الظن، وإنما كان حذيفة رضي الله تعالى عنه يشهد على المنافقين بما أعلمه به النبي فيه ﷺ.

نعم؛ يجوز أن يقال عمن كوشف بالنفاق فيه: هذا يحتمل أنه منافق، أو يخطر لي أنه منافق، وأنا أستغفر الله تعالى، وليخش أن يشهد عليه بشيء من ذلك رأياً وهوى، وهو يشهد أنه كشف؛ فإن الغلط في ذلك كثير.

ومما يتعرف به الرأي والهوى من الكشف أن يلتمس حال قلبه؛ هل يكره المشهود عليه لغرض نفساني، أو لا كأن يشاركه في فضيلة، أو يزيد عليه فيها، ويرى للناس إقبالاً على المشهود عليه بسبب تلك الفضيلة أعظم من إقبالهم عليه، أو يشاركه في فضيلة ثم يراها أنتجت للمشهود عليه مالاً أو حالاً أو جاهاً لم ينتجه لنفسه، أو يشتغل هو بظاهر العبادات ويتعلق بها، ثم لا يرى الولاية والطريق إلا ما هو عليه، فينكر أحوال العارفين بالله؟

قال أبو العباس الطوسي: حدثني بعض مشايخي من الثقاة النبَّل قال: قال لي الخضر عليه السلام: مررت بعابد مجتهد شديد الاجتهاد، فذكرت له شيئاً من كرامات الله تعالى فجحدها، فقلت له: أنا الخضر.

فقال: اتق الله؛ فإني أخاف أن تكون شيطاناً.

قال: فشققت الهواء لأريه آية، فجعل يقول: باطل، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٩]، أو كما ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[يونس: ٨١].

فقلت: إن الله لا يريده لذلك.

وقلت: لو أعطى الله أحداً بالجد والاجتهاد ـ يعني: من غير معونة وتوفيق ـ لأعطى هذا[1]. رواه أبو الحسن بن جهضم.

فتأمل كيف حجب هذا المسكين رأيه وحسن ظنه برأيه عن التماس بركة الخضر عليه السلام، بل حمله على سوء الظن فيه وجره إلى الحرمان!

وكثير من المتعبدين يحجبون عن أسرار أولياء الله تعالى ومكاشفات العارفين لاشتغالهم بالعبادة وتعلقهم بها.

قال سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى: إن الله تعالى يطلع على أهل

---

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٣٢١): فارق الخضر موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[الكهف: ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام، ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم وكل منهم يقول: قال لي الخضر، جاءني الخضر، أوصاني الخضر، فيا عجباً له يفارق الكليم ويدور على صحبة جاهل! لا يصحبه إلا شيطان رجيم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

قرية أو أهل بلد فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسماً فلا يجد في قلوب العلماء ولا في قلوب الزهاد موضعاً لتلك القسمة من نفسه، فيمن عليهم أن يشغلهم بالتعبد عن نفسه. رواه ابن جهضم، ومن طريقه أبو نعيم[1].

وقوله: فيريد أن يقسم لهم من نفسه؛ أي: من معرفة نفسه، أو من عند نفسه قسماً من أقسام عطائه كما قال الله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وكما قال الله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وكذلك تقول: قسمت لك نفسي قسماً من عطائي؛ أي: على وجه التفضل والابتداء بالعطاء من غير تحمل منك.

وقول سهل: فيمن عليهم أن يشغلهم بالتعبد عن نفسه؛ أي: عن طلب معرفته، ومناجاته ومواصلته كما قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: إن الله اطلع على قلوب أوليائه؛ فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة. رواه أبو نعيم[2].

ومن كان فاسقاً في الحال وهو في علم الله تعالى ولي فهل يجوز لمن أطلعه الله تعالى على عاقبته بطريق الكشف أن يقول: إنه ولي؟

فيه احتمال، والظاهر الجواز، ولكن الأولى أن يقيد ذلك بما

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٠٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٩).

سـيحصل حـذراً من إيهـام من يخـبره بـذلك، وإيقاعــه في الحيـرة والتكذيب[1].

واعلم أن الإيمان بكرامات الأولياء واجب، وأنها حق، والإيمان بها إيمان بقدرة الله تعالى، وهي الخوارق التي تظهر عليهم، ويفرق بينها وبين معجزات الأنبياء عليهم السلام: بأن المعجزة تكون مـع التحـدي ودعوى النبوة بخلاف الكرامة، وبأن المعجزة يتعين أن يظهرها النبي، والكرامة يخفيها الولي إلا إذا كان في إظهارها فائدة وأمنت الفتنة الإظهار كما روى القشيري، وغيره عن جابر الرحبي رحمه الله تعالى قال: أكثر أهل الرحبة على الإنكار في باب كرامات الأولياء، فركبت السبـع يوماً ودخلت الرحبة، وقلت: أين الذين يكذبون أولياء الله؟ قال: فكفوا بعد ذلك عني[2].

وروى أبو نعيم عن أبي العباس بن مسروق، وأبي محمد الحريري، وأبي أحمد المغازلي، وغيرهم قالوا: جاء إبراهيم الآجري يهودي يقتضيه شيئاً من ثمن قصب، فكلمه فقال له: أرني شيئاً أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني حتى أسلم.

قال: فقال له: وتفعل؟

---

(١) وأصح منه بلا شك أبداً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[لقمان: ٣٤].

(٢) انظر: «تفسير القشيري» (ص: ٣٩٤).

قال: نعم.

فقال له: هات رداءك.

قالوا: فأخذه، فجعله في رداء نفسه، ولف رداءه عليه، ورمى به في النار نار أتون الآجر، ودخل في أثره، وأخذ الرداء وخرج به من الباب الآخر، ففتح رداء نفسه وهو صحيح، وأخرج رداء اليهودي حراقاً أسود من جوف رداء نفسه، فأسلم اليهودي[1].

وبالغ بعضهم في كتم الكرامة حتى أوجبه.

قال أبو عمرو الدمشقي ـ وهو من أجل مشايخ الشام ـ: فرض الله تعالى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إظهار الآيات والمعجزات، كذلك فرض على الأولياء كتمانها حتى لا يعتني الخلق بها. رواه السلمي[2].

ويؤخذ من كلامه أن اعتناء الخلق بالكرامة لا ينبغي؛ أما صاحب الكرامة فلئلا يقف عندها فيحجب عن مواهب الله تعالى وعن الوصول إلى رضاه، وأما غيره فلئلا يعتقدوا من ظهرت عليه الكرامة وينتقدوا من لم تظهر عليه، فربما نفوا عن الأولياء كثيراً بسبب ذلك.

وليس معنى وجوب كتمان الكرامة ألا تظهر أصلاً؛ إذ يلزم من

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٢٣).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢١٥).

ذلك إبطال الكرامات ونفيها، بل معناه ألا يتعمد الولي إظهارها، وإن ظهرت فلا يسكن إليها.

قال القشيري: واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا له ملاحظة، وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم لأن ذلك فعل الله، فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد في الجملة، فالقول بجواز إظهارها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة[1].

وذكر عن ابن عطاء قال: سمعت أبا الحسن النوري يقول: كان في نفسي شيء من هذه الكرامات، فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين، وقلت: وعزتك لئن لم تخرج لي[2] سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي.

قال: فأخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال، فبلغ ذلك الجنيد، فقال: حكمه أن يخرج له أفعى تلدغه[3].

وإنما أنكر الجنيد عليه مساكنته إلى الكرامة وتوقفه عندها.

وأبو الحسن لم يسأل الله تعالى هذا الأمر الخارق إلا ليزول عنه ما كان في نفسه من التوقف في أمر الكرامة.

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٨٠).

(٢) «لي» ليست في «أ».

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٨٨).

ومنع أكثر المعتزلة خوارق الأولياء، وأنكروها، والكتاب والسنة والحس والعقل ترد عليهم.

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري في «لطائف المنن»: ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة.

وروى أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن حامد الترمذي رحمه الله تعالى قال: إنكار ولايات الأولياء في قلوب الجهال من ضيق صدورهم عند المصادر، وبُعد علومهم عن موارد القدرة[1].

وذهبت جماعة منهم القشيري، وابن السبكي: أن الخارق ـ وإن جاز على يد الولي ـ لا ينتهي إلى [ولد دون] والد وقَلْبِ جمادٍ بهيمةً، ونحو ذلك[2].

وهذا القول أنكره الجمهور على قائله.

وقال النووي في «شرح مسلم»: إنه غلط منهم، وإنكار للحس[3].

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٨١)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/ ٣١٦).

(٣) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٦/ ١٠٨)، لكن كلام الإمام النووي هنا عن مسألة أخرى، وهي كون الكرامة تختص بمثل إجابة الدعاء ونحوه، فقال النووي: وهذا غلط من قائله وإنكار للحس، بل الصواب جريانها بقلب الأعيان، وإحضار الشيء من العدم ونحوه.

أما كلام القشيري والسبكي رحمهما الله فعن مسائل عظيمة جداً، وكأنهما =

وكان أبو عبدالله الأصبهاني شارح «المحصول» ممن يعتقد كرامات الأولياء، فقال لـه بعض طلبتـه: يا سيدي! أيصح أن في هذه الأمة من يمشي على الماء ويطير في الهواء؟

فقال: يا بني! هذه الأمة أكرمها الله بنبيها ﷺ فانفِ عن أوليائها مقام النبوة والرسالة، وأثبت ما شئت من الخوارق. نقله ابن السبكي[1].

وقد بسطنا القول في هذه المسألة في كتاب «منبر التوحيد».

واعلم أن الكرامة على قسمين:

الأول: كرامة بمعنى خرق العادة كالمشي على الماء، وفي الهواء، وطي الزمان والمكان، والتصرف في الكون بنفوذ الأمر والنهي.

وعن الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى أنه قال: بسم الله من العارف بمنزلة: كن من الله.

وقال الأعمش: قال أبـو وائل رحمـه الله تعالى: يا سليمان! نعم الرب ربنا؛ لو أطعناه ما عصانا[2].

= استدلا بالاستقصاء بأنه لم تبلغنا كرامة وصلت إلى حد قلب جماد إلى حي أو ولد من غير والد.

ثم إن الإمام النووي نفسه نقل كلام القشيري في «بستان العارفين» (ص: ١٤٢) ولم يعلق عليه، فلو كان يخالف مذهبه لأشار إلى ذلك، والله أعلم.

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ١٠٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٥).

وقال أبو الربيع السائح: أطع الله يطعك[1]. رواهما أبو نعيم.

وفي ذلك إشارة إلى أن من شرط هذا القسم من الكرامة طاعة الله تعالى، فلو ظهر الخارق على يد فاسق لم تكن كرامة، بل هو استدراج أو سحر أو شعوذة، وبهذا يفرق بين هذه الثلاثة وبين الكرامة.

قال أبو يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة. رواه القشيري، وأبو نعيم[2].

ثم هذه الكرامات قد يجدها أهل البداية في بداياتهم، ويفقدها أهل النهاية في نهاياتهم؛ فإن أصل ظهور الخارق على يد الولي إنما هو لتقوية يقينه وزيادة بصيرته، فيعلم الولي أن ما هو عليه من العقائد والوظائف صحيح مرضي، فيلازم عليه؛ فإن كان الولي في النهايات رسخ يقينه فلا يحتاج إلى مثبت لأن المركب العظيم لا يحتاج إلى مرساة.

وروى القشيري عن ابن سالم قال: كان رجل يقال له: عبد الرحمن ابن أحمد يصحبه سهل بن عبيدالله، فقال له يوماً: ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من يدي قضبان ذهب وفضة.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩٦).

(٢) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٣٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠).

فقال سهل: أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة ليشغلوا بها[1]؟

وإنما جاز ظهور الخارق على الأولياء ـ وإن كان بعضه زائداً في المعنى على معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ لكون كرامة الولي معجزة لنبيه؛ لأن الكرامة إذا ظهرت على التابع كانت دليلاً على صدق المتبوع وصحة طريقه.

وقد صرح القشيري، وغيره أن ذلك من جملة المعجزات لنبي ذلك الولي مع أن النبي لا يتحدى بها فيصدق بأنها معجزة بلا تحد، فيرد ذلك على اشتراطهم اقتران المعجزة بالتحدي.

وقد يقال: إن مما جاء به الأنبياء عليهم السلام الإيمان بكرامات الأولياء، وأن الأولياء من كل أمة هم أخيار أتباع نبيها، فيعرف بذلك أن كل نبي فهو متحد بظهور الكرامة على أولياء أمته.

ومما تتبعته من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسير السلف الصالحين من العلماء والأولياء من أمة محمد ﷺ أننا لم نر معجزةً لنبيٍّ تقدَّم قبل زمان نبينا ﷺ إلا نرى مثلها أو قريباً منها اتفق في كرامات أولياء هذه الأمة المحمدية.

وأرجو من كرم الله تعالى أن يوفقني لتأليف كتاب لطيف في تفاصيل ذلك.

---

(١) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٣٩٠).

واعلم أن من الأمور الخارقة ما يجري علي يدي من لم يكن تبلغ رتبته الولاية؛ إما لبلوغ أجله، وإما رحمة لضعفه، وإما لتوسله بذي كرامة كرامةً لذلك المتوسل به، وإما لاضطراره كخلاص حيوان من جوع أو عطش، أو خطر هلاك، أو منقطع في سفر يرزقه الله طعاماً، أو يسقيه عند خطر زهوق روحه ماء، أو يخلصه من عدو، أو يشفيه من مرض.

فهذا وأمثاله لا يكون من باب الكرامة، والفرق بين الكرامة وبينه دقيق.

وفرق بينهما القشيري بأن الكرامة ما كان تخصيصاً من الله لعبد بنوع من أفضاله، وإفراداً له من بين أضرابه وأشكاله مما يدل على علو قدره وشرف حاله.

وعندي أن الفرق بينهما أن الكرامة خارق يظهر على من تمرن على أعمال البر واستقام على الخير كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ عادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِها، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِها، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعاذَ بِي لأُعِيذَنَّهُ، وَما تَرَدَّدْتُ فِي[1] شَيْءٍ أَنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِيَ عَنْ قَبْضِ نَفْسِ

---

(١) في «أ»: «عن»، والمثبت من «ت».

الْمُؤْمِنِ ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنا أَكْرَهُ مَساءَتَهُ». رواه البخــاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وأخرجه الإمام أحمد، والحكيم الترمذي، وأبو يعلى، والطبراني في «الأوسط»، وأبـو نعيم في «الطـب»، والبيهقي في «الزهـد»، وابن عساكر من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «قالَ اللهُ ﷻ: مَنْ آذَى لِي وَلِيّاً فَقَـدِ اسْتَحَلَّ مُحارَبَتِي، وَما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْـدِي بِمِثْلِ أَداءِ الفَرائِضِ، وَما يَزالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ عَيْنَهُ الَّتِي يُبْصِرُ بِها، وَأُذُنَهُ الَّتِي يَسْمَعُ بِها، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِها، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِها، وَفُؤادَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ، وَلِسانَـهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ، إِنْ دَعانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَما تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِيَ عَنْ وَفاتِهِ»[2].

فهذا الحديث أعظم دليل على أن الله يكرم أولياءه بخوارق العادات، فهو أثبت دليل على إثبات الكرامـة، ويدل على أن الكرامـة لمن تمرن على أعمال الخير، بل فيـه بيان معنى الكرامة، وأن حقيقتها أن يتعرف الولي بربه ﷻ.

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأوليـاء» (١/ ٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٧٧).

ولقد قلت : [من الكامل]

إِنَّ الـــوَلِيَّ بِرَبِّـــهِ يَتَعَـــرَّفُ
وَالكَـوْنُ طَـوعُ يَدَيـهِ لا يَتَخَلَّـفُ

لَكِنَّـــهُ فـــانٍ وَيَبْقَـــى رَبُّـــهُ
يُجْـرِي عَلَيـهِ مَواهِبـاً لا تُوْصَـفُ

وَإِذا دَرَى الـرَّحْمَنَ مالِـكَ أَمْـرِهِ
لَـمْ يَبْـقَ مِنْـهُ تَعَمُّـلٌ وَتَكَلُّـفُ

فَـاللهُ أَوْلَـى مِنْـهُ فِـي أَحْوالِـهِ
بِـأُمُورِهِ وَبِـهِ تَعـالَى يَلْطُـفُ

عِرْفانُـهُ مِـنْ عَرْفِـهِ يَبْـدُ وَمَـنْ
عَـرَفَ الْمَعـارِفَ بِالْمَكـارِمِ يُعْـرَفُ

لِوِلايَـةِ اللهِ الكَـرِيْمِ سُـمُوُّهُ
وَبِـهِ عَلـى كُـلِّ الفَـضائِلِ يَـشْرُفُ

وَيَـصُونُ مَـولاهُ اهْتَـدى لِتَقَـرُّبٍ
لا يَنْثَنِـي عَنْـهُ وَلا يَـسْتَنْكِفُ

فَأَحَبَّـهُ الْمَـوْلَى وَكـانَ فُـؤادَهُ
وَلِـسانَهُ فِيـهِ يَقُـولُ وَيُعْـرَفُ

وَبِــهِ مَــشى وَبِــهِ تَــصَرَّفَ باطِــشاً
أَوْ ســامِعاً أَوْ نــاظِراً يَسْتَــشْرِفُ

مَــنْ لِــي بِمَــنْ قــامَ الإِلَــهُ مَقامَــهُ
مــا مِــنْ مَكانَتِــهِ أَعَــزُّ وَأَشْــرَفُ

والقسم الثاني: كرامة بمعنى حصول الاستقامة ودوام التوفيق إلى الطاعة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

روى الترمذي، وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: «يا أَيُّها النَّاسُ! إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ وَتَعاظُمَها بِآبائِها، فَالنَّاسُ رَجُلانِ؛ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلى اللهِ، وَفاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرابٍ»[1].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي، والحاكم ـ وصححاه ـ عن سمرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْحَسَبُ الْمالُ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٧٠) وضعفه.

وَالكَرَمُ التَّقْوى»[1].

فحقيقة الكرامة أن يكرم الله العبد بالتوفيق إلى تقواه، ثم إلى الاستقامة على طاعته.

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود: ١١٢ ـ ١١٣].

قال القاضي ناصر الدين: والاستقامة شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصوناً عن الطرفين، والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوِّت للحقوق ونحوهما.

قال: وهي في غاية العسر، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ»[2]، انتهى[3].

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا علي الشبوي رحمه الله تعالى يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: روي عنك أنك قلت: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ»؛

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٠)، وابن ماجه (٤٢١٩)، والترمذي (٣٢٧١) وقال: حسن صحيح غريب، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦) وضعفه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦٦).

فما الذي شيبك من قصص الأنبياء عليهم السلام وهلاك الأمم؟

فقال: لا، ولكن قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[هود: ١١٢][1].

وروى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الحسن رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: ١١٢] قال ﷺ: «شَمِّرُوا»، وما رؤي ضاحكاً[2].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه ـ بإسناد صحيح ـ والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقي في «سننه» عن ثوبان رضي الله تعالى عنهما، والطبراني في «الكبير» عنه، وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمالِكُمُ الصَّلاة، وَلَنْ يُحافِظَ عَلى الوُضُوءِ إلاَّ مُؤْمِنٌ»[3].

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، والطبراني في «الكبير» عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَنِعِمَّا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ، وَخَيْرُ أَعْمالِكُمُ الصَّلاةُ، وَلَنْ يُحافِظَ عَلى

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٤١).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٨٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٦)، وابن ماجه (٢٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٨٢) عن ثوبان رضي الله تعالى عنه.
والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤٤) عن ثوبان، و(٦٢٧٠) عن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنهما.

الوُضُوءِ إلاَّ مُؤْمِنٌ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ربيعة الجرشي رضي الله تعالى عنه ـ واختلف في صحبته ـ أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَقِيمُوا وَنِعِمَّا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ، وَحافِظُوا عَلى الوُضُوءِ؛ فَإِنَّ خَيرَ أَعْمالِكُمُ الصَّلاة، وَتَحَفَّظُوا مِنَ الأَرْضِ؛ فَإِنَّها أُمُّكُمْ، وَإِنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ عامِلاً عَلَيها خَيراً أَوْ شَرّاً إِلاَّ وَهِيَ مُخْبِرَةٌ»[2].

وقوله ﷺ: «وَنِعِمَّا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ»؛ فيه إشارة إلى شرف مقام الاستقامة وعزته، وعزة من يقوم به كما قال في الحديث السابق: «اسْتَقِيموا وَلَنْ تُحْصُوا»؛ أي: لن تطيقوا الإحصاء والاستقصاء في الاستقامة، بل استقيموا بقدر الطاقة.

وقوله: «وَنِعِمَّا»؛ أي: نعم القوم أنتم «إِنِ اسْتَقَمْتُمْ»؛ فأهل الاستقامة هم خيار عباد الله.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[هود: ١١٢] فيه دليل على أن العبد لو ابتدع طريقاً في العبادة ثم استقام عليه، فليس شيء حتى تكون العبادة والاستقامة عليها موافقة لما أمر الله تعالى به، وهو كذلك، وما سواه طغيان، ولذلك قال: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾[هود: ١١٢]؛ أي:

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٩). وفي سنده أبو حفص الدمشقي، ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥٩٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤١): وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

بأن تكون استقامتكم على خلاف ما أمرتم، وهو موافق لبطر النعمة والظلم المفسر بهما الطغيان في الآية: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[هود: ١١٣] بأن تودوهم، أو توالوهم، أو تطيعوهم ليكونوا أولياءكم وأنصاركم، فتنعكس آمالكم فيهم؛ ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾[هود: ١١٣] لا هم ولا غيرهم، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود: ١١٣] آخراً، بخلاف ما لو أعرضتم عنهم وعن الاعتماد على غير الله تعالى، واكتفيتم به، وأقبلتم على طاعته، واستقمتم كما أمرتم؛ فإن الله يتولاكم، ويأمر الملائكة بتوليكم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾[فصلت: ٣٠ ـ ٣١].

فأهل الاستقامة يتولاهم الله، ويولي الملائكة توليهم بالحفظ والمعونة والإلمام بالخير، وفي الآخرة بالسلام، وبالبشارة والمودة، والهيبة وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[فصلت: ٣٠]؛ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: على شهادة لا إله إلا الله. رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»[1].

وروى الترمذي، والنسائي، وآخرون عن ابن عباس رضي الله

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٢١٨).

تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[فصلت: ٣٠] قال: «قَدْ قالَها النَّاسُ ثُمَّ كَفَرَ أَكْثَرُهُمْ؛ فَمَنْ ماتَ عَلَيْها فَهُوَ مِمَّنِ اسْتَقامَ»(١).

وفي رواية: «فَمَنْ قالَها حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ مِمَّنِ اسْتَقامَ عَلَيها»(٢).

وهذه الرواية تدل على أن الاستقامة الاستقرار على كلمة التوحيد إلى الممات.

والأول يدل على أن الاستقامة القيام بها عند الموت، ويدل عليه حديث معاذ رضي الله تعالى عنه: «مَنْ كانَ آخِرَ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

لكن لا يخفى أن هذه الاستقامة ـ وإن كانت كرامة عظيمة في نفسها ـ فليست كتلك الاستقامة.

وروى السهروردي في «عوارفه» عن عبد الرحمن بن زيد: أن عيسى ابن مريم عليهما السلام قال: ربِّ! أنبئني عن هذه الأمة المرحومة.

قال: أمة محمد ﷺ هم علماء أخفياء، حكماء كأنهم أنبياء، يرضون مني بالقليل من العطاء، فأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخلهم الجنة

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٠) وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٧).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٤٩٥).

(٣) تقدم تخريجه.

بلا إله إلا الله.

يا عيسى! هم أكثر سكان الجنة لأنها لم تَذِلَّ ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذَلَّت ألسنتهم، ولم تَذِلَّ رقاب قوم قط بالسجود كما ذَلَّت رقابهم.

وهذه صفة أهل الخصوص من هذه الأمة، وأما عوامهم ففي ظلهم، ولذلك كانت أمة مرحومة؛ يرحم الله مسيئهم بمحسنهم، فأهل الخصوص هم المستقيمون على كلمة التوحيد وإقامة الصلاة، وسائر الأعمال تابعة لهذين العملين الكريمين لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

ويقول: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥][1].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾[فصلت: ٣٠]: الاستقامة أن لا تشركوا بالله شيئاً[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في الآية: استقاموا بطاعته. رواه الإمام عبدالله بن المبارك، وسعيد بن منصور، وعبد بن

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٨٢).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٠)، وكذا الطبري في «التفسير» (٢٤/ ١١٤).

حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر[1].

ويدخل في كلامهما الاستقامة على الإخلاص، والتنزه عن الرياء، ولا يتم مقام الاستقامة عليه إلا بذلك.

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: أنه سئل عن هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾[فصلت: ٣٠]، فقال: استقاموا عليه فعلاً كما أقروا به قولاً.

قال يحيى: كونوا عباد الله بأفعالكم كما زعمتم أنكم عبيدالله بأقوالكم[2].

وهذا التفسير في غاية الحسن.

وعلى وزان الآية ما رواه الإمام أحمد، والدارمي، والبخاري في «تاريخه»، ومسلم، والترمذي ـ وصححه ـ والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان عن سفيان الثقفي رحمه الله تعالى قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله! مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك.

قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٠)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص: ٢٣١)، وكذا الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٥)، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ١١٥).

(٢) انظر: «التذكرة في الوعظ» لابن الجوزي (ص: ٩٦).

ولفظ الترمذي: قلت: يا رسول الله! حدثني بأمر أعتصم به.

قال: «قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

قال: قلت: يا رسول الله! ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، وقال: «هَذا»[1].

في هذه الإشارة إلى اللسان: أن أهم شيء يستقيم فيه العبد حفظ لسانه على أن يقول الخير، أو يصمت.

وقد روى الترمذي، وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضاءَ تكفِّرُ اللِّسانَ؛ فَتَقولُ: اتَّقِ اللهَ فِينا؛ فَإِنَّا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا».

وأشار الترمذي إلى تصحيحه موقوفاً على أبي سعيد[2].

ومن هنا سئل بعض العارفين عن الكرامة، فقال: هي حصول الاستقامة.

وقال القشيري: واعلم أن الاستقامة توجب إمامة الكرامة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

قال: لم يقل: سقيناهم، بل قال: أسقيناهم؛ يقال: أسقيته؛ أي:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

جعلت له سقياً، فهو يشير إلى الدوام، انتهى.

وقال أبو علي الجوزجاني: كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة[1].

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في «العوارف» بعد أن حكى كلام الجوزجاني: وهذا الذي ذكرته أصل كبير في الباب، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب، وذلك أن المجتهدين، والمتعبدين يسمعون بسير الصالحين والمتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فأبداً نفوسُهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً من ذلك، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهماً لنفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر فيه.

فليعلم أن الله سبحانه قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك باباً والحكمة فيه أن[2] يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقيناً، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج من دواعي الهوى.

وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين، ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصرف اليقين أغنى بذلك عن رؤية خوارق

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٤٠).

(٢) في «أ» و«ت»: «من الحكمة فيه».

العادات لأن المراد منها كان حصول اليقين، وقد حصل اليقين، فلو كوشف المرزوق صرف اليقين بشيء من ذلك لازداد يقيناً، فلا تقتضى الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغناءً به، وتقتضى الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته؛ فكان هذا الثاني يكون أتم استعداداً وأهلية من الأول حيث أغنى عن رؤية شيء من ذلك، فسئل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة، ثم إذا وقع في طريقه شيء من ذلك جاز وحسن، وإن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك، وإنما ينقص بالإخلال بواجب من الاستقامة.

قلت: وهذا الذي ذكره السهروردي هو أحد الأسباب في قلة ظهور الخوارق على الصحابة وأهل الصدر الأول، وأخذها من قرب عهدهم بالوحي ومشاهدة المعجزات، فاستغنوا بذلك عن كثرة ظهور الخوارق فيهم.

وأما السبب في قلة الخوارق الآن في هذه الأعصار المتأخرة فاختفاء أولياء الله تعالى لظلمة الوقت، وكثرة المكذبين والمؤولين لما يشاهدونه من الأولياء في الأسرار والخوارق، والمنكرين، وقلة الطالبين للخير وأهله، ولو حصل طالب صادق لوجد؛ فإن وجدان الأدب من شرط صحة الطلب؛ فافهم!

وفي المعنى قول ابن حبيب الصفدي رحمه الله تعالى: [من البسيط]

وَكُلُّ وَقْتٍ لَهُ أَهْلٌ يَلِيقُ بِهِ
وَبَعْدَهُ مِنْهُ شَرٌّ بِالنُّصوصاتِ

يَكْفِي زَمانٌ يُرى ما لَـمْ يَـأْتِ فِيـهِ نَبِـيْ

وَالأَوْلِيـاءُ اخْتَفَـوْا وَعْظَـاً لِيَقَظَـاتِ

قال الشيخ أبو العباس بن عطاء الله الإسكندري رحمه الله تعالى: سئل بعض العارفين عن أولياء العدد ينقصون في زمن، فقال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها، ولا أبرزت الأرض نباتها، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص أمدادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله سبحانه وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم، فإن كان أهل الزمان معرضين عن الله، مؤثرين لما سوى الله، لا تنجع فيهم الموعظة، ولا تميلهم إلى الله التذكرة، لم يكن أهلاً لظهور الأولياء فيه.

وذكر القشيري عن سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى: أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخُلُق محمود[١].

قلت: والحكمة فيه أن حقيقة الكرامة خرق العادة، وإذا كان خُلق العبد سيئاً فبدله الله حسناً، فقد خرق له هذه العادة لأن الانتقال عن الطبع لا قدرة للعبد عليه إلا أن ينقله الله تعالى عنه، فإذا تيسر للعبد أن ينتقل من خلق سيىء إلى خلق حسن فقد أكرمه بأعظم الكرامات.

وفي معنى كلام سهل ما رواه ابن عساكر عن الأصمعي قال: قال لنا يونس: كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى محمد بن كعب

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٩٠).

القرظي رحمه الله تعالى، فكتب إليه: إن ابن آدم مطبوع على أخلاق شتى؛ كَيْسٌ وحمق، وجراءة وجبن، وحلم وجهل؛ فداو بعض ما فيك ببعض، وإذا صحبت فاصحب من كان ذا نية في الخير يعينك على نفسك، ويكفيك مؤونة الناس، ولا تصحب من الناس من خطرك عنده على قدر حاجتك إليك، فإذا انقطعت انقطعت أسباب مودتك من قلبه، وإذا غرست غرساً من المعروف فلا يضيق ذرعك أن تربيه[1].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن محمد بن عليان النسوي قال: آيات الأولياء وكرامتهم رضاهُم بما يسخط العوام عن مجاري المقدور[2].

قلت: وإنما رجع ابن عليان معنى الآيات والكرامات إلى الرضا؛ لأن الحكمة في الكرامة زيادة الإيمان وتقوى اليقين، فإذا رضي العبد بمجاري أقدار الله تعالى فقد تحقق بالإيمان المطلوب بالكرامة.

وقد روى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن العباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاقَ طَعْمَ الإِيْمانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً»[3].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١٤٧).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٣١٥).

(٣) تقدم تخريجه.

* تَنبِيهٌ:

قد تكون الكرامة مما يحسبه الجاهل عقوبة كالمصائب، وقلة ذات اليد، وقلة الأولاد، وقلة العشيرة، فيكرم الله العبد بذلك تمحيصاً لذنوبه، وزيادة في كرامته، وصيانة له عن الفتنة.

ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التغابن: ١٤ ـ ١٥].

وروى أبو نعيم عن أبي سنان ضرار بن مرة رحمه الله تعالى قال: يقول الله ﷻ: يا دنيا! مري على المؤمن ليصبر عليك فيجزى، ولا تحلولي له فتفتنيه[1].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ لِلدُّنْيا: يا دُنْيا! مرِّي على أَوْلِيائِي، وَلا تَحْلَولِي فَتْفَتِنِيهِمْ»[2].

وروى الطبراني، والبيهقي في «الشعب»، والأصبهاني في «الترغيب»، والديلمي عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٩٢).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٣)، وكذا القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٢٥)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٢٣).

«نزَّلَ اللهُ تَعالَى عَلَيَّ جِبْرِيلَ فِي أَحْسَنِ ما كانَ يَأْتِينِي صُورَةً، فَقالَ: إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ يا مُحَمَّدُ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنِّي أَوْحَيْتُ إِلَى الدُّنْيا أَنْ تَمَرَّرِي وَتَكَدَّرِي، وَتَضَيَّقِي وَتَشَدَّدِي على أَوْلِيائِي حَتَّى يُحِبُّوا لِقائِيَ، وَتَحَبَّبِي وَتَسَهَّلِي، وَتَوَسَّعِي وَتَصَفَّيْ لأَعْدائِي كَيْ يَكْرَهُوا لِقائِيَ؛ فَإِنِّي خَلَقْتُها سِجْناً لأَوْلِيائِي، وَجَنَّةً لأَعْدائِي»[1].

ولفظ الديلمي: «أَوْحَى اللهُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَتانِي بِأَحْسَنِ ما كانَ يَأْتِينِي صُورَةً، فَقالَ: السَّلامُ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنِّي أَوْحَيْتُ إِلَى الدُّنْيا أَنْ تَمَرَّرِي وَتَضَيَّقِي، وَتَنَكَّرِي على أَوْلِيائِي حَتَّى يُحِبُّوا لِقائِيَ، وَتَبَخْبَحِي وَتَوَسَّعِي، وَتَسَهَّلِي وَتَزَيَّنِي عَلى أَعْدائِي حَتَّى يَكْرَهُوا لِقائِي؛ فَإِنِّي جَعَلْتُها سِجْناً لأَوْلِيائِي، وَجَنَّةً لأَعْدائِي»[2].

وقلت: [من السريع]

أَوْحَى إِلَى الدُّنْيا الإِلَهُ الْحَكِيمُ
وَهْوَ بِحالِ العَبْدِ أَوْلَى عَلِيمْ

تَمَرَّرِي عَلَى وَلِيِّيْ وَلا
تَبْقَيْ عَلَى حالٍ لَهُ مُسْتَقِيمْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٠٠) وقال: فيه مجاهيل.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٢١).

وَأَزْعِجِيـــهِ كُـــلَّ وَقْـــتٍ إِلَـــى

رَوْمِ لِقَـــائِي فِـــي جَنَّـــاتِ النَّعِـــيمْ

ضِـــيقِي بِـــهِ تَكَـــدَّرِي وَانْكَـــدِرِي

يَـــصْبِرْ فَيُجْـــزَى بِـــالثَّوابِ الْمُقِـــيمْ

قَـــدْ يَكْـــرَهُ الإِنْـــسانُ حَـــالاً وَفِـــي

ذَلِـــكَ رِضْـــوانٌ وَأَجْـــرٌ جَـــسِيمْ

تَبَـــارَكَ اللهُ وَأَوْحَـــى إِلَـــى الـــدُّ

نْيَـــا وَأَمْـــنُ الْمَكْـــرِ ذَنْـــبٌ عَظِـــيمْ

تَبَحْبَحِـــي تَحَبَّـــبِي وَاسْـــهُلِي

عَلَـــى عَـــدُوِّي يَنْبَـــسِطْ أَوْ يَهِـــيمْ

يَكْـــــرَهُ إِذْ ذاكَ لِقَـــــائِي وَلا

يَطْلُـــبُ مَرْضَـــاتِي وَلا يَـــسْتَقِيمْ

أَبْعَدْتُـــهُ بِـــالْمَكْرِ عَنِّـــي كَمَـــا

قَرَّبْـــتُ بِـــاللُّطْفِ الـــوَلِيَّ الكَـــرِيمْ

الْمُلْـــكُ لِـــي وَالأَمْـــرُ لِـــي دائِمـــاً

أَفْعَـــلُ مَـــا شِـــئْتُ وَإِنِّـــي حَكِـــيمْ

سُـــبْحانَ مَـــنْ قَـــدَّرَ مَـــا شَـــاءَهُ

ذَلِـــكَ تَقْـــدِيرُ العَزِيـــزِ العَلِـــيمْ

روى أبو الفرج بن الجوزي في «صفة الصفوة» عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى قال: ما طلبت شيئاً من الدنيا قط فولى لي؛ حتى لقد ركبت مرة حماراً فلم يمش، فنزلت عنه، وركبه غيري فعدا.

قال: فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي: لا يحزنك ما زوي عنك من الدنيا، وإنما يفعل ذلك بأوليائه وأحبائه وأهل طاعته.

قال: فسري عني[1].

قلت: ما تشهيت قط شهوة من شهوات الدنيا، ثم طلبتها إلا تعسرت علي، أو حصلت وتنغَّصتُ فيها بمنغص ما، وأنا أحمد الله على ذلك، وهذا أمر تكرر لي من أكثر من خمس وعشرين سنة، وإلى الآن.

*** تَنبِيهٌ:**

من معارف الولاية تمني الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى، لا فراراً من ضرر دنيوي يمسه.

ومن ثم أكذب الله تعالى اليهود في دعواهم ولايته بما امتحنهم من الأمر بتمني الموت؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الجمعة: ٦ ـ ٧].

قال أبو عبيدالله القرطبي في تفسير الآية: لما ادعت اليهود الفضيلة، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[المائدة: ١٨] قال الله تعالى: ﴿إِن زَعَمْتُمْ

---

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢١٢).

﴿أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾[الجمعة: ٦]؛ فللأولياء عند الله الكرامة، ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾[الجمعة: ٦] لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: أسلفوه من تكذيب محمد ﷺ، فلو تمنوه لماتوا، فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية، انتهى[1].

ولما تحقق يوسف عليه السلام بولاية الله تعالى له تمنى الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى.

قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الآية: اشتاق إلى لقاء الله، وأحب أن يلحق به وبآبائه، فدعا الله أن يتوفاه وأن يلحقه بهم.

قال ابن عباس: ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف عليه السلام.

قال ابن جريج: وأنا أقول: في بعض القرآن ـ أي: في بعض الكتب ـ: من الأنبياء من قال: توفني. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن ابن جريج عن ابن عباس[2].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ٩٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ٧٣)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٩١).

قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: من علامات الشوق تمني الموت على بساط العوافي كيوسف عليه السلام لما ألقي في الجب لم يقل: توفني، ولما دخل السجن لم يقل: توفني، ولما دخل عليه أبوه وخر الإخوة له سجداً، وتم له الملك والنعم، قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[يوسف: ١٠١].

قال: وفي معناه أنشد بعضهم: [من الخفيف]

نَحْــنُ فِــي أَكْمَــلِ الــسُّرورِ وَلَكِــنْ
لَــيسَ إِلاَّ بِكُــمْ يَــتِمُّ الــسُّرورُ

عَيــبُ مــا نَحْــنُ فِيــهِ يــا أَهْــلَ وِدِّي
أَنَّكُــمْ غُيَّــبٌ وَنَحْــنُ حُــضورُ[1]

قال: وفي معناه أنشدوا: [من مجزوء الكامل المرفل]

مَــنْ سَــرَّهُ العِيــدُ الْجَدِيــ
ــدُ فَقَــدْ عَــدِمْتُ بِــهِ الــسُّرورا[2]

كــانَ الــسُّرورُ يَــتِمُّ لِــي
لَــوْ كــانَ أَحْبابِــي حُــضُورا[3][4]

---

(١) انظر: «تفسير القشيري» (٢/ ١٧٢).

(٢) في «أ»: «السرور».

(٣) في «أ»: «حضور».

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٥٩) دون البيتين الأولين.

قلت: وصبرَ يوسف عليه السلام على البلاء ولم يتمنَّ فيه الموت، إنما تمناه حين توفرت له النعم موافق لقوله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نزَلَ بِهِ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الْحَياةُ خَيراً لِي، وَأَمِتْنِي إِذا كانَ الْمَوْتُ خَيراً لِي». رواه الشيخان من حديث أنس رضي الله تعالى عنه[1].

وفي هذا الحديث، وحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: «لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدادُ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ». رواه البخاري وغيره[2]؛ إرشادٌ إلى ما هو الأولى والأفضل، وهو ترك تمني الموت، وكلة الأمر فيه إلى الله تعالى، واختيار ما اختار الله تعالى.

ولقد رد الله تعالى يوسف عليه السلام إلى مراده؛ فروى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي الأخنس[3] قال: لما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١] شكر الله تعالى له ذلك، فزاد في عمره

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٢) رواه البخاري (٥٣٤٩). وفي «أ»: «رواه وغيره البخاري».

(٣) في «الدر المنثور»: «عن الأعمش»، وفي «تفسير ابن أبي حاتم»: «عن أبي الأعيس».

ثمانين عاماً[1].

ثم تمني الموت إن كان شوقاً إلى الله تعالى وإلى ما عنده، فهو حسن، وأولى منه ترك الاختيار.

وإن كان لضر مسه، أو يخاف أن يمسه فهو مكروه، وإن كان خوفاً من الفتنة في الدين فهو أحسن أيضاً.

وأما كراهية الموت فهو في طبع كل إنسان، وأما المكروه المذموم كراهية لقاء الله؛ لأنها تدل على الوحشة بينه وبين الله تعالى بالمعصية واليأس من رحمته.

ولذلك قال ﷺ: «مَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ»[2].

وهذا هو الذي كان سبباً في امتناع اليهود من الموت.

وإن كان الموت لازماً لكل إنسان لم يبق للمؤمن إلا الرضا به ـ وإن كان قد أوحش ما بينه وبين الله تعالى بالمعصية ـ ثم يتمسك بالانكسار والافتقار، وحسن الظن بالكريم الغفار.

وأما الكافر والمنافق فلا ينفعه الرضا إلا لو آمن، وإذا آمن فقد أفلح، وإلا هلك قطعاً.

ومن ثم قال الله تعالى لليهود حين علم أنهم لا يتمنون الموت وأخبر

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٠٣)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٩١).

(٢) رواه البخاري (٦١٤٢)، ومسلم (٢٦٨٣) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

به؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجمعة: ٨].

قال قتادة وقد تلا هذه الآية: إن الله أذل ابن آدم بالموت.

قال معمر عن قتادة: لا أعلمه إلا رفعه. رواه عبد الرزاق(١).

وإذلال ابن آدم بالموت مختلف؛ فإن كان مؤمناً فإذلاله في الدنيا بالنسبة إلى ما يراه منها، لا بالنسبة إلى حاله في البرزخ، وفيما عند الله تعالى؛ فإنه إعزاز وراحة.

روى الإمام عبدالله بن المبارك، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن عمرو، وله عن جابر رضي الله تعالى عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ»(٢).

وروى الديلمي عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَوْتُ رَيْحانُ الْمُؤْمِنِ»(٣).

وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٢٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٧١٨).

نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[الواقعة: ٨٣ ـ ٩٤].

قال الربيع بن خُثيم رحمه الله تعالى في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩]؛ قال: هذا عند الموت، تخبأ له الجنة يوم البعث.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾[الواقعة: ٩٢ ـ ٩٣]؛ قال: هذا عند الموت.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[الواقعة: ٩٤]؛ قال: تخبأ له الجحيم إلى يوم يبعث.

رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن المنذر[١].

وفي «موطأ الإمام مالك»، و«مسند الإمام أحمد»، و«صحيحي البخاري ومسلم»، و«سنن النسائي» عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ مرت جنازة، فقال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَراحٌ مِنْهُ».

فقلنا: يا رسول الله! ما المستريح؟ وما المستراح منه؟

فقال: «العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيا وَأَذاها إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعالَى، وَالعَبْدُ الفاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبادُ وَالبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ»[٢].

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٦٢)، والطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢١٢).

(٢) تقدم تخريجه.



فصل

واعلم أن الأولياء من شأنهم الاختفاء والستر لأنهم معادن الأسرار الإلهية، ومن شأنها التحجب والاستتار.

ويحكى أن في بعض الكتب: أوليائي تحت حبائي، لا يعرفهم أحد سواي؛ أي: لا يعلم بهم من كل وجه أحد سواي، وقد يعرِّف بهم العباد أو بعضهم بتعريف الله تعالى على حسب ما يقسم لهم من المعرفة.

نعم؛ لا يطلع على الأولياء في الغالب إلا الأولياء لأنهم محارم.

وقد قال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه: أولياء الله عرائس الله، ولا يرى العرائس إلا المحرمون[١].

وقال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه: الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصديقون، فتصل رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم[٢].

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في «الْحِكَم»: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه[1].

وليس للولي أن يظهر ولايته إذا تحققها من نفسه إلا إذا أذن الإظهار، أو كان داعياً إلى الله تعالى بإذنه.

ويعرف الإذن بالكشف، أو بإذن بعض أولياء الله تعالى له، أو بتيسير الدعوة والكلام لِما قيل: علامة الإذن التيسير.

قال أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى: يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف، والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أعطي العبارة كان كالإذن له من الله في الكلام[2].

وإنما منع الولي في الأصل من الإظهار لأن سر الولاية لا يحتمله عقول أكثر الخلق.

ولقد قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد من دون الله؛ لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته[3].

ويكون اختفاء الولي سبباً داعياً لقلوب الناس إلى تحسين الظن بكل

---

(١) انظر: «الحكم العطائية» لابن عطاء الله السكندري (ص: ٢٨٦).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ٣٠٢).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ٣٠٢).

مسلم كما أخفيت ليلة القدر في ليالي رمضان طلباً إلى الاجتهاد في كل ليلة، وكما أخفيت ساعة الإجابة في كل ليلة وفي يوم الجمعة للاجتهاد في كل اليوم وكل الليلة، وكما أخفيت الصلاة الوسطى للاجتهاد في كل الخمس، وكما أخفي رضا الله تعالى في طاعاته للاجتهاد في كلها، وغضبه في معاصيه للحذر من كلها.

ولأن سر الولاية من الأسرار الإلهية الباقية، فلا يظهر منه في دار الفناء إلا ما يحتاج إليه في جذب بعض القلوب القاسية إلى زمن البقاء، فيظهر الله تعالى سر الولاية والولي لينقاد صاحب ذلك القلب إلى الله وأمره، أو يصل إليه ما قسم له من طاعته، وبذلك يرتفع مقام الولي ويكثر أجره.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ». رواه الشيخان[1].

وفي رواية: «خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها». رواه ابن المبارك[2].

وفي حديث آخر: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ عَلى يَدِكَ رَجُلاً خَيرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ». رواه الطبراني في «الكبير» ـ بسند حسن ـ عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٧)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٨٤) عن ابن أبي جعفر.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٣٤): رواه الطبراني عن يزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس، ذكره=

ومن هنا يعلم أن الولي إذا أعطي مقام الدعوة إلى الله تعالى بالوراثة عن النبي ﷺ فلا بد من ظهوره للعباد؛ إذ لا يكون الداعي إلى الله تعالى إلا ظاهراً، وكذلك لو أمر برد بدعة أو دفع شبهة فلا بد أن يكون ظاهراً.

وقد روى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِها الإِسْلامُ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيائِهِ يَذُبُّ عَنْ دِينِهِ»[1].

ثم لا بد لمن يظهر من الأولياء لما تقدم أن يكسوه الله تعالى كسوتين: الجلالة، والبهاء.

كما قال ابن عطاء الله في «لطائف المنن»: أما الجلالة؛ فليعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه، فيضع الله تعالى في قلوب العباد حبه لمن ينصره بما يكون أمره ونهيه مسموعين لمن يأمره وينهاه، وهو من إعزاز الحق لعباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

وأما البهاء؛ فليحليهم به في قلوب عباده، فينظروا إليه بعين الاستحسان والمحبة، فيكون ذلك باعثاً لهم إلى الانقياد إليه[2].

= المزي في الرواة عن أبي رافع، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠٠).

(٢) وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٢٠٧).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم: ٩٦]؛ أي: محبة في قلوب العباد، وقبولاً؛ يكون ذلك تمكيناً لهم في مقام الاختلاف لهم عنهم الذي وعدهم به في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[النور: ٥٥].

وقال ابن خفيف الشيرازي رحمه الله تعالى في كتابه «المسائل والجوابات»: حكي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال: يعطى الولي ثلاث خصال: عز من غير عشيرة، وإنشاء من غير جند، ورزق من غير كدٍّ.

قال ابن خفيف: قلت: يعطى الولي ثلاثة أشياء: المحبة في قلوب الأبرار، والهيبة في قلوب الفجار، والملاحة في عيون الخلق، انتهى.

ومن علامة الولي حلاوة لسانه، وطلاوة كلامه كما قيل فيما جاء به النبي ﷺ: إِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً، وَإِنَّ لَـهُ لَحَلاوَةً، وَإِنَّ أَعْلاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَدْناهُ لَمُغْدِقٌ(١).

وفي نفس الأمر أعظم الدليل على الرجل لسانه.

---

(١) قاله الوليد بن المغيرة عن القرآن لما سمعه، كما رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن لطائف يحيى بن معاذ ﷺ قال: أفواه الرجال حوانيتها، وشفاهها مغاليقها، وأسنانها مغاليقها؛ فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين لك العطار من البيطار. رواه ابن نعيم[1].

وقال ابن عطاء الله في «لطائف المنن»: سمعت شيخنا ـ يعني: أبا العباس المرسي رحمه الله تعالى ـ يقول: كلام المأذون له ـ يعني: في التكلم ـ يخرج وعليه كسوة وطلاوة، وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار؛ حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة، فتقبل من أحدهما، وترد على الآخر[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية»، وغيره عن أبي بحر البكراوي قال: اجتمع بمكة الفضل الرقاشي وعمر بن ذر، فشهدتهما، فتكلم الفضل، فأطال وأكثر، ووعظ وذهب من الكلام في مذاهب، فما رأيت أحداً رق لكلامه، ثم سكت، فتكلم ابن ذر، فحيث تكلم بكى الناس ورقوا[3].

وعن ابن السَّمَّاك قال: قال ذر بن عمر بن ذر لأبيه: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، وإذا تكلمت سمعت البكاء من هاهنا وهاهنا؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٦٠).

(٢) وانظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ٣٠٢).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١١٣).

فقال: يا بني! ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى[1].

وقال أبو العباس المرسي: إن أولياء هـذا الوقـت ليريدون بشيء الغنى واليقين؛ فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس، واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك.

وأراد بالغنى غنى النفس المشار إليـه بقولـه ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَالغِنَى غِنَى النَّفْسِ» رواه الإمام أحمد، والشيخان، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[2].

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجـة الأسـرار» عن سهـل بن عبدالله التُّستَري رحمه الله تعالى قال: إن الله تعالى اصطنع إلى أوليائـه ثلاث خصال: لا يطمعهم من حيث يطمعون، ويشوش عليهم تدبيرهم لأنفسهم، ولا يظفر بهم عدوهم؛ يريد ﷻ ألا يرجوا غيره، ولا يخافوا سواه؛ لأنه البارُّ بهم اللطيف الكريم[3].

وقال بعض العارفين: إن لله تعـالى في أوليائـه لطيفـة، وذلك أن يضطرهم ويبتليهم حتى يسألوا الناس ويقصدونهم في حاجتهم، ثم يبقى

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١١١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٣)، والبخـاري (٦٠٨١)، ومسلم (١٠٥١).

(٣) رواه الرافعي في «التدوين في أخبـار قزوين» (١/ ٣٩٦) لكن من كلام أبي علي الدقاق.

في قلوب الناس القسوة عليهم، فإذا أيسوا من الخلق رجعوا إليه فيغنيهم، وإنما يفعل بهم ذلك لئلا يشهدوا غيره، ولا يرجوا إلا خيره.

وقلت: [من الخفيف]

إنَّ لِلَّـــهِ فِـــي الـــوَلِيِّ لَطِيفَـــة
لَـيْسَ تَقْـوى لَهـا القُلُـوبُ الـضَّعِيفَة
يُحْـــوِجُ العَبْـــدَ الأَنـــامَ وَيُلْقِـــي
قَـــسوَةً فِـــي قُلُوبـــِهِمْ لِيُخِيفَـــه
فَيَحـــارَ الـــوَلِيُّ ثُـــمَّ يَلْـــوِي
قَلْبَـــهُ نَحـــوَ رَبـــِّهِ وَيُطِيفَـــه
فَيَـــرَى مِنْـــهُ مـــا يُرِيـــدُ فَيَغْـــدُو
وَلَـــهُ فِـــي الأَنـــامِ نَفْـــسٌ عَفِيفَـــة
فَـــإِذن يَـــشهَدَ الإلـــه وينـــسى
غيـــرَهُ تِلْـــكَ إِلَـــى حـــالٍ شَـــرِيفَة

* تَتِمَّةٌ:

نقل ابن عطاء الله في «لطائف المنن» عن بعض العارفين أنه قال: إن لله عباداً كلما اشتدت ظلمة الوقت كلما قويت أنوار قلوبهم؛ فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوي إشراقها.

قلت: وقد لمحت بذلك في خطبة هذا الكتاب، وقلت في المعنى:

[من الكامل]

نُـــورُ الوِلايَـــةِ لائِـــحٌ للمُؤتـــسي
وَالوَقْتُ مِنْ ظُلْـمِ الْهَـوى فِـي حِنْـدِسِ

مِثْـلَ الكَواكِـــبِ زادَ نُــورُ ضِـــيائِها
مــا اشْــتَدَّ غَيْهَــبُ لَيْلِهــا المغلــنكس

فَــأَدِرْ ســلافات الــصَّفا فِــي الأَكْــؤُسِ
وأشـــع أَحادِيـــثَ الظبـــاء الكُـــنَّسِ

دَعْ يَحْتَـسِي مِـنْ كَأْسِـها مَـنْ يَحْتَـسِي
أَوْ يَأْتَــسِي بِــذوي التُّقــى مَــنْ يَأْتَــسِي

لا تَيْأَسَــنْ مِــنْ رَوْحِ رَبِــكِ يــا فَتَــى
إن الهمــام النــدب مَــنْ لَــمْ يَيْــأَسِ

اصْبِــرْ فَــإِنَّ الــصَّبْرَ يُبْلِغُــكَ الْمُنَــى
وَارْبِــطْ حِبالَــكَ بِالْجَنــابِ الأَقْــدَسِ

وَائْــنَسْ بِرَبِــكَ إِنْ رُمِيــتَ بِوَحْــشَةٍ
وَبِغَيْــرِ رَبِــكَ فِــي الــوَرَى لا تَــأْنَسِ

* **تَتِمَّةٌ**[1]:

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص» عن بلال بن سعد قال: لا تكن ولياً لله في العلانية، وعدوه في السريرة[2].

معناه: لا تتلبس بأوصاف الأولياء ظاهراً، وتضمر في باطنك مثل أعمال أعداء الله تعالى؛ فإن هذا بعينه كان حال المنافقين، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤] الآية.

بل إذا تلبست بأعمال الأولياء ظاهراً، فتشبه بهم باطناً في الصدق، وحسن النية، والإخلاص؛ إذ لا يشبه الزي الزي حتى يشبه القلب القلب، كما قال ابن مسعود ﷺ، وسبق بيان ذلك.

* **تَنْبِيهٌ**:

قال أبو سعيد بن الأعرابي: إن الله تعالى أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه؛ ليستعطف بهم على أوليائه. رواه السلمي في «طبقاته»[3].

---

(١) من هنا حتى نهاية هذا القسم، وهو من ورد الأمر بالتشبه بهم، منسوخ ومقابل على نسخة المؤلف التي كتبها بخطه، وهي تمثل الجزء الثاني من تجزئته عنده على أربعة أجزاء، وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «م».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص: ٥٤).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٣٢١).

ومعناه: إنَّ الله تعالى قد يُخلِّقُ بعض أعدائه ببعض أخلاق أوليائه عطفاً منه على أوليائه؛ فإنهم لا يستغنون عن مخالطة الناس، فإذا تَخَلَّقَ من يخالطونه بالرحمة، أو بالمودة، أو بالحياء، أو غيرها من الأخلاق الجميلة عاملهم بتلك الأخلاق دون أضدادها، فيكون رفقاً بهم؛ إذ لو عاملهم من يخالطهم بأضداد تلك الأخلاق ساءهم ذلك، وشق عليهم، فتلك الأخلاق الجميلة لا يعود نفعها على المُتخَلِّقِ بها، بل على من يخالطه المُتَخَلِّقُ بها من أولياء الله تعالى.

ومن هذا القبيل رفق أبي طالب بالنبي ﷺ، ومودته له، وعطفه عليه.

ويعلم من هذا: أنَّ محبة الكافر للمؤمن، ومودته له، لا تضر المؤمن؛ لأنها من باب التسخير للمؤمن الولي، كما ألقيت محبة موسى عليه السلام في قلب فرعون حين كان موسى عليه السلام صغيراً.

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه: ٣٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان كل من رآه ألقيت عليه منه محبة. رواه ابن أبي حاتم، وغيره.

وإنما يضر العبد أن تنفر عنه قلوب المؤمنين، وتمقته.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ليحذر امرؤ أن تمقته قلوب المؤمنين من حيث لا يعلم. رواه الإمام أحمد في «الزهد»[(١)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٢).

وفي حديث «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ: «وَإِذا أَبْغَضَ اللهُ عَبْداً نادَىٰ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنِّيْ قَدْ أَبْغَضْتُ فُلاناً، فَيُنادِيْ فِيْ أَهْلِ السَّماءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ البَغضاءُ فِيْ أَهْلِ الأَرْضِ»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «أَنْتُمْ شُهَداءُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ، وَالملائِكَةُ شُهَداءُ اللهِ فِيْ السَّماءِ». رواه الطبراني، وغيره من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ[2].

والخطاب في قوله: «أنتم» للمؤمنين.

*** فائِدَةٌ لَطِيْفَةٌ:**

روى أبو نعيم عن علي بن الحسين ﷺ قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها، ثم قالت: يا رب! هبني لبعض أوليائك، فيقول الله تعالى لها: يا لا شيء! اذهبي فأنتِ لا شيء، أنتِ أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتطوى كما يطوى الثوب الْخَلِقُ، فتلقى في النار[3].

وإنما لم تكن الدنيا صالحة في الآخرة لأن يثاب بها أحد من أولياء

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٧)، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٥٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥): عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، وهو ضعيف.

قلت: وهو عند النسائي (١٩٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٢).

الله تعالى؛ لأنها ضد الآخرة وضَرَّتُها، فلا تجتمع معها، ولأن الله تعالى كتب على الدنيا الفنـاء، والآخرة دار البقاء، ولأنها لئيمة، والآخرة دار الكرامة للمؤمنين، والإهانة للكافرين، فاجتمعت هي وأتباعها اللؤماء في دار الإهانة، ولأن الدنيا سجن المؤمن وسنته، فكيف تصلح أن تكون دار الولي وسنته.

قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَسَنَـتُهُ[1]؛ فَإِذا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ والسَّنَةَ». رواه الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن ابن عمرو رضي الله عنهما[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «ذمها»، والبيهقي في «الشعب» عن عطاء ابن يسار ـ رحمـه الله ـ مرسلاً: أن النبي ﷺ قال «إِنَّ اللهَ ـ جَلَّ ثَنَـاؤُهُ ـ لَمْ يَخْلُقْ خَلقاً أَبْغَضَ إِليهِ مِنَ الدُنْيَا، وَإِنَهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا»[3].

وإذا كانت أبغض خلقه إليه، فكيف يرضاها ثواباً لبعض أوليائه؟

وقال ﷺ: «الدَّنْيَا مَلْعُوْنَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيْهَا إِلاَّ مَا كَانَ مِنْهَا للهِ ﷻ».

وفي لفظ: «إِلاَّ مَا أُرِيْدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ».

---

(١) السنة: الجدب.

(٢) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٢/ ١٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٢).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (ص: ٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٠٠).

وفي لفظ آخر: «إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمَاً وَمُتَعَلِّمَاً».

وفي آخر: «إِلاَّ أَمْرَاً بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيَاً عَنْ مُنْكَرٍ، أَو ذِكرَ اللهِ».

رواه باللفظ الأول أبو نعيم، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» عن جابر ﷺ[1].

وباللفظ الثاني في الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء[2].

ووقفه الإمام أحمد في «الزهد» عليه بلفظ: «إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ، وَمَا آوَى إِلى ذِكْرِ اللهِ»[3]، وهو قريب من اللفظ الثالث.

وهو عند الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ، والطبراني في «الأوسط» من حديث ابن مسعود ﷺ[4].

ورواه باللفظ الرابع البزار عن ابن مسعود ﷺ أيضاً[5].

وإذا كانت الدنيا ملعونة ـ واللعنة: البعد عن الله تعالى ـ فلا تليق أن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٠).

(٢) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٢) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي الدرداء. ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٧) موقوفاً.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٢) وحسنه، وابن ماجه (٤١١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٧٢) من حديث ابن مسعود.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٧٢).

(٥) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/ ٢٦٤).

تكون داراً لأحد من الأولياء؛ لأنهم أهل القرب.

روى الإمام أحمد، والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لا دَارَ لَـهُ، وَمَالُ مَنْ لا مَالَ لَـهُ، وَلَهَا يَجْـمَـعُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ»[1].

وكل أحد من أوليـاء الله تعـالى لـه دار ومال مخصوصان بـه في الآخرة، فلا تصلح أن تكون الدنيا داراً له أصلاً.

وكأن التقديـر في الحديث: دار من لا دار لـه في الآخرة، أو في الجنة.

وحقيقة الدار: ما يحوط المرء، ويلم شعثه، ويسكن قلبـه، بحيث يأمن ويطمئن ويأنس، ولا تصلح الدار إلا إذا كانت دار مقامة واستقرار، وذلك غير وصف الدنيا حقيقة لأن كل عبد مزعج منها مخرج منها، وإن الدار الآخرة هي دار القرار وهي دار المقامة، ومن ثم يقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[فاطر: ٣٥].

فحقيقة الدار ما كانت هكذا دار مقامة وسرور وراحة، من غير إعياء ولا سآمة ولا ملل، ولا كذا دار الدنيا، ولا دار أعـداء الله في الآخـرة؛

---

(١) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٦/ ٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٣٨). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٨٦): إسنادهما جيد.

فإنها ـ وإن كانت دار مقامة وقرار ـ فإن مقامها بئس المقام، وقرارها بئس القرار، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩].

* * *



فصل

ويقال للأولياء والصالحين: أولو الألباب، وذوو الألباب.

ولب كل شيء: خالصه وقلبه.

ومن ثم قيل لهؤلاء، أو لخواصهم: أرباب القلوب، وأصحاب القلوب؛ أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق: ٣٧].

وكل إنسان له قلب، بل كل حيوان، إلا أنه لما كانت قلوب الحيوانات غير الإنسان، والملحقين بها من جنس الإنسان ممن لا يفهم ولا يعقل لا نفع فيها، ولا فائدة منها، كانت كأنها لم تكن؛ فلذلك قال تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾؛ أي: قلب يفهم به ويعقل به.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ﴾[الرعد: ١٩]؛ أي: أصحاب القلوب الخالصة.

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[الأعلى: ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: ٥٥]؛ أي:

الكاملين في الإيمان، وهم العلماء بالله الذين يخشون الله تعالى، وهم أصحاب القلوب.

وأولـو الألبـاب الحكماء، كما قال الله تعالـى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة: ٢٦٩].

الحكمة: فهم كتاب الله وتدبره، والعمل بما فيه، ولا يتهيأ هذا إلا لذوي الألباب، وأصحاب العقول والآداب.

قال خالد بن ثابت الربعي: وجدت فاتحة زبور داود عليـه السلام: رأس الحكمة خشية الله. رواه الإمام أحمد في «الزهد»[١].

وقد روى الحكيم الترمذي في «نوادره»، وابن لال في «مكارمه» عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ»[٢].

وروى ابن أبي حاتم عن الإمام مالك بن أنس ﷺ قال: قال زيـد ابن أسلم رحمهما الله تعالى: إن الحكمة العقل، وإنه ليقع في قلبي أنَّ الحكمة الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٨٤)، وكذا رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٣) موقوفاً، ثم قال: وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً.

قال: ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أمر دنياه، عالماً بأمر دينه، بصيراً به، يؤتيه الله إياه، ويَحْرِمُهُ هذا[1].

واختار النووي في «شرح مسلم»: أن الحكمة عبارة عن: العلم بالأحكام المشتملة على المعرفة بالله تبارك وتعالى، مصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به، والصدِّ عن اتباع الهوى والباطل.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦٩]؛ أي: من يختاره لها ويصطفيه لها، فأهل الحكمة وأولو الألباب هم المصطفون الأخيار، قليل من أعمالهم، كثير عند الله تعالى؛ لأنهم أحباب الله، وأولياؤه، ومختاروه، والقليل من الأحباب مقبول، وشتان بين المقبول والمردود.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]، والتقوى نتيجة الخشية التي هي رأس الحكمة، ومحك العلم، والقليل إذا كان مقبولاً عند الله تعالى، لم يكن قليلاً في نفسه؛ لأن الذي قَبِلَهُ كريم، ومن شأن الكريم أن يرى القليل من غيره كثيراً، وإن عين الرضى تكثر قليل المرضي عنه، وتعظم صغير المقبول منه.

وقد روى ابن أبي شيبة عن الحسن رحمه الله مرسلاً قال: قال

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٢).

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَقبَلُ عَمَلَ عَبْدٍ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ»[1].

وفي كتاب «التقوى» لابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟[2].

وفيه عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: لأن أكون أعلم أنَّ الله تقبل مني مثقال حبة من خردل، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧][3].

وروى ابن أبي حاتم نحوه عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ولفظه: لأن أستيقن أن الله تعالى تقبل مني صلاة واحدة، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧][4].

وروى ابن عساكر عن هشام، عن يحيى، عن أبيه قال: دخل سائل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال لابنه: أعطه ديناراً، فأعطاه، فلما انصرف قال ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله تعالى تقبل مني سجدة واحدة، أو صدقة درهم، لم يكن غائب أحبُّ إليَّ من الموت؛ تدري ممن يتقبل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧][5].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٤١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٦).

(٥) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٤٦).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: يا حبذا نوم الأَكْياسِ وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم؟ ولَمِثْقال ذرة من صاحب تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين[1].

وصدق ﷺ؛ فإن نوم الأكياس - وهم الفطناء أولو الألباب - وإفطارهم يكون بنية صالحة، ولغرض صحيح، فهما أفضل من سهر المتكلف وصومه.

وقد أطلق أبو الدرداء عليه اسم الحمق؛ لأنه يضرب في حديد بارد لم يعقل قوله ﷺ: «إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِ امْرِىءٍ مَا نَوَى»[2]، ولم يعمل بمقتضاه، ولو كان له عقل وكَيْسٌ لعقل هذا وغيره عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ مَنْ رُزِقَ لُبّاً». وفي رواية: «قَدْ أَفْلَحَ». رواه البخاري في «تاريخه»، والبيهقي في «شعبه» عن قرة بن هبيرة ﷺ[3].

و(قد) لتحقيق حصول الفلاح، وهو العون والبقاء في الخير لذوي الألباب، ومهما حصل لهم فيما بين ذلك من مشقة، فإن الله تعالى يأخذ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

بأيديهم فيها، ويخفف عنهم حتى يلقوه في سلامة، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[الأحزاب: ٤٤].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «أَنَا الشَّاهِدُ عَلَى اللهِ أَلاَّ يَعثُرَ عَاقِلٌ إلاَّ رَفَعَهُ، ثُمَّ لا يَعثرَ إلا رَفَعَهُ، ثُمَّ لا يَعثُرَ إلا رَفَعَهُ، حَتَّى يَجْعَلَ مَصِيرَهُ إلى الجَنَّةِ». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «العقل»، والطبراني في «الأوسط»[1].

ثم إن لأولي الألباب مزية ظاهرة في فهم كلام الله تعالى، وآياته، ومطالعة حكمه في بريَّاته، ولقد أثنى الله تعالى عليهم بذلك، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣]، فحصر فهم آياته وأمثاله في أهل العلم، وهم أولو الألباب كما علمت.

قال عمرو بن مرة رضي الله عنه: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني؛ لأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾. رواه ابن أبي حاتم[2].

وعندي: أن المراد بالأمثال: كل مخلوق خلقه الله تعالى للعقل في

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «العقل» (ص: ٣٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٨٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩): رواه الطبراني في «الصغير»، و«الأوسط» وفيه محمد بن عمر بن الرومي، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٦٤).

مطالعته ومطالعة الحكمة التي لأجلها خُلِق مجالٌ، والقرآن العظيم لم يدع شيئاً مما هذا سَمْتُهُ إلا وقد وقعت فيه الإشارة إليه بوجه ما، وإن من أبعد الأمثال عن الأفهام ـ إلا فهم أولي الألباب ـ أن الله تعالى شرع القصاص، وهو إتلاف لعضو، أو إزهاق لروح لأجل وقاية الأعضاء، وحياة الأرواح؛ إذ يعلم العادي أنه يُقَاصَصَ فيكف، فلذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٩]؛ أي: تتقون الحياة بوقاية أنفسكم عنها، أو بمنع غيركم منها.

وقال سفيان بن عيينة في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾؛ قال: بقية؛ تناهي بعضكم عن بعض. رواه ابن جرير(١).

ومن ألطف ما اتفق: ما رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن أبي الجوزاء أنه قرأ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، وقال: القصاص(٢) القرآن(٣).

والأولى حمل القصاص(٤) على [قصص] القرآن، وما يوافقه من مواعظ الأنبياء، ونصائح الأولياء على سبيل القص عن المتقدمين.

وعليه: فالمراد بالحياة الحياة الأخروية، وهي في الدنيا بالإيمان

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ١١٥).

(٢) في «م»: «القصص»، والمثبت من «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٩٧).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٤٢) إلى عبد بن حميد، ولفظه: «القصاص: قصص القرآن»، ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٩٧).

(٤) في «م»: «القصص».

والعلم، وفي الآخرة بثوابها وما أعد الله لذويها.

وفي نفس الأمر لا يحس بهذه الحياة في دار الدنيا إلا أولو الألباب، وهم الراسخون في العلم؛ لأنهم الذين نفخت فيهم روح الحياة في الدنيا.

ولقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: ٧]، وهم الراسخون في العلم بأعيانهم، إلا أنه ذكرهم بصفة أخرى ثناء عليهم، وتفخيماً لأمرهم، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]؛ فيه إشارة إلى أن المتدبرين للقرآن كثيرون، وإنما يتذكر منهم مما تدبره أولو الألباب، وأصحاب العقول النافعة ذويها، المخلصة الخالصة لباريها.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾[إبراهيم: ٥٢]؛ أي: كفاية لهم في الموعظة والبيان، ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[إبراهيم: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر: ٩].

في الآية إشارة إلى الحكمة التي يتميز بها أهل العلم عن غيرهم، وهي أن أهل العلم أهل تذكر وتفطن، وأهل الجهل أهل غفلة ولهو، فإذا كان ذو العلم يغلب عليه ما يغلب على أهل الجهل لحق بهم، وكان أسوأ حالاً منهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[غافر: ٥٣ ـ ٥٤].

فيه إشارة إلى أن ذوي الألباب هم المقصودون بالهداية والذكرى، وكأن الكتب لم يكن مطلوب بها حقيقة إلا هؤلاء، وقد علمت أنهم هم المتقون، فتوافقت هذه الآية هي وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢] الآيات؛ فهؤلاء قوم صلحت قلوبهم، فصلحت لقبول الحكم القرآنية والمعارف الربانية بما تحنن الله عليهم وعطف، ونظر إليهم ولطف.

ولقد سبق قوله ﷺ: «أَلا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ»(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ صَالِحٌ تَحَنَّنَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِذَا تَحَنَّنَ اللهُ عَلى قَلبِ عَبدٍ، حَنَّنَهُ لِلأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، وَحَبَّبَها إِلَيْهِ»(٢).

ولقد وصف الله تعالى أولي الألباب بأوصاف الصالحين، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَءَابِ﴾[آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وصفهم سبحانه وتعالى بالذكر وملازمته في سائر الأحوال، والفكر في مخلوقات الله تعالى، والمعرفة بأنه سبحانه لم يخلق شيئاً باطلاً، والتسبيح والاستعاذة من النار، والإيمان بأمور الآخرة التي منها عذاب النار، وسؤال الله الوقاية منها، وأنَّ دخولها هو الخزي، وأنَّ الظالم هو المخذول يوم القيامة لا أنصار له، وحسن الاستماع، وسؤال الله المغفرة، وتكفير السيئات، والثناء على الأبرار، وطلب اللحاق بهم، والجهاد في سبيل الله تعالى، والهجرة، واحتمال الأذى في ذات الله، والرغبة في الشهادة؛ وكل ذلك من خواص أعمال الصالحين وأخلاقهم.

ثم بين الله تعالى أنه يستجيب لهم بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[آل عمران: ١٩٥] الآية.

فأهل الاستجابة هم أولو الألباب الذين يدعون الله تعالى، وقلوبهم في مشاهدته تشهد أن العطاء والمنع بيده، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ادْعُوْا اللهَ وَأَنْتُم مُوقِنُوْنَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ لا يَقبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلبٍ غَافِلٍ لاهٍ». رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة ﷺ[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: قال الله تبارك وتعالى على لسان نبي من أنبياء بني إسرائيل: قل لبني إسرائيل: تدعوني بألسنتكم، وقلوبكم بعيدة مني؟ باطل ما ترهبون،

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٩) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٧). وضعف الإمام النووي إسناده في «الأذكار» (ص: ٣١٩).

وقال: تدعونني وعلى أيديكم الدم؟ اغسلوا أيديكم من الدم؛ أي: من الخطايا، هلموا نادوني[1].

وروى الحكيم الترمذي عن معاذ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ عَرَفْتُمُ اللهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ، لَزَالت بِدُعَائِكُمُ الجِبَالُ»[2].

وقد فهم الحسن رحمه الله من الآية: أن سبب استجابة الله تعالى لهم[3] تكرار الدعاء، والإلحاح فيه.

فروى ابن أبي حاتم عن عطاء رحمه الله: أنه قال: ما من عبد يقول: يا رب، يا رب، ثلاث مرات، إلا نظر الله إليه، فذكر للحسن رحمه الله، فقال: أما يقرأ القرآن: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٥]؟[4].

ولا شك أن في التكرار تحقيقاً لاستحضار القلب في الدعاء؛ لأن له تأثيراً في التوجه.

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٩).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ١٠٦)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٥١٢٣). وضعف العراقي إسناد الديلمي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٢٣).

(٣) **إلى هنا ينتهي الجزء الثاني من النسخة الخطية المرموز لها بـ «أ»، ووقع فيها خرم كبيرإلى نهاية هذا الجزء ـ أعني: من النسخة الخطية ـ.**

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٤٤).

رسول الله ﷺ: «يُنَادِيْ مُنَادٍ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَينَ أُولُـوْ الأَلبَابِ؟ قَالُوا: أَيَّ أُولِيْ الأَلبَابِ تُرِيْـد؟ قالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]، قَالَ: عُقِـدَ لَهُمْ لِـوَاءٌ، واتَّبَـعَ القَوْمُ لِوَاءَهُمْ، وَقَالُوا لَهُم: أُدخُلوْهَا خَالِدْينَ»[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[الزمر: ١٧ ـ ١٨].

وصفهم باجتناب عبادة الطاغوت، وهو الشيطان، أو كل ما سوى الله تعالى؛ فإن عبادة من سواه طغيان، وبالإنابة إلى الله، وهي الرجوع إليه، وهو حقيقة التوبة واستماع القول، واتباع أحسنه؛ قال: أحسنه طاعة الله. رواه ابن جرير[٢].

وقال الكلبي: هو الرجل الذي يقعد إلى المحـدث فيقوم بأحسن ما سمع. رواه سعيد بن منصور.

وهذا وصف العاقل؛ فإن العاقل من إذا عُرِضَ عليـه أمور يتخيـر منها، اختار لنفسه أحسنها، فإن اختار لنفسه دون الأحسن فهو سخيف العقل؛ ومن ثم كرهوا الإيثار في القُرَبِ، فإن اختار لنفسه أدناها كان

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٠٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ٢٠٦) عن قتادة.

أحمق عارياً عن العقل.

وقد مثله النبي ﷺ بمثال منطبق على حاله، فقال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ وَلا يُحَدِّثُ عَن صَاحِبِهِ إِلاَّ بِشَرِّ مَا يَسْمَعُ، كَمَثَلِ صَاحِبِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِياً فَقَالَ: يَا رَاعِي! أُجْزُر لِي شَاةً، فَقَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا شَاةً، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلبِ الغَنَمِ»، رواه الإمام أحمد، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وهذا المثال ـ وإن كان ضربه لمن يسمع فيحدث شر ما سمع ـ فهو بمن يعمل بشر ما سمع، أو بضد ما سمع من الخير أولى.

ثم قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر: ٢١]؛ أي: إن في ذلك تذكيراً لأولي الألباب دون غيرهم، بأنه لا بد لذلك من صانع حكيم دبره، وسوّاه، وأوجده، وأحكمه، ثم أفناه، وبأن هذا مثل الحياة الدنيا فلا يغتر به، وبأن هذا مثل ابن آدم يبدو به والزرع في ريعانه وخضرته، ثم يكون آخره إلى الموت والفناء، وهذا لا يهتدي إليه إلا أولو الألباب، وهم أصحاب الصدور المشروحة، ولذلك عقبه بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢]؛ أي: كغيره.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٧٢). وإسناده ضعيف.

وشرح الصدر بخلوص القلب للتوجه إلى الله تعالى، وطلب الآخرة الموصل إليه.

قال محمد بن كعب القرظي: رحمه الله تعالى: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قالوا: يا رسول الله! هل ينشرح الصدر؟ قال: «نعَمْ»، قالوا: هل لذلك علامة؟ قال: «نعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والإِنَابَةُ إِلى دَارِ الخُلُودِ، والاسْتِعْدَادُ لِلمَوتِ قَبْلَ نُزُولِهِ». أخرجه ابن مردويه هكذا مرسلاً[1].

وأخرجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تلا نبي الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، فقلنا: يا رسول الله! كيف انشراح صدره؟ قال: «إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انشَرَحَ وَانْفَسَحَ»، قلنا: فما علامة ذلك؟ الحديث[2].

وهو عند الحاكم، والبيهقي في «الزهد» عن ابن مسعود إلا أنه قال: لما تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام: ١٢٥] قيل: ما هذا الشرح؟ فقال: «إِنَّ النُّورَ إذا قُذِفَ فِي القَلْبِ، انشَرَحَ لَهُ الصَّدْرُ وانْفَسَحَ»، قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال: «نعَمْ، التَّجَافِي عَن دَارِ الغُرُورِ، والإِنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، والاسْتِعْدَادُ

---

(١) كذا عزاه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٠٢) إلى ابن مردويه.

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٩) إلى ابن مردويه، ورواه أيضاً الطبري في «التفسير» (٨/ ٢٧).

لِلمَوْتِ قَبْلَ نُـزُولِهِ»[1].

ولا شك أنَّ هذه الثلاثة من أوضح ما يظهر من الأخلاق على ذوي القلوب الصالحة، والعقول السليمة، والألباب الخالصة؛ لأن هذا أنفع شيء لهم في مصيرهم الذي لابد لهم من المصير إليه.

قال ابن عمـر رضي الله عنهما: أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة، فقـام رجـل من الأنصار، فقال: يا رسول الله! من أَكْيَس الناس، وأحـزم الناس؟ قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلمَـوتِ، وَأَكْثَرُهُـمْ اسْتِعدَاداً لِلمَـوْتِ؛ أُولَئِكَ الأَكْيَاس، ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَـا، وَكَرَامَـةِ الآخِـرَةِ». رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت»، والطبراني في «الصغير» بسند جيد[2].

وقال رسول الله ﷺ: «الكَيِّـسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ـ أي: حاسبها في الدنيا ـ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ ـ وفي رواية: وَالأَحْمَقُ ـ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن شداد بن أوس رضي الله عنه[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٥٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٨)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٠٨). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١١٩): رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» والطبراني في «الصغير» بإسناد حسن.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤)، والترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١). قال ابن طاهر: وهو =

وقال الله تعالـى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الرعد: ١٩]؛ أي: ليس من يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق ـ وهو شامل للقرآن، وغيره مما جاء به ﷺ ـ كمن هو أعمى القلب عن الحق فلا يبصـره، ولا يعقلـه ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: أصحاب العقول السليمة البصيرة.

ثم بين من هم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٢٠ ـ ٢٤].

قيل: أراد بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: صلة الرحم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ البِرَّ وَالصِلَةَ لَيُخَفِّفَانِ سُوءَ الحِسَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾». رواه ابن عساكر(١).

= حديث مداره على أبي بكر بن أبي مريم وهـو ضعيـف. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٧٦).

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٢٤٣)، وكـذا الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٨٦).

وفي «الكشاف» في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ من القرابات؛ قال: ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ، وقرابة المؤمنين الثابتة بالإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠] بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم.

ومنه مراعاة حق الأصحاب، والخدم، والجيران، والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسببٍ، حتى الهرة والدجاجة[١].

والمراد بإقامة الصلاة: إتمامها، كما رواه ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير، وبالإنفاق سراً وعلانية النفقة الفرض، والأولى فيها إعلانها وإظهارها للقدوة، وإسقاط العتاب عنه، والوقوع في غيبته، والتطوع، والأولى فيها الإسرار لأنه أبعد عن الرياء.

وقوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[الرعد: ٢٢]؛ أي: يدفعون الشر بالخير، ولا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعونه بالخير. رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم عن الضحاك[٢].

وقال سعيد بن جبير في معناه: يردون معروفاً على من يسيء إليهم.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٤٩٤).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٩٩١) كلاهما عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

رواه ابن أبي حاتم[١].

وحاصل ما في هذه الآية: أن الله تعالى وصف أولي الألباب بالوفاء والصلة والخشية، وخوف سوء الحساب في العاقبة، والصبر والإخلاص، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الخير سراً وعلانيةً؛ لأنهم لا يتوقفون على حالة تبعثهم على النفقة أو تؤخرهم عنها؛ لأن الكرم سجيتهم وعادتهم، ولأنهم لا يراقبون غير الله، فاستوى سرهم وعلنهم.

ثم ختم وصفهم بالخلق العظيم المشتق من خلق نبيهم ﷺ الذي وصفه ربه به في التوراة لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٢].

فذكر أنهم بعد استيفاء الحلم والعفو والاحتمال، يدرؤون بالحسنة السيئة فضلاً عن مقابلتها بمثلها، وهذا منهم مصانعة لربهم، طلباً منهم أن يعاملهم ربهم بالعفو والإحسان، وهذا يدل على أنهم في أعلى طبقات العقل والنُّهَى؛ لأنهم وضعوا الإحسان والمعروف عند من لا يضيع عنده مثقال ذرة.

ولقد علمت أن ذوي الألباب هم الحكماء حقيقة.

والحكيم: هو من يضع الشيء في موضعه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٩٩١).

(٢) كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو في صفة رسول الله ﷺ في التوراة، وهو عند البخاري (٢٠١٨).

ومن بدائع حكم ذوي الألباب ما ذكره محمود الوراق في قوله:

[من المتقارب]

تَمَثَّلَ ذُوْ اللُّبِّ فِيْ نَفْسِهِ ... مَصائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلا

فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ لَمْ يَرُعْهُ ... لِما كانَ فِيْ نَفْسِهِ مَثَّلا

رَأى الأَمْرَ يُفْضِيْ إِلَى آخِرٍ ... فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلا

ومن معناه أن اللبيب العاقل وَطَّنَ نفسه على مصائب الدنيا، وأنَّ ما قُدِرَ منها نازل لا محالة، فلم يجزع لما دهمه من خطوبها، ولم يفرح لما نأى منها، وعلم أن آخرها للانقضاء والزوال، فعمل لما بعدها، وتجافى عنها، وأناب إلى الآخرة، وانتظر الموت، كما قال الحسن رحمه الله تعالى: إنَّ الموت فضح الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحاً. رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»[1].

* تَتِمَّةٌ:

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾[ق: ٣٦].

---

(١) انظر: «الزهد» (ص ٢٥٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُواْ﴾: أثروا؛ أي: تركوا آثارهم ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾[1].

وقال مجاهد: ضربوا في الأرض. رواهما ابن جرير[2].

وقال الضحاك في قوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: هل من مهرب يهربون إليه من الموت. رواه ابن المنذر[3].

وقال قتادة في الآية: حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مدركاً. رواه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر[4].

ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾[قٓ: ٣٧]؛ أي: ما ذكرناهم به من أمر الأمم الماضية، وما أثروا في البلاد، وتصرفوا فيها، وخربوا في أرجائها، فلم يجدوا لهم مهرباً من الموت، بل أدركتهم آجالهم التي قدرناها لهم، وكان مصيرهم إلينا ﴿لَذِكْرَىٰ﴾[قٓ: ٣٧]؛ أي: تذكرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[قٓ: ٣٧]؛ أي: لمن كان له قلب يستمع به فيتذكر، أو ألقى السمع إلى ما يملى عليه بحيث يصغي إليه، ويستمع له وهو شهيد؛ أي: القلب.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٧٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٧٦).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٠٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٢٣٩)، والطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٧٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠٨) إلى ابن المنذر.

فقسم المنتفعين بالذكرى إلى قسمين: على ذي قلب يتذكر بـه ما عليه، ومستمع شهد القلب ما يسمعـه؛ فالواعظ والمستمع إذا كانا من أهل القلوب تمت سعادتهما.

وقد قال عمر بن عبـد العزيز رحمـه الله: إن الكـلام إذا خرج من القلب دخل القلب[1].

قال مجاهد في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ قال: لا يحدث نفسه بغيره؛ أي بغير ما يسمعه، وهـو شهيد؛ أي: شاهد بالقلب؛ أي: لما سمعه. رواه ابن جرير[2].

وقال محمد بن كعب في الآية: يستمع وقلبه شاهد، لا يكون قلبه مكاناً آخر. رواه ابن المنذر[3].

ففي الآية دليل على أن قصص القرآن لا ينتفع بـه إلا ذوو القلوب، وأولو الألباب من قارىء ومستمع، ومن قرأ بلسانـه، وقلبـه غافل عن تدبـر ما يقرأه، أو يسمع بأذنـه، وقلبـه غافل عمـا يسمعـه فهـو لما أن [. . . .][4] بما قرأ أو سمع أقرب من أن ينتفع.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[الحاقة: ١١]؛

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٨) ولفظه: لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٧٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٠٩).

(٤) كلمة غير واضحة في «م».

هي سفينة نوح عليه السلام ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٢].

قال أبو عمران الجوني رحمه الله تعالى: أذن عقلت عن الله. رواه ابن المنذر[١].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ في الآية: قال لي رسول ﷺ: «سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ»، فقال علي: ما سمعت من رسول الله شيئاً فنسيته. رواه سعيد بن منصور، وأبو نعيم في «المعرفة»[٢].

والأذن الواعية: هو الذي يعي الشيء فيحفظه، وينتفع به، ثم لا ينساه، ولا يغفل عنه، كحال علي ﷺ، ولذلك كان بابَ العلم كما روى الحاكم، وغيره من حديث جابر، وابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا مَدِيْنَةُ العِلْمِ، وِعَلِيٌّ بَابُهَا؛ فَمَنْ أَرَادَ العِلمَ فَليَأْتِ البَابَ»[٣].

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٨) إلى ابن المنذر.

(٢) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٨٨). قال الذهبي في «المنتقى» (ص: ٤٤٦): موضوع.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٦٣٩) عن جابر، و(٤٦٣٧) عن ابن عباس. وكذا رواه الترمذي (٣٧٢٣) بلفظ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وقال: غريب منكر. قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٥٠٠): هذا حديث ابتكره أبوالصلت الهروي عبد السلام بن صالح، وسرقه منه جماعة من الكذبة. ثم قال ـ بعد أن ذكر طرقه ـ: وفي الجملة فالحديث معضل، عن الأعمش، إنما يعرف بأبي الصلت، وكل من رواه إنما سرقه منه، وإن غيَّر إسناده وطريقه.

وحمله بعض الصوفية على العلم اللَّدُنِّيِّ[1]، ولذلك تنتهي معظم طرق الصوفية إلى سيدنا علي رضي الله عنه، وأكثرها من طريق الحسن البصري، ولقد كان من أبواب العلم اللَّدُنِّيِّ النافع.

ولقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب «قصر الأمل»، وابن حبان في «الثقات»، وأبو نعيم عن أبي عبيدة الناجي رحمه الله تعالى قال: دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال: مرحباً بكم وأهلاً، وحياكم الله بالسلام، وأدخلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم، وأيقنتم، فلا يكن حظكم من هذا الخير أن تسمعوه بهذه الأذن، وتخرجوه من هذه؛ فإنه من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، ولكن رفع له علم

---

(١) قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧٥): العلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ، وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل: هل خصكم رسول الله بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه. فهذا هو العلم اللدني الحقيقي.

وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما: فهو من لدن النفس والهوى والشيطان، فهو لدني لكن من لدن من! وإنما يعرف كون العلم لدنياً رحمانياً: بموافقته لما جاء به الرسول ﷺ عن ربه عز وجل، فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي، والمحكُّ هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ.

فشمر إليه؛ الوَحَاءَ الوَحَاءَ[1]، النجاء النجاء، على ما تعرجون أنتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً، وأكل كسرة، ولبس خرقاً، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة، حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[2].

ومعنى قوله: جعل العيش عيشاً واحداً؛ أي: لم يلتفت إلا إلى عيش واحد وهو عيش الآخرة؛ إذ لا عيش إلا عيش الآخرة، كما في الحديث.

وقوله: وأكل كسرة، ولبس خَلِقاً؛ أي: أكل ما وجد ولو كسرة، ولبس ما وجد ولو خَلِقاً؛ أي: لم يتقيد في طعام أو لباس بهوى نفسه، بل يكتفي بالميسور.

وقوله: ولزق بالأرض معناه: ترك السعي في طلب الدنيا، والتأنق في تحصيل ملاذها بحيث لا يهتم بشيء منها، بل يكون اهتمامه واجتهاده فيما خلق له من العبادة.

وبكى على خطيئته، وهرب من موجبات العقوبة، وابتغى الرحمة من الله تعالى من مظانها؛ ومن أهم مظانها البكاء على الخطيئة، والخوف من العقوبة.

---

(١) الوحاء: السرعة.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «قصر الأمل» (ص: ١٢١) واللفظ له، وابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٤).

قال الحسن: إن البكاء داع إلى الرحمة[1].

وقال أبو حازم رحمه الله: بلغنا أن البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة[2].

وقال محمد بن واسع رحمه الله: بلغنا أن الباكي مرحوم[3].

وقال الحسن رحمه الله: بلغنا أنَّ الباكي من خشية الله مرحوم يوم القيامة[4].

وقال فرقد السبخي: قرأت في بعض الكتب: قل للبكائين من خشية الله ﷻ: أبشروا؛ فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة إذا نزلت[5].

وقال رشدين[6] بن سعد عن بعض أصحابه: قرأت في بعض الكتب: قل للمريدين من عبادي فليجالسوا البكائين من خشيتي؛ لعلي أصيبهم برحمتي إذا أنا رحمت البكائين[7].

وقال الحسن: لو بكى عبد من خشية الله ﷻ لرحم من حوله ولو

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٤).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٣).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٦).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٨).

(٦) في «م»: «رشد».

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٧).

كانوا عشرين ألفاً[1].

وقال هو، وشهر بن حوشب رحمهما الله تعالى: لو أنَّ عبداً بكى في ملأ من الناس لرحموا ببكائه[2].

روى هذه الآثار ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء».

واعلم أنَّ البكاء النافع الداعي إلى الرحمة هو البكاء من خشية الله، ومحله القلب، وقد يكون الباعث عليه رؤية الآثار بالبصر، أو سماع الأخبار والعبر، أو تذكر الأحوال والفكر، وهو من أعمال أفضل أعضاء البشر، ولها رابع وهو اللسان، وقد يكون عمله باعثاً على البكاء أيضاً، وسلطانها القلب، والثلاثة وزراؤه ونصراؤه، فإذا صلحت هذه الأربعة عمرت مدينة إنسانيته، وقد نهى الله تعالى ما دون اللسان منها إلى [التلهي عن] ما خلق له، وعاتب أصحابها على [إيقافها][3] عن أدائها بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

روى البيهقي في «شعبه»، وغيره عن عبدالله بن جراد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الأَعْمَى مَنْ يَعْمَى بَصَرُهُ، وَلَكِنَّ الأَعْمَى مَنْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٠) عن الحسن، و(١٣) عن شهر ابن حوشب.

(٣) الكلمة غير واضحة في «م».

تَعْمَى بَصِيْرَتُهُ»[1].

وقد تبيَّن أن اللسان والسمع والبصر لا فائدة للإنسان فيها إلا إذا توافقت مع القلب الصالح، وإلا شارك فيها البهائم وصار من أهل النار.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[الأعراف: ١٧٩].

* * *

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٧٢).



فصل

أولـو الألبـاب من الأوليـاء والصالحين على قسمين: صديقون، وأبرار.

فأما الصديقون، فهم الذين لا يريدون من الله غيره، وسيأتي الكلام على أخلاقهم، وهم أشرف الأولياء، وأكمل الصالحين، وأعقل أولي الألباب.

وأمَّا الأبرار فهم الذين لا يريدون من غيره شيئاً، ولكن يريدونه، ويريدون منه ثوابه المعدَّ لهم في الآخرة، وهي إرادة محمودة لقولـه تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء: ١٩].

وذكر سبحانـه الأبرار، وما أعد لهم، ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٨].

وينبغي أن نذكر جملة من أخلاقهم وأعمالهم، وإن كانت داخلة في أخلاق الصالحين والأولياء وأعمالهم، أو هي هي؛ فإن العمل الصالح

والخلق الحسن إذا كان مضافاً إلى قوم ممدوحين كانت النفس أرغب فيه من هذه الحيثية، وإن كان هو في نفسه محبوباً وفيه مرغوباً.

وقد أثنى الله تعالى على قوم طلبوا الحشر مع الأبرار، وسماهم أولي الألباب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٩١] إلى قوله ـ حكاية عنهم ـ: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٣]؛ أي: مصاحبين لهم، معدودين في زمرتهم، وذلك يدل على أنهم كانوا معهم في الدنيا، ولو بالأعمال والمحبة.

ونقل القرطبي في «تفسيره» قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٢٧] عن مالك بن دينار رحمه الله قال: إنك أن تنقل الأحجار مع الأبرار، خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجّار، وأنشد: [من الطويل]

وَصاحِبْ خِيارَ النَّاسِ تَنْجُ مُسَلَّماً
وَصاحِبْ شِرارَ النَّاسِ يَوْماً فَتَنْدَما[1]

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن طلحة بن يحيى قال: كنت

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٧).

جالساً عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فدخل عليه عبد الأعلى بن هلال، فقال: أبقاك الله يا أمير المؤمنين ما دام البقاء خيراً لك، قال: قد فرغ من ذلك يا أبا النضر، ولكن قل: أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك مع الأبرار[1].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن إسماعيل بن عبيدالله: أنَّ أبا الدرداء ﷺ كان يقول: اللهم توفني مع الأبرار، ولا تبقني مع الأشرار[2].

وعن أنس ﷺ قال: كان بعضنا يدعو لبعض: جعل الله ﷻ عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل، ويصومون النهار، ليسوا بأَثَمَةٍ ولا فجار[3].

ورواه ابن السُّنِّي، ولفظه: كان أحدنا إذا دعا لأخيه فاجتهد قال: جعل الله عليك صلاة قوم أبرار يقومون الليل، ويصومون النهار، ليسوا بأَثَمَةٍ ولا فجار[4].

وروى أبو نعيم عن مغيرة قال: كنا إذا قلنا لعبد الرحمن بن أبي نعم: كيف أنت يا أبا الحكم؟ قال: إن نكن أبراراً فكرام أتقياء، وإن نكن فجاراً فلئام أشقياء[5].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٥٧).
(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٠).
(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤).
(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ١٦٥).
(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٦٩).

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: من ينصف الناس من نفسه، يعطى الظفر في أمره، والذل في الطاعة، أقرب إلى البر من التعزز في المعصية[1].

وقد أمرنا الله تعالى بالبر والتعاون عليه بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢].

قال القشيري ﷺ في الآية: البر فعل ما أمرت به، والتقوى ترك ما نهيت عنه[2].

وهو مروي عن الربيع بن أنس. أخرجه عبد بن حميد[3].

وأراد رحمه الله تعالى بهذا التفسير دفع المغايرة بين اللفظين، المستلزمة للتكرار، وإلا فإن التقوى في الأصل بمعنى الحذر، والبر هو الإحسان قولاً وعملاً ونية، والحذر من المعصية داخل فيه؛ فالتقوى من البر، والبر هو الإحسان؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[فصلت: ٣٣]؛ فالمحسنون هم الصالحون، وقد علمت محل التقوى بهم، وهم الأبرار ـ أيضاً ـ كما علمت.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[البقرة: ١٨٩]؛ أي: بر من أتقى.

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٨١).

(٢) انظر: «تفسير القشيري» (١/ ٢٤٧).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١١) إلى عبد بن حميد.

وفيه: أن الإحسان الصوري ليس معتداً به حتى يكون مقروناً بتقوى القلب، ولذلك جمع الله بينهما في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢].

واعلم أنَّ الله تعالى أمرنا في هذه الآية بالبر والتقوى، ولم يذكر ثوابهما فيها، وإنما ذكره في آيات أخر، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في هذه الآية: اتقوا فيما نهاهم الله عنه، وأحسنوا فيما أمرهم الله به.

وهذا أعم مما رواه عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال في الآية: اتقوا فيما حرم الله عليهم، وأحسنوا فيما افترض الله عليهم[1].

وهو موافق لما ذكره القشيري في الآية السابقة.

والمراد بهذه المعية معية الكَلأَة والحفظ، بحيث يكون العبد بالله في حركاته وسكناته، لا معية القدرة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]؛ فإنها قد تكون للإضلال والانتقام.

قال ممشاء الدينوري ﷺ: رأيت ملكاً من الملائكة يقول لي: من

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٦٤)، والطبري في «التفسير» (١٤/ ١٩٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٨٠) إلى سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم.

كان مع الله فهو هالك إلا رجلاً واحداً، قلت: ومن هو؟ قال: من كان الله تعالى معه.

وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

فمن تشبه بالأبرار والمحسنين كان الله تعالى معه بالكلأة والحفظ والمعونة؛ لأنه كان مع الله بالبر والحفظ لحقوقه، فكان الله له في سائر أموره جزاءً وفاقاً من جنس العمل ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦].

وقيل: ما جزاء من يحب إلا أن يُحب.

وقال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٩٣].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن سليم بن أخضر قال: أردت السفر إلى مكة، فأتيت ابن عون لأودعه، فقال: يا سليم! اتقِ الله، وعليك بالإحسان؛ فإن المحسن معانٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[النحل: ١٢٨][1].

وروى أبو نعيم عن عبد المعز بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: كنت عند أنس ﷺ إذ جاءه شيخ، فاستأذن عليه، فقام وتوكأ على عصاه من الكبر، فقال: يا أبا حمزة! لقد أعهدك بين ظهراني قوم ليسوا

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ٣٦٢).

كقوم أنت بين ظهرانيهم اليوم، قال: يا أخي! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1].

وفي كلامه إشارة إلى أن المحسن في حفظ الله ومعونتهِ، سواء كان في محسنين أو غيرهم، وسواء كان في زمان صالح، أو غير صالح، فلا يمنع كدر الزمان، وقلة الخير حفظ الله إياهم، ومعونته لهم، وإنهم لا يضامون كيف كانوا، ومتى كانوا.

وقال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[يونس: ٢٦].

روى ابن أبي شيبة، والدارقطني في «الرؤية»، وآخرون عن أبي بكر الصديق، وعن حذيفة، وابن مردويه عن علي بن أبي طالب، والدارقطني، والبيهقي، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وغيره عن ابن عباس، وابن أبي حاتم، واللالكائي في «السنة» عن ابن مسعود، والدارقطني عن قتادة، وعن الضحاك، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعن عامر بن سعد البجلي، وعن السدي، وعن أبي إسحاق السبيعي، وعن عبد الرحمن بن سابط: أنَّ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، و﴿وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]: النظر إلى وجه الله تعالى[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٥).

(٢) رواه الدارقطني في «رؤية الله» (ص: ١٥٥) عن أبي بكر الصديق ﷺ.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٠٦)، والدارقطني في «رؤية الله» =

وررواه الدارقطني عن أبي موسى، وعن أبي بن كعب، وعن أنس، واللالكائي، والبيهقي في «الاعتقاد»[1] عن كعب بن عجرة، وابن مردويه عن ابن عمر، وأبو الشيخ عن أبي هريرة، والدارقطني، وابن مردويه عن صهيب ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ[2].

وهو حديث صهيب عند مسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، وغيرهم: أنَّ رسول الله ﷺ تلا

= (ص: ١٥٧) عن حذيفة ﷺ.

وروراه الدارقطني في «رؤية الله» (ص: ٦٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١/ ٤٦١) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

وروراه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٢١٨) عن ابن عباس ﷺ.

وروراه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٤٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٥٩) عن ابن مسعود ﷺ.

وروراه الدارقطني في «رؤية الله» (ص: ١٦١ ـ ١٦٤) عن قتادة، وعن الضحاك، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعن عامر بن سعد البجلي، وعن السدي، وعن أبي إسحاق السبيعي، وعن عبد الرحمن بن سابط.

(١) في «م»: «الرؤية».

(٢) رواه الدارقطني في «رؤية الله» (ص: ٦٧) عن أبي موسى ﷺ، و(ص: ١٤٩) عن أبي بن كعب، و(ص: ٧٦) عن أنس ﷺ، وروراه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٥٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٢٤) عن كعب بن عجرة ﷺ، والدارقطني في «رؤية الله» (ص: ١٣٢) عن صهيب رضي الله تعالى عنهم.

هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦] قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوعِداً يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدخِلْنَا الجَنَّةَ، وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[النحل: ٣٠ ـ ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[هود: ١١٤ ـ ١١٥].

وهذه الآية تلويح بأن البر والإحسان يكفر الإساءات والفجرات، وأنَّ المحسن لا بد أن يُوفَّى أجره، إلا أن للثواب أجلاً، فهو يحتاج إلى الصبر على أمر الله تعالى، وبالصبر تمام البر والإحسان.

ومن الآيات الواردة في ثواب الأبرار ـ وهم أهل الإحسان بأعيانهم ـ

---

(١) رواه مسلم (١٨١)، والترمذي (٣١٠٥)، وابن ماجه (١٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٤١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٣]؛ أي: ينظرون إلى ما يسرهم، أو إلى الله تعالى، وهو موافق لما ذكره في جزاء المحسنين من تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى.

ثم قال ﷻ: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٤ ـ ٢٦]، وفيه إرشاد إلى مشاركة الأبرار في برهم لتحصل المشاركة في ثوابهم.

قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧ ـ ٢٨].

قال ابن عباس: تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، وممزوج لأصحاب اليمين. رواه عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي[1].

وقال ابن مسعود في قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾: عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين، ويشربها المقربون صرفاً. رواه ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٥٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤١٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١/ ٣٣٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٢) إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤١٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٢) إلى ابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وابن المنذر.

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: تسنيم: عين في عدنٍ يشرب بها المقربون صرفاً، وتجري تحتهم أسفل منهم إلى أصحاب اليمين، فيمزج بها أشربتهم كلها؛ الماء، والخمر، واللبن، والعسل، يطيب بها أشربتهم. رواه ابن المنذر[1].

وأصحاب اليمين هم الأبرار، والمقربون هم الصديقون، كما سيأتي، وهم أفاضل أهل الجنة، فلذلك كان شرابهم أفضل شراب الجنة.

قال عكرمة: التسنيم أفضل شراب أهل الجنة، ألم تسمع يقال للرجل: إنه لفي سنام من قومه؟ رواه عبد بن حميد[2].

وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٨]، وهم الذين اتقوا ربهم فبروه، وأطاعوه.

وفي قوله: ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ﴾ من التخصيص والتشريف ما لا يخفى.

والنزل: ما أُعِدَّ للنازل من طعام، أو شراب، أو صلة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٢) إلى ابن المنذر.

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥١) إلى عبد بن حميد.

﴿ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الإنسان: ٥ ـ ٢٠].

قال مجاهد: هو استئذان الملائكة عليهم لا يدخل عليهم إلا بإذن. رواه ابن جرير، والبيهقي، وغيرهما[١].

قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان: ٢١ ـ ٢٢].

قال قتادة: لقد شكر الله سعياً قليلاً. رواه عبد الرزاق، وابن جرير[٢].

أشار قتادة إلى أن البَرَّ مهما عمل في الدنيا من أعمال البر، فإنه قليل بالنسبة إلى ما يقابله من ثواب الآخرة، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، وهذا لأن الله تعالى من كرمهِ يقبل القليل، ويجازي عليه بالكثير.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[الواقعة: ٢٧]، فخَّم أمرهم، وعظم شأنهم، والمراد بهم الأبرار؛ لأنه قسَّمَ في هذه السورة إلى ثلاثة أقسام: السابقين وهم المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فوصف ما للمقربين، ثم وصف ما للأبرار بقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٢٢١)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١/ ٤١٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٣٩)، والطبري في «التفسير» (٢٩/ ٢٢٤).

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الواقعة: ٢٧ ـ ٣٩].

قال أبو بكرة ﷺ: هما جميعاً من هذه الأمة. رواه أبو داود الطيالسي، وغيره[1].

وأخرجه عبد الرزاق، وغيره عن ابن عباس ﷺ[2].

وإنَّما سمي الأبرار أصحاب اليمين لوقوعهم في اليمين من القبضتين؛ أي: المباركة.

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ: أن رسول ﷺ تلا هذه الآية: «﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[الواقعة: ٢٧]، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾[الواقعة: ٤١]، فقبض بيديه قبضتين، فقال: هَذِهِ فِي الجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَهَذِهِ فِي النَّارِ وَلا أُبَالِي»[3].

وروى هو، والبزار، والطبراني، والآجري في «الشريعة» عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ يومَ خَلَقَ

---

(١) رواه الطيالسي في «المسند» (٨٨٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٠): فيه البراء بن عبدالله الغنوي، قال ابن عدي: وهو أقرب عندي إلى الصدق منه إلى الضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن لم يسمع من معاذ.

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبَضَ مِنْ صُلْبِـهِ قَبضَتَيْنِ، فَوَقَعَ كُلُّ طَيِّبٍ فِي يَمِينِهِ، وَكُلُّ خَبِيْثٍ بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ: هَؤُلاءِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ وَلا أُبالِي، وَهَؤُلاءِ أَصْحَابُ النَّارِ وَلا أُبَالِي، ثُمَّ أَعَادَهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ، فَهُمْ يَنْسِلُونَ عَلى ذَلِكَ إِلى الآن»[1].

وروى الإمام مالك في «موطئه»، والإمام أحمد، والبخاري في «تاريخه»، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وآخرون عن مسلم ابن يسار الجهني رحمه الله: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ سُئِلَ عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الأعراف: ١٧٢] الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِيْنِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يعْمَلُون، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فقال الرجل: يا رسول الله! ففيم العمل؟ فقال: «إِنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوْتَ عَلى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ اللهُ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلى

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٣٠٣٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٧٥)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٧٥٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٦): رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه روح بن المسيب، قال ابن معين: صويلح، وضعفه غيره.

عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ اللهُ النَّارَ»[1].

وروي حديث القبضتين عن ابن عباس، وأبي أمامة، وهشام بن حكيم، وابن عمرو، وعبدالله بن أبي قتادة السلمي، وأبي الدرداء، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأبي هريرة، وأنس، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم[2].

والمقربون ـ وهم السابقون، والصديقون، والمصطفون الأخيار ـ خواص أصحاب اليمين والأبرار، إلا أنَّهم استخلصوا منهم، وخصُّوا، فتميزوا عنهم بهذه الأوصاف.

وأول البر التوفيق من الله تعالى إليه، وقد قيل في الحكم: التوفيق خير قائد[3].

فإذا استنارت القلوب بتوفيق الله تعالى، واستضاءت بالتصديق به، أبصرت، فأرسلت الجوارح في البر، كما قال أبو بكر محمد بن حامد الترمذي رحمه الله تعالى: إذا تمكنت الأنوار في السر، نطقت الجوارح بالبر. رواه السلمي في «طبقاته»[4].

---

(1) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٨)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٩٧)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٠).

(2) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/ ١٨٦).

(3) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٦١) من قول علي بن أبي طالب ﷺ.

(4) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢١٨).

وأعظم أخلاق الأبرار حسن الخلق؛ لما رواه مسلم، والترمذي عن النواس بن سَمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ [في] صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَيْهِ»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو نعيم عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، فجعلت أتخطى، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ، فقلت: دعوني [فدنوتُ[2] منه، فإنه من أَحَبِّ الناس إلي أن أَدْنُوَ منه. فقال لي: «ادْنُ، يا وَابِصَةُ!» فَدَنَوْتُ حتى مَسَّتْ ركبتي رُكْبَتَهُ. فقال: «يا وَابِصَةُ! أُخْبِرُكَ ما جِئْتَ تسألني عنه؟» فقلت: أخبرني يا رَسُولَ اللهِ!، قال: «جِئْتَ تسألني عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ»، قلت: نعم، قال: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ ثمَّ جَعَلَ يَنْكُتُ بها في صدري، وَيَقُولُ: «يا وَابِصَةُ! اسْتَفْتِ قلبَكَ، استفتِ نفسَكَ، الْبِرُّ ما اطْمَأَنَّ إليه الْقَلْبُ، وَاطْمَأَنَّتْ إليه النَّفْسُ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في الصَّدْرِ، وَتَرَدَّدَ في النَّفْسِ، وإن أَفْتَاكَ الناس وَأَفْتَوْكَ]»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩).

(٢) **من هنا سقط في النسخة الخطية للمؤلف والمرموز لها بـ «م»، والاستدراك من النسخة «ت»، وهو بمقدار عشر لوحات.**

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٤).

وروى الترمذي، والحاكم، والطبراني ـ بسندين جيدين ـ عن أبي عامر الأشعري ـ ويقال: المسكوني ـ رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! ما تمام البر؟

قال: «أَنْ تَعْمَلَ فِي السِّرِّ عَمَلَ العَلانِيَةِ»[1].

ومعناه: إخلاصُ القلب في سائر الأعمال.

وإليه الإشارة بقوله تعالى حكاية عن الأبرار: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[الإنسان: ٩].

وأعظم أعمال الأبرار: الصلاة.

ولذلك قال النبي ﷺ: «صَلاةٌ عَلى إِثْرِ صَلاةٍ لا لَغْوَ بَيْنَهُما كِتابٌ فِي عِلِّيِّينَ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه[2].

وكلُّ ما كان مكتوباً في علِّيِّين فهو من أعمال البر لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ١٨ ـ ٢١].

وروى ابن أبي شيبة عن مكحول رحمه الله تعالى بلاغاً: أن النبي ﷺ

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣١٧).
وراوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٢٠) عن أبي مالك الأشعري. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٠) ـ عن الحديثين ـ: رواه الطبراني وفيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف لم يتعمد الكذب.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٣)، وأبو داود (١٢٨٨).

قال: «مَنْ صَلَّى بَعْـدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَينِ قَبْـلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُتِبَتْ صَلاتُـهُ فِي عِلِّيِّينَ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» ـ بسند قريب ـ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى رَكْعَتَينِ قَبْلَ الفَجْرِ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى يُصَلِّيَ الفَجْرَ، كُتِبتْ صَلاتُهُ يَوْمَئِذٍ فِي صَلاةِ الأَبْرارِ، وَكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ»[2].

وفي «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنـه: أن النبي ﷺ قال لعائشة: «اهْجُرِي الْمَعـاصِيَ؛ فَإِنَّها خَيْـرُ الْهِجْـرَةِ، وَحافِـظِي عَلى الصَّلَواتِ؛ فَإِنَّها خَيْرُ البِـرِّ»[3].

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن أبي عمار رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا قامَ العَبْدُ فِي صَلاتِهِ ذُرَّ البِـرُّ عَلى رَأْسِهِ حَتَّى يَرْكَعَ، فَإِذا رَكَعَ ذُرَّتْ عَلَيـهِ الرَّحْمَـةُ حَتَّى يَسْجُدَ، وَالسَّاجِدُ يَسْجُدُ عَلى قَدَمَيْ اللَّهِ؛ فَلْيَسْأَلْ وَلْيَرْغَبْ».

والمراد بالبر هنا: الإحسان من الله تعالى المجازى بـه العبد على الصلاة التي هي أفضل البر، والقدم من الصفات الواردة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٩٣٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٦٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٤١): فيه القاسم أبو عبد الرحمن، وهو مختلف في الاحتجاج به.

(٣) رواه الطبـراني في «المعجم الأوسـط» (٤٠٧٧). قال الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (١/ ٣٠٢): فيه محمد بن يحيى بن يسار، وهو ضعيف.

وفيها المذهبان: التصديق مع التسليم(١).

والمراد: المبالغة في تقريب العبد إلى الله تعالى بالسجود لقوله ﷺ: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إذا كانَ ساجِداً»(٢).

وروى ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: كان الأبرار يتواصون بثلاث: سجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة(٣).

وروى الدارقطني في «الأفراد»، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أَبْوابِ البِرِّ الصَّدَقَةُ»(٤).

وهي شاملة لكل نفقة، وإذا كانت مما يحب العبد فهي أفضل.

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٩٢].

روى الإمامان؛ مالك وأحمد، والشيخان؛ البخاري، ومسلم، والنسائي، وغيرهم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله تعالى عنه أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله

---

(١) لم يذكر المذهب الثاني: ولعله: الإثبات مع التأويل.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ١٠١).

(٤) رواه الدارقطني في «الأفراد» كما في «أطراف الغرائب والأفراد» (٣/ ١٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٣٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١١٠): وفيه من لم أعرفه.

إليه بَيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذخرها عند الله؛ فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «ذاكَ مالٌ رابحٌ، ذاكَ مالٌ رابحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وَإِنِّي أَرى أَنْ تَجْعَلَها فِي الأَقْرَبِينَ».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[1].

وروى ابن جرير، وابن المنذر، والثعلبي عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، فدعا بها عمر، فأعجبته، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]، فأعتقها عمر[2].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤١)، والبخاري (١٣٩٢)، ومسلم (٩٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٦٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٣٤٧)، والثعلبي في «التفسير» (٣/ ١١٠).

وروى البـزار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حضرتني هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] فذكرت ما [أ]عطاني الله، فلم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة ـ جارية لي رومية ـ فقلت: هي حـرة لوجـه الله تعـالى، فلو أني أعـود في شيء جعلتُـه لله لنكحتها، فأنكحها نافعاً(١).

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قرأ ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وهو يصلي، فأتى على هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]، وأعتق جارية له وهو يصلي؛ أشار إليها بيده(٢).

و[روى] ابن المنـذر عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يشتري السُّكر، فيتصدق به، فنقول له: [لو] اشتريت لهم بثمنه طعاماً كان أنفع لهم من هذا.

فيقول: إني أعرف الذي تقولون، ولكني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمـران: ٩٢]، [وابـن عمـر يحـب السكر](٣).

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٦): رواه البزار وفيه من لم أعرفه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهـد» (ص: ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٠٤).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٦٢).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الربيع بن خُثيم رحمه الله تعالى: أن سائلاً وقف ببابه، فقال: أطعمني سكراً.

فقالوا: ما يصنع هذا بسكر؟ نطعمه خبزاً أنفع له.

قال: ويْحَكُم! أطعموه سُكَّراً؛ فإن الربيع يُحِبُّ السكر[1].

وعنه أيضاً: أن سائلاً جاءه في ليلة بردة، فخرج إليه، فرآه كأنه مقرور، فقال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]، فنزع برتشاً له، فأعطاه إياه[2].

والنفقة في الآية شاملة الصدقة على المحتاجين وعلى غيرهم، وعلى الأقارب وعلى غيرهم، وعلى الأرقاء وعلى غيرهم، وعلى الجيران وعلى غيرهم، ثم هي على الأقارب والجيران والمحتاجين أفضل، وفي حديث أنس[3] إشارة إليه.

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن بشر بن الحارث أنه قال: ليس شيء من أعمال البر أحبَّ إليَّ من السخاء، ولا أبغضَ إليَّ من الضيق وسوء الخلق[4].

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١١٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١١١).

(٣) تقدم قريباً.

(٤) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩١٣).

والكلام الثاني منقطع عن الكلام الأول؛ فليس الضيق وسوء الخلق من أعمال البر في شيء.

وتقديره: ولا من أعمال الإثم شيء أبغض إلي من الضيق وسوء الخلق.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾[آل عمران: ٩٢]؛ فقال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، ومسروق، وعمرو بن ميمون، والسدي: البر: الجنة[1].

والتقدير على هذا القول: لن تنالوا ثواب البر؛ أي: لن تصلوا إلى الجنة، وتعطَوها حتى تنفقوا مما تحبونه؛ أي: تؤدوا زكاة أموالكم والحقوق التي فيها عليكم من أحبها إليكم.

وقال عطية العوفي في البر: الطاعة.

وقيل: العمل الصالح.

وقال الحسن: البر: أن تكونوا أبرارا[2].

هذه الأقوال الأربعة متقاربة المعنى.

قلت: ولقد بين الله تعالى البر، وليس بعد بيانه بيان؛ فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٣٤٧) عن عمرو بن ميمون، والسدي.

ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٠٣) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٠٩).

﴿بِٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٧٧]؛ أي: برُّ من آمنَ بالله؛ كما يقال: الجود حاتم؛ أي: جود حاتم، والفصاحة قيس.

أو التقدير: ولكن ذو بر من آمن بالله، كما في قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٦٣]؛ أي: ذوو درجات عند الله.

والأول أبلغ وأحسن؛ أي: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾[البقرة: ١٧٧] برُّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾[البقرة: ١٧٧]؛ أي: صدق ﴿بِٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٧٧]، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧].

وبهذه الآية يُستدلُّ لما قاله محمد بن أحمد بن حمدون الفراء رحمه الله تعالى حين قيل له: مَن الأبرار؟ فقال: هم المتقون[١].

وقال قتادة: ذُكر لنا: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البر، فأنزل الله عليه هذه الآية. رواه ابن جرير، وغيره[٢].

وفي «مصنف ابن أبي شيبة» عن أبي ميسرة رحمه الله تعالى قال: من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾[البقرة: ١٧٧] الآية[٣].

---

(١) رواه السلمي في «التفسير» (ص: ٣٧٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٩٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٠٥).

وفي «مصنف عبد الرزاق» عن أبي ذر ﷺ: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقرأ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾[البقرة: ١٧٧] الآية[١].

وروى ابن أبي حاتم، والحاكم ـ وصححه ـ عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فتلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾[البقرة: ١٧٧] حتى فرغ منها.

ثم سأله فتلاها، وقال: «وَإِذا عَمِلْتَ حَسَنَةً أَحَبَّها قَلْبُكَ، وَإِذا عَمِلْتَ سَيِّئَةً أَبْغَضَها قَلْبُكَ»[٢]؛ يعني: إن ذلك من علم الإيمان.

ومن تمام البر أن تحب الحسنة وتسر بها، وتبغض السيئة وتساءَ بها، وتستغفر الله منها.

وفيه سعة عظيمة: أن ارتكاب السيئات لا يطعن في الإيمان ولا في البر ما دام العبد يساء بها.

قال ﷺ: «إذا أَسَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَساءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ».
رواه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم ـ وصححاه ـ والطبراني في «الكبير»، والضياء المقدسي في «المختارة» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١١٠). قال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٥١): رجاله ثقات.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٧٧).

(٣) تقدم تخريجه.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البقرة: ١٧٧]؛ أي: على حب المال. رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى[1].

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البقرة: ١٧٧]: يعطي وهو صحيح شحيح، يأمل العيش ويخاف الفقر. رواه ابن المبارك في «الزهد»، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والمفسرون، وصححه الحاكم موقوفاً ومرفوعاً[2].

ويؤيده ما رواه الشيخان، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَتَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَأْمَلُ البَقاءَ وَتَخْشَى الفَقْرَ، وَلا تُمْهِلَ حَتَّى إذا [بَلَغَتِ] الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلانٍ كَذا، لِفُلانٍ كَذا؛ ألا وَقَدْ كانَ لِفُلانٍ»[3].

قلت: وفي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البقرة: ١٧٧]؛ يعني: المال: إشارةٌ إلى أن محبة المال لا تناقض البر، ولا تُخرج العبد عن كونه بارّاً إلا إذا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٨٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٦٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٥٣)، والطبري في «التفسير» (٢/ ٩٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٧٨) موقوفاً.

ورواه مرفوعاً ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣١٢) وأعله بسلام بن سليمان، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٦) من طريق سلام أيضاً.

(٣) رواه البخاري (١٣٥٣)، ومسلم (١٠٣٢)، وأبو داود (٢٨٦٥)، ورواه النسائي (٣٦١١).

[منعه][1] حب المال عن إنفاقه فيما يجب عليه كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر: ١٧ - ٢٠].

قال ابن عباس، وقتادة: أي: شديداً. رواهما ابن جرير[2].

وقال الحسن في قوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾[الفجر: ١٩]: من طيب، أو خبيث.

وفي قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر: ٢٠]: فاحشاً. رواه ابن أبي حاتم[3].

وعليه يحمل حديث الحسن مرسلاً: «حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ». رواه البيهقي في «الشعب»[4].

ويحتمل أن يكون معناه: أول كل خطيئة، أو: مبدؤها.

وروى الطبراني - بإسناد حسن - عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أُشْرِبَ حُبَّ الدُّنْيا الْتاطَ مِنْها بِثَلاثٍ: شَقاءٍ لا يَنْفَدُ عَناؤُهُ، وَحِرْصٍ لا يَبْلُغُ غِناهُ، وَأَمَلٍ لا يَبْلُغُ مُنْتَهاهُ»[5].

وأما قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان: ٨]؛ فقال مجاهد:

---

(١) كلمة غير واضحة في «ت».

(٢) رواهما الطبري في «التفسير» (٣٠/ ١٨٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٢٨).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٢٨). وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٠٥).

وهم يشتهونـه. رواه البيهقي في «شعبه»، وغيره، وفهم ذلك غيره من المفسرين[1].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن أم الأسود سُرِّيـةِ الربيع بن خُثيم قالت: كان الربيع يعجبه السكر يأكله، فإذا جاءه السائل ناوله، فقلت: ما يصنع بالسكر؟ الخبز خير منه.

فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان: ٨][2].

وعنده أنه يجوز أن يكون الضمير في قـولـه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان: ٨] عائـداً إلى اسم الله تـعـالـى لتقدمـه في قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان: ٦]؛ أي: يطعـمـون الطـعـام لأجـل محبـة الله تـعـالـى ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[الإنسان: ٨ ـ ٩].

قال مجاهد: لم يقل القوم ذلك حين أطعموهم، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب فيه راغب. رواه البيهقي، وغيره[3].

وروى إسحاق الختلي في كتاب «الديباج» عن ثور بن يزيد قال: مكتوب في بعض الكتب: القلب المحـب لله يحـب النَّصَب لله[4]؛ فلا

---

(١) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٢٠٩).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٨٨) وقد تقدم نحوه قريباً.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمـان» (٦٨٩٧)، وكذا الطبـري في «التفسيـر» (٢٩/ ٢١١).

(٤) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٤).

تظن يا ابن آدم أن قدرك رفعه البر بغير مشقة.

وروى ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» عن داود الطائي رحمه الله تعالى قال: البر همة التقي[1]؛ ولو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته يوماً نيته إلى أصله[2].

وقال ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]: لن تصلوا إلى القربة وأنتم متعلقون بحظوظ أنفسكم[3].

ويجمع بينه وبين كلام الطائي بأنه في حال تعلق قلبه بالحظوظ لا بر له، غير أن لقلبه تعلقاً بربه في أصل الفطرة، فإذا لاحظته عين العناية تحركت دواعي الإيمان من قلبه فردته إلى أصل فطرته، كفرت ذنوبه فظهرت حظوظه، فإن غلب عليه ذلك فهو بَرٌّ، وإن استقام عليه فهو صِدِّيق.

وأقول: إنما كان نيل البر بإخراج بعض المحاب وإنفاقها لأن الإيمان عبارة عن التصديق بالله، وبربوبيته وألوهيته، ولا يتم ذلك إلا بمحبته بدليل أن العبد لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما في الحديث الصحيح[4]؛ فالمؤمن يدعي المحبة بإيمانه لأنها من لوازم

---

(١) في «ت»: «التقوى» بدل «التقي».

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٣).

(٣) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٠٧).

(٤) تقدم تخريجه.

الإيمان، فلا يبر في دعواه إلا بإخراج بعض محابه من قلبه لأجل الله تعالى.

وعليه: فالبر في الآية بمعنى الصديق، كما يقال: بَرٌّ في يمينه؛ أي: ذا صدق.

ويظهر حينئذ حبه تسمية كل طاعة بر لأنها تظهر بر صاحبها؛ أي: صدقه في دعواه الإيمان والمحبة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء» عن مضر رحمه الله تعالى قال: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبدالله، فقال رجل من المار: [من الكامل]

ما لِلْمُحِبِّ سِوى إرادَةِ حِبِّهِ ... إِنَّ الْمُحِبَّ بِكُلِّ خَيْرٍ يَضْرَعُ[1]

قال: فبكى مسلم حتى خشيت أن يموت.

وقوله: سوى إرادة حِبِّه؛ أي: ما لَهُ سوى مراد حِبِّه وإن خالف مراد نفسه كما قيل: [من الوافر]

أُرِيدُ وِصالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي ... فَأَتْرُكُ ما يُرِيدُ لِما يُرِيدُ[2]

---

(١) ذكر البيت دون القصة ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٤٦).

(٢) انظر: «تفسير القشيري» (١/ ١٢٢).

فهو أبداً متضرع إلى الله، متوسل إليه بكل عمل صالح طلباً لرضى مولاه كما قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨].

فالأبرار هم المريدون لوجه الله تعالى، ولَمَّا أرادوا وجهه سبحانه وتعالى دون غيره عوضهم عما [أ]عرضوا عنه في الدنيا لوجهه بما عنده في الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٨].

[. . .][1] بعباده قوله: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢].

وأتى بـِ: (من) التبعيضية؛ أي: بعض ما تحبون.

ولو قال: حتى تنفقوا ما تحبون، لكان الأمر في غاية الشدة، فما أنفقوه أنفقوه لأمره، وما أمسكوه أمسكوه للقيام بأمره؛ فإنهم وما يملكون ويحبون لله تعالى، وتصرفهم فيما بأيديهم للخلافة عنه كما قال ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد: ٧].

والمحققون من العارفين يقولون: كل محبوب لنا هو المراد إنفاقه منا؛ فمنهم من خرج عن كل محبوباته، واقتصر على حاجته والضرورة، كما فعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه حين تصدق بكل ماله لله تعالى، وكذلك فعل كثير من المهاجرين كأهل الصُّفَّة رضي الله تعالى عنهم.

ومنهم من عمد إلى أحب أمواله إليه، فخرج عنه لله تعالى كما فعل

---

(١) غير واضح في «ت» بمقدار أربع كلمات.

عمر، وابنه، وأبو طلحة فيما نقلناه عنهم آنفاً.

ومنهم من فهم أن المراد بالبعض المراد إنفاقه من المحبوبات هو نفس العبد المنفق، ومعنى إنفاقها: بذلها في طاعة الله تعالى في كل أحوالها وأوقاتها، وإذا خرجت عن نفسك [. . . .][1] ما كان لها صار تبعاً لها لأن العبد وماله لسيده.

ولذلك قال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: بذل الْمُهَج يصل العبد إلى بر حبيبه وقُرب مولاه، ثم قرأ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢][2].

وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه: لن تنالوا محبة الله حتى تسخوا بأنفسكم لله[3].

وقال يحيى العلوي رحمه الله تعالى: أحب الأشياء إليك روحك؛ فاجعل حياتك نفقة عليك لكي تنال برَّ الله لك[4]. نقل هذه النصوص السلمي في «حقائقه».

وقد قلت:

قمت من الأبوابِ أَقْصِدُ سادَتِي
وَجِئْتُ إِلَيْهِمْ وافِياً بِأمانَتِي

---

(١) غير واضح في «ت» بمقدار كلمتين.
(٢) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٠٧).
(٣) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٠٨).
(٤) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٠٧).

[. . . . .] وَقَـــالَ

وحَـــالِ وقـــالِ وَافتِقـــارِ وفـــاقَتِي

وَمِـــنْ بَعْـــدِها وافَيْـــتُ بَـيْنَ أَيْـــدِيهِمُ

بِرُوحِـي كَمـا شـاؤُوا عَلـى كُـلِّ حالَـةِ

فَـإِنْ يَقْبَلُـوا مِنِّـي فَمِـنْ بَعْـضِ فَضْلِهِمْ

وَإِلاَّ فَمـــا قَـــدْرِي وَقَـــدْرُ بِـــضاعَتِي

عَلى أَنَّها فِي الأَصْلِ مِنْ فَيْضِ جُـودِهِمْ

بِهـا أَنْعَمُـوا مِـنْ قَبْـلُ قَبْـلَ البِـدايَةِ

فَلا أَعِـزُّ وَإِن عـادَتْ إِلَـيْهِمُ وَإِنْ رَضُـوا

إِلَـــيْهِمْ مَـــصِيراً مِـــنْ عِنْـــدِ النِّهايَـــةِ

رُدَّتْ أَمانَـــــاتٌ لِلْكِـــــرامِ [. . . .]

قِيامـــاً بِطاعـــاتِ لَهُـــمْ وَعِبَـــادَتِي

وَجَـائِزَتِي مِـنْهُمْ رِضَـاهُمُ وَحَيْثُمـا

رَضُـونِي فَيـا فَـوْزِي بِهِـمْ وَسَـعادَتِي

إِلَهِـي أَعِـذْنِي مِـنْ سِـواكَ فَـإِنَّنِي

أَرَدْتُـكَ قُلْـتُ يـا رَبِّ فَحَقِّـقْ إِرادَتِـي

وروى الطبراني في «الأوسط» ـ بسند صحيح ـ عن أنس ﷺ قال : قال رسـول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِـهِ، فَأَعِـدُّوا

لِلْمَسائِلِ جَواباً».

قالوا: وما جوابها؟

قال: «أَعْمالُ البِرِّ»[1].

وصدق ﷺ؛ فإن الأعمال التي يجاب بها الجواب الذي يخلص المجيب من العهدة في كل حال يسأل عنه من الأحوال المشار إليها بقوله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدما عَبْدٍ حَتَّى [يُسْأَلَ] عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمرِهِ فِيما أَفْناهُ، وَعَنْ عَمَلِهِ فِيما فَعَلَ، وَعَنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيما أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيما أَبْلاهُ». رواه الترمذي ـ وصححه ـ عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه[2].

وروى البزار، والطبراني ـ بإسناد صحيح ـ عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدما عَبْدٍ يَومَ القِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصالٍ: عَنْ عُمرِهِ فِيما أَفْناهُ، وَعَنْ شَبابِهِ فِيما أَبْلاهُ، وَعَنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيما أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ ماذا عَمِلَ فِيهِ»[3].

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٥٧٦). وحسن الحافظ إسناده في «فتح الباري» (١٣/ ١١٣).

(2) رواه الترمذي (٢٤١٧) وصححه.

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٦): رواه الطبراني والبزار بنحوه، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان.

قال: «لا تزُولُ قَدما عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِ رَبِّهِ يَومَ القِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمرِهِ فِيما أَفْناهُ، وَعَنْ شَبابِـهِ فِيما أَبْلاهُ، وَعَنْ مالِـهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيما أَنْفَقَهُ، وَماذا عَمِلَ فِيما عَلِمَ»[1].

عدَّها في حديث ابن مسعود خمساً لأنه جعل في المال مسألتين، وجعلها خصلة واحدة في حديث أبي برزة، ومعاذ باعتبار أن المسؤول عنه المال، وهو واحـد، والمسؤول عنـه في الخصال كلها؛ أي: فيما أفنى عمره وأبلى شبابـه من الأعمال، ومن كسبه المال وإنفاقـه، وهما من الأعمال، ولذلك سُئل عن العلم: هل عمل به أو لا؟

وقوله في حديث أبي برزة: «فِيما فَعَلَ» معناه: هل فعـل ما فعـل بعلم أو بجهل؟

فلا ينفعه في كل ذلك إلا أن يجيب بأعمال البر، ولا تكون أعمال برٍ إلا بالإخلاص والصدق فيها.

وقد سبق في الآية المشار إليها سابقاً من أعمال البر أمهاتها.

ـ **ومنها**: تلاوة القرآن ـ وهي من جملة الصلاة الْمُثْنَى بإقامتها على الأبرار في الآية المتقدمة ـ وكتابته.

قـــال الله تعـــالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦) وقال: حديث غريب لا يعرف إلا من حديث الحسن ابن قيس، وحسين يضعف في الحديث من قبل حفظه.

قال قتادة: هم القراء. رواه ابن المنذر.

وروى هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿سَفَرَةٍ﴾[عبس: ١٥]؛ قال: بالنبطية؛ القراء[١].

ورويا عنه أنه قال: سفرة: كَتَبَة[٢].

وروى عبد الرزاق مثله عن قتادة[٣].

ورواه الخطيب في «تاريخه» عن عطاء بن أبي رباح[٤].

وروى الإمام أحمد، والستة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْماهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ»[٥].

وروى الطبراني في «الصغير» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ؛ يُحِلُّ حَلالَهُ، وَيُحَرِّمُ حَرامَهُ، حَرَّمَ اللهُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ على النَّارِ، وَجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الكِرامِ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤١٨).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٥٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٤٨)، وكذا الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٥٣).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٨٦).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٩٨)، والبخاري (٤٦٥٣)، ومسلم (٧٩٨)، وأبو داود (١٤٥٤)، والترمذي (٢٩٠٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٤٥)، وابن ماجه (٣٧٧٩).

البَرَرَةِ؛ حَتَّى إِذا كانَ يَومُ القِيامَةِ كانَ القُرآنُ حُجَّةً لَهُ»[1].

وفي «الأوسط» عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قلت للنبي ﷺ: متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما سيدا أعمال أهل البر؟

قال: «إِذا أَصابَكُمْ ما أَصابَ بَنِي إِسْرائِيلَ».

قلت: يا رسول الله! وما أصاب بني إسرائيل؟

قال: «إِذا داهَنَ خِيارُكُمْ فُجّارَكُمْ، وَصارَ الفِقْهُ فِي شِرارِكُمْ، وَصارَ المُلْكُ فِي صِغارِكُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَلْبَسُكُمْ[2] فِتْنَةٌ تَكُرُّونَ وَيُكَرُّ عَلَيْكُمْ»[3].

وعنه ﷺ أنه إذا أصاب هذه الأمة هذا الأمر سقط عنهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب ما يترتب عليه من الضرر حينئذ، ولا يبقى منه مطلوباً حينئذ إلا إنكار القلب؛ فإنه لا يسقط عن العبد أصلاً؛ إذ لا ضرر عليه فيه.

وروى ابن أبي شيبة عن عبيد بن عمير رحمه الله تعالى قال: من

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١١٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٠): فيه خليد بن دعلج ضعفه أحمد ويحيى والنسائي، وقال أبو حاتم: صالح ليس بالمتين، وقال ابن عدي: عامة حديثه تابعه عليه غيره.

(٢) في «ت»: «يكبكم».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٦): فيه عمار بن سيف وثقه العجلي وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف.

صِدق الإيمان وبرِّه: إسباغ الوضوء في المكاره، ومن صدق الإيمان وبره: أن يخلو الرجل بالمرأة الأجنبية فيدعها؛ لا يدعها إلا لله[1].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن محمد بن يزيد قال: قرأت في بعض الكتب: قيل للذين يتظامؤون ويتجوعون للبر: أولئك الذين يأوون في حظيرة القدس عندي[2].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والنسائي عن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيامُ فِي السَّفَرِ»[3].

وروى أبو نعيم عن عروة بن رويم رحمه الله تعالى قال: من ركع ركعتي الفجر، ثم صلى صلاة الصبح في جماعة، كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار، وكتب يومئذ في وفد المتقين[4].

وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فِي قَطِيعَةِ رَحِمٍ أَوْ فِيما لا يَصْلُحُ، فَبِرُّهُ [أَنْ] لا يُتِمَّ عَلى ذَلِكَ»[5].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٩٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٥٢)، والبخاري (١٨٤٤)، ومسلم (١١١٥)، وأبو داود (٢٤٠٧)، والنسائي (٢٢٥٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢٢).

(٥) رواه ابن ماجه (٢١١٠). وفي سنده حارثة بن أبي الرجال. قال الحافظ في «تقريب التهذيب» (ص: ١٤٩): ضعيف.

وروى الإمامان؛ مالك، وأحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن عـدي بن حـاتم رضي الله تعـالى عنـه، والإمـام أحمـد، ومسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلى يَمِينٍ، فَرَأى غَيْرَها خَيْراً مِنْها، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْـرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»[1].

وروى الأصبهاني، وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: البر شيء هين؛ وجه طليق، وكلام لين[2].

وزاد بعض الأدباء قبل هذا الكلام «بَنيَّ» مضعَّف «بُنيَّ»، فصار بيتاً منظوماً من بحر الرجز.

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟

قال: «الصَّلاةُ عَلى وَقْتِها».

قلت: ثم أي؟

قال: «بِرُّ الوالِدَينِ».

قلت: ثم أي؟

---

(١) تقدم تخريجه عن أبي هريرة ﷺ، ورواه الطيالسي في «المسند» (١٠٢٧)، والإمام أحمـد في «المسنـد» (٤/ ٢٥٦)، ومسلم (١٦٥١)، وابن ماجـه (٢١٠٨) عن عدي بن حاتم ﷺ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٨٠)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٥٩) كلهم عن ابن عمر ﷺ.

قال: «الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1].

قدَّم برَّ الوالدين على الجهاد، ومحله إذا كانا مسلمين.

ورويا عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أَحَيٌّ والِداكَ؟».

قال: نعم.

قال: «فَفِيهِما [فَجاهِدْ]»[2].

يا مَنْ لَهُ والِدَةٌ وَوالِدْ ... مَتَى تُجاهِدْ فِيهِما تُجاهِدْ
فَإِنَّ مَنْ يَبَرَّ والِدَيهِ أَوْ ... مَنْ كانَ مِنْهُما كَمَنْ يُجاهِدْ
رَوى البُخارِي وَمُسْلِمٌ ... عَنِ النَّبِيِّ هَذا وَنِعْمَ الشَّاهِدْ

وروى الإمام أحمد ـ بسند حسن ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمرِهِ، وَيُزادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[3].

وروى أبو يعلى، والطبراني، والحاكم ـ وصححه ـ عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَرَّ وَالِدَيهِ طُوبَى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٢)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٦)، وكذا العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٨٩) وأعله بميمون بن سياه، ثم قال: وهذا يروى من غير هذا الوجه بإسناد صالح.

لَهُ، زادَ اللهُ فِي عُمرِهِ»[1].

ومعنى الزيادة في العمر وفي الرزق: أن يكون فيهما بركة بأن يصرف العمر في الطاعة، ويستعان بالرزق عليها؛ فإنَّ من صرف معظم عمره في المعصية أو في البطالة، واستعان برزقه على غير الطاعة، ظهر النقصان في عمره ورزقه.

وروى الترمذي ـ وحسنه ـ عن سلمان رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَرُدُّ القَضاءَ إِلاَّ الدُّعاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي العُمرِ إِلاَّ البِرُّ»[2].

ويحتمل أن يريد بالبر برَّ الوالدين، فتكون الألف واللام للعهد، ويؤيده حديث معاذ بن أنس.

ويُحتمل أن يريد به مطلق البر، وهو الإحسان مطلقاً، ويؤيده إذا فسرنا الزيادة في العمر بالطاعة، وهي: البرُّ بعينه، فالعمر المصروف في الطاعة أزيدُ من قدره المصروف معظمه، أو بعضه في المعصية أو في الطاعة.

وفيه تأويل آخر: أن يكون سبق في قضاء الله تعالى أن هذا العبد إن

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٤٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٧): فيه زبان بن فائد، وثقه أبو حاتم، وضعفه غيره، وبقية رجال أبي يعلى ثقات.

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٩) وحسنه.

برَّ كان عمره كذا، وإلا كان كذا دون ذلك، وكذلك يكون القضاء مشروطاً بترك الدعاء.

وسبق في القضاء أنه إن دعا رُدَّ عنه القضاء.

وروى الطبراني ـ بإسناد حسن ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وهو وغيره عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ قال: «بِرُّوا آباءكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْناؤُكُمْ، وَعفُّوا تَعِفَّ نِساؤُكُمْ»(١).

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ [قال]: «عفُّوا عَنْ نِساءِ النَّاسِ تَعفَّ نِساؤُكُمْ، وَبِرُّوا آباءكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْناؤُكُمْ»(٢).

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ وَلَدٍ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدَيْهِ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةً مَبْرُورَةً».

قالوا: وإن نظر كل يوم مئة نظرة؟

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٠٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٨): رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٩٥) عن عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٩).

قال: «نَعَمْ؛ اللهُ أَكْبَرُ وَأَطْيَبُ»[1].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نَظَرَ الوالِدُ إِلَى وَلَدِهِ فَسُرَّ بِهِ، كانَ لِلْوَلَدِ عِتْقُ نَسَمَةٍ».

قيل: يا رسول الله! وإن نظر ستين وثلاثمئة نظرة؟

قال: «اللهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ». أخرجه الطبراني في «الكبير»[2].

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنَوْمُكَ عَلَى السَّرِيرِ بِرّاً بِوالِدَيكَ، فَيَضْحَكانِ، وَيَضْحَكانِ لَكَ، أَفْضَلُ مِنْ جِهادِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالسَّيْفِ»[3].

وروى هو والحاكم ـ وصححه ـ عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟

فقال رسول الله ﷺ: «أَلَكَ والِدانِ؟».

قال: لا.

قال: «أَلَكَ خالَةٌ؟».

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٠٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٥): إسناده حسن، فيه إبراهيم بن أعين، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٣٦) وقال: هذا غير قوي، ولمتنه شواهد.

قال: نعم.

قال: «فَبِرَّها إِذَن»[1].

وروى مسلم عن عبدالله بن دينـار، عن عبدالله بن عمـر ﵄: أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبدالله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه.

قال ابن دينار، فقلنـا: لـه: أصلحـك الله! إنهم الأعـراب، وهـم يرضون باليسير.

فقال ابن عمر: إن هذا [أبا] هذا كان وداً لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَبَرَّ البِـرِّ صِلَةُ الوَلَـدِ أَهْلِ وِدِّ أَبِـيهِ»[2].

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن أبي بردة قال: قدمت المدينة، فأتاني عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، فقال: تدري لم أتيتك؟

قلت: لا.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوانَ أَبِـيهِ [بعده]»؛ وإنـه كان بين أبي عمَر وبين أبيك إخـاءٌ،

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمـان» (٧٨٦٤)، والحـاكم في «المستـدرك» (٧٢٦١)، وكـذا الإمـام أحـمـد في «المسنـد» (٤٦٢٤)، وابـن حبـان في «صحيحه» (٤٣٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٢).

فأحببت أن أصل ذلك[1].

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: والذي بعث محمداً ﷺ! أُنزل في كتاب الله: لا تقطع من كان يصل أباك؛ فيطفىء بذلك نورك[2].

وروى الحكيم الترمذي، وابن أبي الدنيا، والبيهقي عن محمد بن النعمان ـ معضلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَنْ زارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِما فِي كُلِّ جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ، وَكُتِبَ بَرّاً»[3].

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[4].

وروى ابن قانع في «معجمه» عن أبي سيد مالك بن زرارة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «اسْتِغْفارُ الوَلَدِ لأَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ البِرِّ»[5].

قلت: وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

---

(1) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٧٥)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (٥٦٦٩).

(2) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢).

(3) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٠١).

(4) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١١٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٠): فيه عبد الكريم أبو أمية، وهو ضعيف.

(5) رواه ابن قانع في «معجمه» (٣/ ٣٧).

﴿صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٤].

وفي قوله: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾[الإسراء: ٢٤] إشارةٌ إلى أن البـر والإحسان إلى الوالدين شكراً لتربيتهما إياه، ولا شك أن من البرِّ شكر الصنيعة.

روى أبو داود عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن المهاجرين قالوا: يا رسول [الله]! ذهب الأنصار بالأجر كله.

قال: «لا؛ ما دَعَوْتُمْ لَهُمْ، [وَ]أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[1]؛ أي: فأنتم كذلك تشاركونهم في الأجر.

فالأبوان كانا يحسنان إلى الولد ويرحمانه، ويسألان الله لـه الخير والرحمة، فأمره الله بالإحسان إليهما والدعاء بالرحمة لهما جزاءً.

وكذلك كل محسن، فجزاؤه الإحسان والبر.

وروى أبو داود، وابن ماجه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله! هل يبقى من أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟

فقال: «نَعَمْ؛ الصَّلاةُ عَلَيْهِما، وَالاسْتِغْفارُ لَهُما، وَإِيفاءُ عَهْـدِهِما مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوْصَلُ إِلاَّ بِهِما، وَإِكْرامُ صَدِيقِهِما»[2].

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، وزاد في آخره: قال الرجـل:

---

(١) رواه أبو داود (٤٨١٢)، وكذا الترمذي (٢٤٨٧) وقال: صحيح حسن غريب.

(٢) رواه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤).

ما أكثر هذا وأطيبه!

قال: «فَاعْمَلْ بِهِ»[1].

وروى البيهقي، والأصبهاني عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَمُوتُ والِداه أَوْ أَحَدُهُما وَإِنَّهُ لَهُما لَعَاقٌّ، فَلا يَزالُ يَدْعو لَهُما وَيَسْتَغْفِرُ لَهُما حَتَّى يَكْتُبَهُ اللهُ بارًّا»[2].

والبيهقي عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: بلغني أن من عق والديه في حياتهما، ثم قضى ديناً كان عليهما، أو استغفر لهما، ولم يستسب لهما، كتب باراً، ومن بر والديه في حياتهما، ثم لم يقض ديناً إذا كان عليهما، ولم يستغفر لهما، واستسب لهما، كان عاقاً[3].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ عَنْ والِدَيهِ، أَوْ قَضى عَنْهُما مَغْرَماً، بَعَثَهُ اللهُ أُمَّةً يَومَ القِيامَةِ مِنَ الأَبْرارِ»[4].

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، وعبد بن حميد، وابن أبي

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٨).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٠٢)، وكذا ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٢٢٣) وقال: تفرد به يحيى بن عقبة، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٠٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٨٠٠)، وكذا البزار في «المسند» (٤٨٢٢). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٣٩): فيه صلة بن سليمان، قال النسائي: متروك، ومن مناكيره، وذكر الحديث.

الدنيا في «المداراة»، وابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إنما سماهم الله أبراراً لأنهم بـروا الآباء والأبناء؛ كما أن لوالـدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حقاً[1].

ورواه الطبراني، وغيره مرفوعاً[2]، والموقوف أصح.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمران بن عبدالله الخزاعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله! من أبرُّ؟

قال: «والِدَيكَ».

قال: ليس لي والدان.

قال: «بِرَّ وَلَدَكَ»[3].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعِينُوا أَوْلادكُمْ عَلى البِـرِّ؛ مَنْ شاءَ اسْتَخْرَجَ العُقُوقَ لِوَلَدِهِ»[4].

---

(١) رواه البخـاري في «الأدب المفـرد» (٩٤)، وابن أبي الـدنيـا في «العيـال» (ص: ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٤٦).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٤٦): رواه الطبراني وفيه عبيدالله بن الوليد الوصافي وهـو ضعيف. قال الدارقطني في «العلـل» (١٢/ ٤١٢): الموقوف أصح.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (ص: ٣٠٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسـط» (٤٠٧٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٤٦): فيه من لم أعرفهم.

وروى البيهقي، وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما: أن أباه أتى به النبي ﷺ، فقال: إني نَحَلتُ ابنِيَ هذا نِحْلةً؛ غلاماً كان لي.

فقال: «لِكُلِّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَ هَذا؟».

قال: لا.

قال: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي البِرِّ سَواءً؟».

قال: نعم.

قال: «فَلا إِذَن».

وأصل هذا الحديث في «الصحيحين»[1].

وفي رواية البخاري قال: «اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا بَينَ أَوْلادِكُمْ»[2].

وروى البزار عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فجاء ابنٌ له، فقبَّله وأجلسه على فخذه، وجاءت بُنَيَّة له، فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «أَلا سَوَّيتَ بَيْنَهُمْ»[3]!

وروى أبو عمرو النوقاني في «معاشرة الأهلين» عن الشعبي

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الصغرى» (٥/ ٤٩٣)، وأصل الحديث في البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (١٦٣٢).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٦): رواه البزار فقال: حدثنا بعض أصحابنا، ولم يسمه، وبقية رجاله ثقات.

رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ والِداً أَعانَ وَلَدَهُ عَلى بِرِّهِ»[1].

وأخرجه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن علي، وابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وإسناده ضعيف[2].

وقال حجة الإسلام في «الإحياء»: جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى، فشكا إليه بعض ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟

قال: نعم.

قال: أنت أفسدته[3].

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ البَناتِ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ»[4].

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤١٥)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (ص: ٣٠٦).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٦٤): رواه أبو الشيخ في «الثواب» من حديث علي، وابن عمر به مرفوعاً، وسنده ضعيف، ورواه أبو عمرو النوقاني في «معاشرة الأهلين» له من رواية الشعبي مرسلاً بدون ذكر علي رضي الله عنه.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٢١٧).

(٤) رواه البخاري (١٣٥٢)، ومسلم (٢٦٢٩).

وروى أبو داود في «مراسيله» عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «حَقُّ كَبيرِ الإِخْوَةِ عَلى صَغيرِهِمْ كَحَقِّ الوالِدِ عَلى وَلَدِهِ»[1].

وأخرجه أبو الشيخ في «الثواب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأَكْبَرُ مِنَ الإِخْوانِ بِمَنْزِلَةِ الأَبِ»[2].

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن كليب بن منفعة قال: قال جدي: يا رسول الله! من أبرُّ؟

قال: «أُمَّكَ وَأباكَ، وَأُخْتَكَ وَأخاكَ، وَمَوْلاكَ الَّذي يَلِي؛ ذاكَ حَقٌّ واجِبٌ، وَرَحِمٌ مَوْصُولَةٌ»[3].

وروى الترمذي ـ وحسنه ـ عن علي رضي الله تعالى عنه: أن

---

(١) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤٨٧) (ص: ٣٣٦).
ووصله البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٢٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٦٧٣). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٣٣): وإسناده ضعيف.

(٢) كذا عزاه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٣٣) إلى أبي الشيخ في «الثواب».
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٠٠) عن كليب الجهني ﷺ.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٤٩): فيه الواقدي، وهو ضعيف.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٧)، وكذا أبو داود (٥١٤٠).

النبي ﷺ قال: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»[1]؛ أي: شقيق أبيه، وأخوه من أصل واحد.

وروى الشيخان، والترمذي عن البراء رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْخالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ»[2].

ولأبي داود نحوه من حديث علي رضي الله تعالى عنه[3].

وروى البزار ـ بسند صحيح ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن جويرية رضي الله تعالى عنها قالت للنبي ﷺ: إني أريد أن أعتق هذا الغلام.

قال: «أَعْطِهِ خالَكِ الَّذِي فِي الأَعْرابِ يَرْعَى عَلَيهِ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لأَجْرِكِ»[4].

وقال الله تعالى في وصف الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٦٠) وصححه، وهو عند مسلم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٠٠٥)، والترمذي (١٩٠٤)، وروى مسلم (١٧٨٣) أصل الحديث دون اللفظ المذكور عند المؤلف.

(٣) رواه أبو داود (٢٢٨٠).

(٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٣): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٧ ـ ١٠].

وصفهم بالوفاء بالنذر؛ قال عكرمة: كل نذر في شكر.

وقال مجاهد: إذا نذروا في حق [الله]. رواهما عبد بن حميد[١].

وخوفِ يوم القيامة، وهو يتضمن الإيمان به، والتصديق بما فيه، وإطعام المساكين واليتيم والأسير في عز منه ولا رياء، والمراد: المشرك، كما رواه عبد الرزاق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[٢].

وروى ابن مردويه، وأبو نعيم عن [أبي] سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا﴾[الإنسان: ٨]؛ قال: «فقيراً»، ﴿وَيَتِيمًا﴾[الإنسان: ٨]؛ قال: «لا أَبَ لَهُ»، و﴿وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨]؛ قال: «الْمَمْلُوكُ وَالْمَسْجُونُ»[٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٢]؛ فوصفهم الله بالصبر، وتقدم أثر عكرمة المتقدم، ووصفهم بالشكر، وهذا شطر الإيمان.

وروى عبد بن حميد عن قتادة أنه قال في الآية: الصبر صبران:

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٦٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٣٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٥)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٠٠).

صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله[1].

قلت: وله قسم ثالث، وهو الصبر على بلاء الله تعالى.

وسبق في أولي الألباب قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

روى أبو الشيخ عن محمد بن النصر الحارثي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد: ٢٣]؛ قال: على الفقر في الدنيا[2].

وروى هو وابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال في الآية: صبروا عن فضول الدنيا[3].

صرف معنى الصبر إلى القناعة، وهي من أخص أوصاف الأبرار.

وتعين وصفهم بالصبر وصفهم بالصوم؛ ففي الحديث: «الصَّوْمُ نِصفُ الصَّبْرِ». رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي ـ وحسنه ـ عن رجل من بني سليم[4].

وقال تعالى في أصحاب اليمين ـ وقد علمت أنهم الأبرار ـ:

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦٤٠).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦٤٠).

(٤) رواه ابن ماجه (١٧٤٥) عن أبي هريرة ﷺ. والترمذي (٣٥١٩) وحسنه عن رجل من بني سليم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[الحاقة: ١٩ ـ ٢٤]؛ يعني: الصوم كما رواه ابن المنذر، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله[١] بن رفيع رحمه الله تعالى[٢].

وروى ابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمالِ عِنْدَ اللهِ إِيْمانٌ لا شَكَّ فِيهِ، وَغَزْوٌ لا غُلُولَ فِيهِ، وَحَجٌّ مَبْرورٌ»[٣].

وروى الإمام مالك، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «العُمرَةُ إِلَى العُمرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بَينَهُما، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيسَ لَهُ ثَوابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ»[٤].

والبخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت:

---

(١) في مصدر التخريج: «عبد العزيز» بدل «عبدالله» لكن المصنف تابع السيوطي في «الدر المنثور» كعادته.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤٩)، وكذا ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣١٢) كلاهما عن عبد العزيز بن رفيع.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٩٧)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٨).

(٤) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣٤٦)، والبخاري (١٦٨٣)، ومسلم (١٣٤٩)، والترمذي (٩٣٣)، وابن ماجه (٢٨٨٨).

يا رسول الله! ترى الجهاد أفضل العمل؛ أفلا نجاهد؟

قال: «لَكِنْ أَفْضَلُ الْجِهادِ حَجٌّ مَبْرورٌ»[1].

والإمام أحمد، والطبراني عن ماعز رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟

قال: «إِيمانٌ بِاللهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ الْجِهادُ، ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سائِرَ الأَعْمالِ كَما بَيْنَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ وَمَغْرِبِها»[2].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمالِ حَجٌّ مَبْرورٌ أَوْ عُمرَةٌ مَبْرورَةٌ»[3].

واختلف في بر الحج والعمرة، والأصح الأشهر ـ كما قال النووي ـ أنه الذي لا يخالطه شيء من الإثم[4].

قلت: ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذا البَيتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١١٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٧): رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٩/ ١١٩).

ذُنُوبِـهِ كَيَومَ وَلَدَتْـهُ أُمُّـهُ». رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[1].

وروى أبـو نعيم عن ابن عمـر رضـي الله تعالى عنهمـا قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عَملٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جِهادٍ فِي سَبِـيلِهِ وَحَجَّـةٍ مَبْرورَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ لا رَفَثَ فِيها وَلا فُسوقَ وَلا جِدالَ»[2].

وقيل: الحج المبرور: المقبول.

وقيل: الذي لا رياء فيه ولا سمعة.

وهما داخلان في القول الأول.

وروى ابن ماجـه عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ حج على رحل رَثٍّ [وقطيفة] تساوي أربعة دراهم، وكان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْها حَجَّةً مَبْرُورَةً لا رِياءَ فِيها وَلا سُمْعَةَ»[3].

وروى الإمام أحمد عن جابـر رضي الله تعالى عنـه: أن النبي ﷺ قال: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزاءَ إِلاَّ الْجَنَّةُ».

فقيل: يا رسول الله! ما بر الحج؟

---

(١) رواه البخـاري (١٤٤٩)، ومسلم (١٣٥٠)، والترمذي (٨١١)، والنسائي (٢٦٢٧)، وابن ماجه (٢٨٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠١) وقال: غريب.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٨٩٠) وأصله في الصحيح وقد تقدم.

قال: «إِفْشاءُ السَّلامِ، وَإِطْعامُ الطَّعامِ»[1].

وفي رواية بدل: «إفشاء السلام»: «طِيبُ الكَلامِ»[2].

وفي رواية: «لِينُ الكَلامِ».

قلت: وهذا قدر زائد على خلو [الحج][3] من المأثم.

ويجمع ما بين هذا وبين ما سبق بأن أول بر الحج خلوه من الإثم، ثم كلما استكثر الحاج من الخير والبر كان أبرَّ.

وقيل: الحج المبرور: الذي لا يعقبه معصية.

وقال المازري: يحتمل أن يراد أن صاحبه أوقعه على سبيل البر؛ أي: الصدق بأن لا يريد به غيره، أو غير وجه الله تعالى.

وقد يقال: إن هذا يرجع إلى القول الثالث.

وروى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: من حج هذا البيت لا يريد غيره خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[4].

ومعنى قوله: لا يريد غيره؛ أي: غير قصد البيت؛ ليخرج من يحج بقصد التجارة، أو نحوها كالتسلية والنزهة.

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٥).

(2) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١١٩).

(3) كلمة غير واضحة في «ت».

(4) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٦٤٢).

روى البخاري، وأبو داود، والنسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، ثم يقومون، فيسألون الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧][1].

فأجمع ما يفسر به البر: التقوى، حتى الاحتراز عن الشبهات بقدر [. . . .][2].

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[البقرة: ١٩٧]، وأولو الألباب هم الأبرار والصديقون.

وقال النبي ﷺ: «لا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ حَذَراً لِما بِهِ بَأْسٌ». رواه البخاري في «تاريخه»، والترمذي ـ وحسنه ـ والحاكم وصححه[3].

وروى أبو نعيم عن طاوس رحمه الله تعالى قال: حج الأبرار على الرحال[4].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سفيان قال: أول ما اتخذت

---

(١) رواه البخاري (١٤٥١)، وأبو داود (١٧٣٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٣٣).

(٢) كلمة غير واضحة في «ت».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦)، وكذا الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٧٦).

المحامل زمن الحجاج .

قال : وقال أبي : شَيَّعْتُ أمي خرجت حاجَّة، فما رأيت في القادسية محملاً، إنما الناس على الرحال .

قال سفيان : كان يقال : حج الأبرار على الرحال[1] .

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً للإبل، فأشار بسوط إليهم، وقال : «يا أَيُّها النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ؛ فَإِنَّ البِرَّ لَيسَ بِالإِيضاعِ»[2] ؛ أي : بالإسراع .

وروى أبو داود عنه قال : أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وعليه السكينة، ورديفه أسامة رضي الله تعالى عنه، فقال : «يا أَيُّها النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ؛ فَإِنَّ البِرَّ لَيسَ بِإِيْجافِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ» .

قال : فما رأيتها رافعة يديها حتى أتى منى[3] .

روى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والأزرقي في «تاريخ مكة» عن عبدالله بن عثمان بن خيثم قال : قدم علينا وهب بن منبه رحمه الله تعالى، فاشتكى، فجئنا نعوده، فإذا عنده من ماء زمزم، فقلنا : لو استعذبت ؛ فإن هذا ماء فيه غلظ .

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٥٨٧).

(٣) رواه أبو داود (١٩٢٠).

قال: ما أريد أن أشرب حتى أخرج منها غيره، والذي نفس وهب بيده إنها لفي كتاب الله زمزم، لا تنزف ولا تدم، وإنها لفي كتاب الله برءٌ، وشراب الأبرار، وإنها لفي كتاب الله مضنونة، وإنها لفي كتاب الله طعام طعم، وشفاء سقم، والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد، فيشرب منها حتى يتضلع، إلا نزعت منه داءً، وأحدثت له شفاءً[1].

وروى الأزرقي، وأبو نعيم في «الطب النبوي» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار.

قيل له: ما مصلى الأخيار؟

قال: تحت الميزاب.

قيل له: وما شراب الأبرار؟

قال: ماء زمزم[2].

وروى الأزرقي عن عكرمة بن خالد قال: بينا أنا ليلة في جوف الليل عند زمزم جالس؛ إذ نفر يطوفون عليهم ثياب بيض، لم أرَ بياض ثيابهم بشيء قط، فلما فرغوا صلوا قريباً، فالتفت بعضهم، فقال لأصحابه: اذهبوا بنا نشربْ من شراب الأبرار.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩١٢١)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٥٠)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٤).

(٢) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣١٨).

فقاموا فدخلوا زمزم، فقلت: والله لو دخلت على القوم فسألتهم!
فقمت فدخلت، فإذا ليس فيها أحد من البشر[1].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: ليس البرُّ في حسن اللباس والزي، ولكن البرَّ السكينة والوقار.

وروى أبو يعلى عن عمار رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما تَزَيَّنَ الأَبْرارُ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيا»[2].

وروى أبو نعيم عنه: أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «يا عَلِيُّ! إِنَّ اللهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يَتَزَيَّنِ العِبادُ [بِزِينَةٍ] أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْها، هِيَ زِينَةُ الأَبْرارِ عِندَ اللهِ؛ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيا، فَجَعَلَكَ لا تَرْزَأُ مِنَ الدُّنْيا شَيئاً، وَلا تَرْزَأُ الدُّنْيا مِنكَ شَيئاً، وَوَهَبَ لَكَ حُبَّ الْمَساكِينِ، فَجَعَلَكَ تَرْضى بِهِمْ أَتْباعاً وَيَرْضَوْنَ بِكَ إِماماً»[3].

ويروى أن في بعض الكتب [. . . .][4].

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٥١).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٦١٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٦): فيه سليمان الشاذكوني، وهو متروك.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧١)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢١٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٢١): فيه علي ابن الحزور، وهو متروك.

(٤) غير واضح في «ت» بمقدار نصف سطر.

وروى الخطيب في «الجامع»، وابن عساكر، وغيرهما عن سهل ابن سعد رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: «عَمَلُ الأَبْرارِ مِنَ الرِّجالِ الْخِياطَةُ، وَعَمَلُ الأَبْرارِ مِنَ النِّساءِ الْمِغْزَلُ»[1].

و[. . .][2] الأبرار من شأنهم الأكل من عمل اليد، لكنهم يختارون الخياطة للرجال، والمغزل للنساء لأنهما صنعتان لطيفتان نظيفتان لا يشغلان الصانع عن ذكر الله تعالى، ولا عن التفكر في مصنوعاته.

لكن من شأنهم أن لا يعينوا على إثم، فلا يخيطون ما لا يجوز لبسه للرجال كالحرير الصِّرف، وما أكثرُه حرير، ولا للرجال ولا للنساء كالثوب [. . . .] لأن ذلك كله من باب التعاون على الإثم، وليس ذلك من عمل الأبرار.

وكذلك [. . .] هم لا يقتصرون على هذه الحرفة، وإنما هو من أعمالهم، وإنما شأنهم الأكل من عمل اليد.

وفي حديث «البخاري» عن المقدام رضي الله تعالى عنه: «ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعاماً خيراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ تَعالَى داودَ

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ١٩٩). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٠٦): لازم ذلك الحياكة، إذ لا تتأتى خياطة ولا غزل إلا بحياكة، فقبح الله من وضعه.

(٢) كلمة غير واضحة في «ت».

كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[1].

والمشهور من عمل داود عليه السلام أنه كان زرَّاداً يعمل الدروع.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١].

قال ابن شوذب رحمه الله تعالى: كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعاً، فيبيعها بستة آلاف درهم؛ ألفين له ولأهله، وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل [الخبز] حواري. رواه الحكيم الترمذي في «نوادره»، وابن أبي حاتم في «تفسيره»[2].

ويروى أنه عليه السلام كان يعمل الخوص أيضاً.

قال في «الإحياء»: وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع: الخرز، والتجارة، والحمل، والخياطة، والحذو، والقصارة، وعمل الخفاف، وعمل الحديد، وعمل المغازل، ومعالجة صيد البر والبحر، والوراقة[3].

وهذا باعتبار غالب صنائعهم، وإلا فقد كان من السلف بزَّازون، وخفَّافون، وحاكةٌ، وأبَّارون.

روى الإمام أحمد ـ بإسناد حسن ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٧٦).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٨٤).

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيرُ الكَسْبِ كَسبُ العامِلِ إِذا نَصَحَ»[1].

وروى هو والبزار عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله! أي الكسب أطيب؟

قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيعٍ مَبْرورٍ»[2].

وأخرجه الطبراني في «الكبير» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البزار، والحاكم ـ وصححه ـ عن سعيد بن عمير، عن عمه ـ قال الحاكم: وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ـ[3].

وَالبَيعُ الْمَبْرورُ][4]:

مِنْ بَرَّ: إذا صدق.

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٤). وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤١٨).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٤١)، والبزار في «المسند» (٣٧٣١).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦٠): فيه المسعودي وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

(3) رواه البزار في «المسند» (٣٧٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٥٩)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٢٥) مرسلاً وقال: قال البخاري: وأسنده بعضهم وهو خطأ.

(4) إلى هنا ينتهي السقط المشار إليه في نسخة المؤلف والمرموز لها بـ «م»، وكان الاستدراك من النسخة «ت» كما ألمحنا سابقاً (ص: ٣٨٣).

أو هـو البيـع المقـرون بالبـر والإحسـان من النصـح والإنصـاف وغيرهما .

وروى الدارمي ، والترمذي وصححه ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وصححاه ، وغيرهم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، عن جده ﷺ : أنه خرج مـع النبي ﷺ ، فرأى الناس يتبايعـون ، فقـال : «يا مَعْشَرَ التُّجَّارِ» ، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه ، فقال : «إِنَّ التُّجَّارَ يُبعَثُونَ يَومَ القِيَامَةِ فُجَّاراً ، إلا مَنِ اتَّقَى اللهَ ، وَبرَّ ، وَصَدَقَ»[1] .

وقال ابن ماجه في رواية : خرجنا مع النبي ﷺ فإذا الناس يتبايعون بكرة ، فناداهم : «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ»[2] ، فلما رفعوا أبصارهم ومدوا أعناقهم ، قال . . . ، فذكره .

وروى الترمذي وصححه ، عن قيس بن أبي غـرزة قال : خرج علينا رسول ﷺ ونحن نسمى السماسرة ، فقال : «يَا مَعْشَرَ التُّجَّـارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالإِثْمَ يَحْضُرانِ البَيْعَ ؛ فَشَوِّبُوا بَيْعَكُم بِالصَّدَقَةِ»[3] .

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (٢٥٣٨) ، والترمذي (١٢١٠) وصححه ، وابن ماجه (٢١٤٦) ، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩١٠) ، والحاكم في «المستدرك» (٢١٤٤) .

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٤٦) .

(٣) رواه الترمذي (١٢٠٨) وصححه .

وأخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، ولفظه: كنا نسمى في عهد رسول الله ﷺ السماسرة، فأتانا رسول الله ﷺ فسمَّانا باسم هو أحسن منه، فقال: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ البَيْعَ يَحْضُرُهُ الحَلِفُ وَاللغْوُ؛ فَشَوِّبُوهُ بِالصَّدَقَةِ»[1].

أي: امزجوه بالصدقة، لعل برَّ الصدقة يدفع إثم الحلف واللغو.

وروى الطبراني، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ اللهَ بَاعِثُكُمْ يِوْمَ القِيَامَةِ فُجَّاراً، إلا مَنْ صَدَقَ، وَبرَّ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ»[2].

ومعنى تأدية الأمانة أن لا يكتم عيباً يعلمه.

وروى ابن الجوزي عن جعفر الحذاء رحمه الله، قال سعيد بن حرب رحمه الله، عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال: ما أقدم عليه أحداً من هذه الأمة: البر عشرة أجزاء؛ تسعة منها في طلب الحلال، وسائر البر في جزء واحد[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٦)، وأبو داود (٣٣٢٦)، والنسائي (٣٧٩٧)، وابن ماجه (٢١٤٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٩٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧٢): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه الحارث بن عبيد وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٦٥)، وكذا رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٤٣).

وروى أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ؛ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ، وَالعَاشِرُ كَسْبُ اليَدَيْنِ مِنَ الحَلالِ»[1].

قال العراقي: وهو منكر[2].

وأورده في «الإحياء» بلفظ: «العِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ؛ فَتِسْعَةٌ مِنْهَا فِي طَلَبِ الحَلالِ»[3].

وروى إبراهيم الحربي في «غريبه» عن نعيم بن عبد الرحمن ـ قيل: وهو من الصحابة، والأصح أنه تابعي كما قال ابن أبي حاتم، وابن حبان[4]، وبقية رجاله ثقات ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالتِّجَارَةِ؛ فَإِنَّ فِيْهَا تِسْعَةَ أَعشَارِ الرِّزْقِ»[5].

وروى الديلمي، وابن النجار في «تاريخه» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ! لا تَغْلِبَنَّكُمُ المَوَالِي عَلى التِّجَارَةِ؛ فَإِنَّ الرِّزْقَ عِشْرُونَ بَاباً؛ تِسْعَةَ عَشَرَ مِنْهَا لِلتَّاجِرِ، وَواحِدٌ لِلصَّانِعِ،

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٢٢٢).

(٢) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١/ ٤٣٧).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٩٠).

(٤) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٤٦١)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٤٧٧).

(٥) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤١٩): مرسل.

وَمَا أَمْلَقَ تَاجِرٌ صَدُوقٌ، إِلا تَاجِرٌ حَلاَّفٌ مَهِينٌ»[1].

وهذا لا يلزم منه تفضيل التجارة على الحرفة؛ فقد قال كثير من العلماء: إنَّ الزراعة أفضل من التجارة، وفي الحرفة مهنة، وفي التجارة سلطنة[2].

وروى أبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «اطلُبُوا الرِّزْقَ فِيْ خَبَايَا الأَرْضِ»[3]؛ يعني: الزراعة.

وأخرجه الدارقطني في «أفراده»، والبيهقي بلفظ: «الْتَمِسُوْا»[4].

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[البقرة: ٢٦١]: إنَّ فيه دليلاً على أن اتخاذ الزرع من أعلى الحرف التي يتخذها الناس،

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٢٠)، وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (ص: ٧٣) ولكن عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) انظر: «المجموع» للنووي (٩/ ٥٤).

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٣٨٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٣٣)، كلهم من طريق هشام بن عبدالله بن عكرمة. قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٩١): لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد.

(٤) رواه الدارقطني في «أطراف الغرائب والأفراد» (٥/ ٤٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٣٤).

والمكاسب التي يشتغل بها العمال، ولذلك ضرب اللهُ به المثل.

ثمَّ ذكر أنَّ الزراعة من فروض الكفايات.

قال: ولقي عبدالله بن عبد الملك ابن شهاب الزهري، فقال: دلني على مال أعالجه، فأنشأ ابن شهاب يقول: [من الطويل]

أَقُولُ لِعَبْدِاللهِ يَوْمَ لَقِيْتُهُ
وَقَدْ شَدَّ أَحْلاسَ الْمَطِيِّ مُشَرِّقا

تَتَبَّعْ خَبايا الأَرْضِ وَادْعُ مَلِيْكَها
لَعَلَّكَ يَوْماً أَنْ تُجابَ فَتُرْزَقا

فَيُؤْتِيْكَ مالاً واسِعاً ذا مَثابَةٍ
إِذا ما مِياهُ الأَرْضِ غابَتْ[1] تَدَفُّقا[2]

واعلم أن طلب المال من حِلِّه ليصرف في محله، لا يناقض البر، كما سبق أنه لا يناقض الصلاح.

وقد روى البيهقي في «الشعب» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك، ولا خير في أمر بلا درهم[3].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن معاذ بن

---

(١) في «تفسير القرطبي»: «غارت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٥٤).

عبدالله بن خبيب، عن أبيه، عن عمه ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «لا بَأْسَ بِالغِنَى لِمَنِ اتَّقَى اللهَ، وَالصِحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الغِنَى، وَطِيْبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعْيمِ»[1].

وروى أبو نعيم عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه؛ يعطي منه حقه، ويكفُّ بهِ وجهَهُ عن الناسِ[2].

وفي رواية: لا خيرَ فيمن لا يحبُّ هذا المال؛ يصلُ بهِ رحِمَهُ، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلقِ ربهِ[3].

وعن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: أنه ترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار، وقال: ما تركتها إلا لأصون بها ديني، وفي رواية: [ترك مئة دينار، وقال][4]: أصون بها ديني وحسبي[5].

واكتساب المال وجمعه بحسن النية مع الاهتمام لأمر آخرته، من

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧٢)، وابن ماجه (٢١٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٣١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٣)، وكذا ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (ص: ٣٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٣).

(٤) زيادة من «حلية الأولياء» لأبي نعيم.

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٣).

أعمال البر، مع الاقتصاد في الطلب، وترك التكاثر؛ لقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] الآية.

وقال رسول الله ﷺ: «أجملُوا[1] فِي طَلَبِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ كُلاً مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَه».

وفي روايـة: «لِما كُتِبَ لَـهُ مِنْهَا». رواه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، عن أبي حميد رضي الله عنه[2].

وروى ابن ماجه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلوا فِي الطَّلَبِ؛ فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوفِيَ رِزْقَهَا وإِنْ أَبْطَـأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُـذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى إِبراهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: يا خَلِيْلِيْ! حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الأَبْرَارِ، وَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ

---

(١) في «م»: «اعملوا»، والمثبت من: «سنن ابن ماجه» (٢١٤٢)، «والمستدرك» للحاكم (٢١٣٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٣٣)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٤). وضعف الإمام النووي إسناد ابن ماجـه، وصحح إسناد البيهقي في «المجموع» (٩/ ١٤٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٤٤)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٢١٣٥).

أَنْ أُظِلَّهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِي، وَأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَظِيْرَةِ قُدُسِي، وَأَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ جِوَارِي»[1].

قلت: وقد سبق في الحديث تفسير البِر بحُسنِ الخُلُقِ، وهو شامل للسخاء، والكرم، والحياء، والخوف، والرجاء، والحلم، والصبر، والعفو، والصفح، والاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الغضب، والشهوة، ومخالفة النفس والهوى، والتوكل، والثقة بالله، والاستعانة به، والتفويض إليه والتسليم؛ وكل ذلك من صفات الأبرار.

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ كُنُوزِ البِرِّ كِتْمَانُ المَصَائِبِ وَالأَمْرَاضِ وَالصَّدَقَةُ[2]»[3].

وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: ثلاث من كنَّ فيه أصاب البر: سخاوة النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام[4].

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: من سقى

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠٦). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٢٦): رواه الطبراني، وابن عدي في «الكامل» من حديث مؤمل بن عبد الرحمن، وليَّنَ مؤمل، وقال: عامة حديثه غير محفوظ.

(2) زاد في «م»: «في المدارة».

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٧).

(4) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٨٠).

مؤمناً على ظمأ، سقاه الله يوم: القيامة من الرحيق المختوم[1].

وهذا شراب الأبرار؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾[المطففين: ٢٢ ـ ٢٥].

وروى أبو نعيم عن عمر بن ذر رحمه الله تعالى قال: من أجمع على الصبر في الأمور فقد حوى الخير، والتمس معاقل البر، وكمال الأجور[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «الورع» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه قال لجلسائه: ما الذي نقيم به وجوهنا عند الله يوم القيامة؟ قال بعض القوم: الصلاة، قال عمر: قد يصلي البَرُّ والفاجرُ، قالوا: الصيام، قال عمر: قد يصوم البَرُّ والفاجِرُ، قالوا: الحج، قال عمر: قد يحج البَرُّ والفاجر، قال عمر: الذي نقيم به وجوهنا عند الله أداء ما افترض علينا، وتحريم ما حرم علينا، وحسن النية فيما عند الله تعالى[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار قال: قال عيسى ابن مريم عليهما السلام: إن ابن آدم لو عمل بأعمال البر حتى يبلغ عمله عنان السماء وحب في الله ليس، [وبغض في الله ليس][4]،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣)، وكذا أبو داود (١٦٨٢)، والترمذي (٢٤٤٩) وقال: حديث غريب، وقد رُوِيَ عن أبي سعيد موقوفاً، وهو أصح عندنا وأشبه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١١١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ١٠٩).

(٤) زيادة من «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

ما أغنى ذلك عنه شيئاً[1].

وروى أبو نعيم عن الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله قال: حدثني الحسن بن أحمد الشامي قال: سمعت ذا النون المصري رحمه الله يقول: قرأت في التوراة: إنَّ الأبرار الذين يؤمنون، والذين في سبيل خالقهم يمشون، وعلى طاعته يمضون؛ أولئك في وجه الجبار ينظرون[2].

وعن السَّرِي السَّقَطي قال: ثلاث من أخلاق الأبرار: القيام بالفرائض، واجتناب المحارم، وترك الغفلة.

قال: وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغنَ بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجناح، وكثرة الصدقات.

قال: وثلاث من أبواب سخط الله: اللعب، والمرح، والغيبة.

قال: والعاشر [من هذه الثلاث][3] عمود الدين، وذروته، وسنامُه: حسن الظن بالله[4].

وإنما صح أن يكون هذا عاشراً باعتبار أنه أشار بالثلاثة التي هي من أبواب السخط إلى أضداد تركها؛ أعني السكوت، والإمساك عن اللعب، وعن المرح وعن الغيبة، وهذه أمهات الباطل، ومن أكثر باطلاً على حق

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٤٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٨٢).

(٣) زيادة من «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ١٢٣).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٢٣).

فليس ببار ولا مبرور، بل هو خاسر، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧].

وروى أبو نعيم عن عبد العزيز بن أبي خالد قال: مرَّ سفيان الثوري رحمه الله بالغاضري، وهو يتكلم ببعض ما يضحك به الناس، فقال له: يا شيخ! أما علمت أن لله يوماً يخسرُ فيه المبطلون؟ فما زالت تُعرَفُ في وجهِ الغاضري حتى لقي الله ﷻ[١].

وروى البيهقي في «شعبه» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مرَّ على قوم وعليه بردةٌ حسناء، فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردتـه فما لي عندكم؟ فجعلوا له شيئاً، فأتاه، فقال: يا أبا عبد الرحمن! بردتك هذه لي، فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، فخلعها ليدفعها إليه، فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا له: هذا رجل بطال، فالتفت إليـه، فقال لـه: يا أخي! أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءً، ليلاً أو نهاراً، ثم القبر وهول المطلع، ومنكر ونكير، وبعد ذلك القيامة يوم يخسر المبطلون؟ فأبكاهم، ومضى[٢].

وروى الإمام أبـو الفتـوح محمـد بن محمـد بن علي الطـائي في «أربعينه» عن أبي بكر الآجري رحمـه الله تعالى قال: كان ابن المبارك كثيراً ينشد بهذه الأبيات: [من الخفيف]

---

(١) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٣٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٣٤).

اغْتَـــنِمْ رَكْعَتَـــيْنِ زُلْفَـــى إِلَـــىْ اللهِ

إِذا كُنْـــتَ فارِغـــاً وَمُـــسْتَرِيْحا

وَإِذا مـــا هَمَمْـــتَ بِـــالنُّطْقِ بِالْبـــا

طِـــلِ فَاجْعَـــلْ مَكانَـــهُ تَـــسْبِيْحاً

فَاغْتِنـــامُ الـــسُّكُوْتِ أَفْـــضَلُ مِـــنْ خَـــوْ

ضٍ وَإِنْ كُنْـــتَ بِـــالْكَلامِ فَـــصِيْحاً[1]

وروى أبو نعيم عن حبيب الفارسي رحمه الله تعالى قال: لأن أكون في صحـراء ليـس علي إلا ظلـة وأنـا بـارٌ بربِّي، أحـبُّ إلى من جنتكم هذه[2].

والمراد بالبر أن يكون محسناً فيما بينه وبين الله تعالى، وهو الإحسان الذي بيَّنه النبي ﷺ في حديث الصحيحين: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّـهُ يَرَاكَ»[3]؛ والمعنى أن تعبدهُ وأنت شاهده بقلبك، وهو عبارة عن حضور القلب مع الله تعالى، «فإن لم تكن تراه فإنـه يراك»؛ أي: فإن لم تعبده على المشاهدة، فعلى المراقبة، بأن تعلم أنَّه رقيب

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٨٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٥٣).

(٣) تقدم تخريجه.

عليك، مُطَّلع على سرك وعلانيتك، وهذه الصفـة لا بـد منها حتى يكون العبد باراً بربه ﷻ.

وروى أبو نعيم عن عمران بن مسلم ـ وهو المعروف بالقصير ـ قال: كان جعفر بن زيد رحمه الله تعالى يقول في كلامه: ما أحلى ذكرَك في أفواه الأبرار، وأعظمك في قلوب المؤمنين[1].

فيه إشارة أن لذكر الله تعالى من أفواه الأبرار ـ أعني: الصادقين ـ مزية لم تكن لذكره من أفواه غيرهم؛ لأن كل كلام يبرز من فم متكلم يبرز وكسوة قلب ذلك المتكلم عليه، فإذا كان الكلام ذكراً لم يكن أحسن منه، ولا أعلى.

وفي الحديث الصحيح: «مَثَـلُ المُـؤْمِنِ الَّذِيْ يَقْـرَأُ القُـرْآنَ مَثَـلُ الأُتْرُجَّةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيْحُهَا طَيِّبَةٌ»[2].

وروى أبو نعيم عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى قال: من أراد أن يكون معدوداً في الأحرار، مذكوراً عند الأبرار، فليخلص عبادة ربه؛ فإن المحقق في العيون مُسَلَّم من الأغيار[3].

وروى ابن أبي الدنيا في كتـاب «الإخلاص والنيـة» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: إنَّ الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر؛ فانظروا

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٩).

(2) رواه البخاري (٤٧٣٢)، ومسلم (٧٩٧) عن أبي موسى الأشـعري رضي الله تعالى عنه.

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦١).

ما همومكم رحمكم الله![1].

وعن يزيد الرقاشي رحمه الله قال: للأبرار همم تبلغهم أعمال البر، وكفاك بهمة دعتكَ إلى خير خيراً[2].

وعن نعيم بن صبيح السعدي ـ وكان يعدُّ من حكماء بني تميم ـ قال: همم الأبرار متصلة بمحبة الرحمن، وقلوبهم تنظر إلى مواضع العز من الآخرة بنور أبصارهم، فأهواؤهم بها متعلقة، وأنفسهم إليها منطلقة، وأعينهم نحوها طامحة، قد جلا رجاؤهم إياها عنهم كلَّ كربة، وهوَّن عليهم كلَّ شدة، مسجونون في طرق الدنيا بين أهلها، مغمومون لطول البقاء فيها عند محبة أهل الدنيا لطول العمر فيها، تخبرهم دواعي الخير من أنفسهم أنْ لا راحة لهم دون الخروج منها، والكينونة عند مسرة أهلها فيها، فأنفسهم أشد اشتياقاً إلى مفارقة الدنيا من الظمآن إلى الشراب عند انقطاع الرجاء، سكنت مشارق الجنة قلوبهم، ومخاوف النار أجوافهم، فأهملوا لذلك العيون، وغضوا عن الدنيا لذلك الجفون، وَسَمَوْا بالقربة إلى معالي العز.

وروى الدينوري في «المجالسة»، وابن أبي حاتم عن الحسن: أنه سئل عن الأبرار: من هم؟ قال: هم الذي لا يؤذون الذَّرَّ[3].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٦).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥١).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٤٦).

والمراد بالذَّرِّ: النمل الصغير.

والمعنى: إن أذاهم مأمون لا يتوقع منهم أنهم يؤذون شيئاً حتى الذَّرَّ.

ويوافق هذا ما رواه الأصبهاني في «الترغيب» عن أبي قرة رحمه الله قال: دخلنا على فضيل بن عياض بمكة، فقال لي: من أين أنتم؟ قلنا: إننا من أهل خراسان، فقال: اتقوا الله، وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أنَّ العبد لو أحسن الإحسان كلهُ، وكانت له دجاجة فأساء إليها، لم يكتب من المحسنين(١).

وفي حديث النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء». رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه(٢).

بل روى ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: إنَّما الإحسان أن تُحسِنَ إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك(٣).

وصدق عليه السلام؛ لأن هذا مكافأة، وحقيقة الإحسان التفضل.

---

(١) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٣٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠٨٥)، وكذا الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩١).

وروى الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي عن عبدالله ابن عمرو ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِىءِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ[1] وَصَلَهَا»[2].

والذي أراه: أن من وصل من الإحسان إلى هذه المرتبة، فقد تجاوز إلى مقام الصديقين الأخيار.

روى الحافظ عبد الرزاق، والبيهقي من طريقه عن معمر عن ابن أبي إسحاق الهمداني، عن ابن أبي حسين قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلى خَيْرِ أَخْلاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[3].

قال البيهقي: هذا مرسل حسن.

ورواه البيهقي موصولاً من حديث علي ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلى خَيْرِ أَخْلاقِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «تُعْطِيْ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ،

---

(١) ضبطها الإمام النووي في «رياض الصالحين» (ص: ٧٦): «قَطَعَتْ رحمُهُ» بفتح القاف والطاء، و«رحمُه» مرفوع.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٣)، والبخاري (٥٦٤٥)، وأبو داود (١٦٩٧)، والترمذي (١٩٠٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠٠).

وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ»[1].

ومن حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِـرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[2].

وروى الإمام أحمد، والطبراني عن معاذ بن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ»[3].

وروى ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «لَنْ يَنَالَ عَبدٌ صَرِيحَ الإِيْمَانِ حَتَّى يَصِلَ منْ قَطَعَهُ، وَيَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَغْفِرَ لِمَنْ شَتَمَهُ، وَيُحْسِنَ إِلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ»[4].

ومعنى قوله: «صريح الإيمان»: خالصهُ وأفضلهُ، وهي رتبةُ الصديقية كما علمت، وهي حال أبي بكر ﷺ حين حلف أن لا ينفق على مِسْطَح بعد أن تكلم في حديث الإفك، وكان ابن خالتهِ، وكان من فقراء

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٥٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٥٩)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٨٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٩): فيه زبان بن فائد، وهو ضعيف.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٣).

المهاجرين، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٢٢].

روى ابن المنذر عن الحسن رحمه الله: أنَّ أبا بكر ﷺ صار يضعف لمسطح بعد ما نزلت هذه الآية [ضعفي][١] ما كان يعطيه[٢].

قلت: وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾[النور: ٢٢] إشارة إلى أنَّ الإحسان إلى المسيء، ووصل القاطع خلق من أخلاق الله تعالى؛ ألا ترى أن تقدير الآية: ألا تحبون أن يغفر الله لكم ما أسأتم؟ والمغفرة إحسان من الله تعالى؛ أي: عاملوا عباده الفقراء المهاجرين إذا أساؤوا إليكم بمعاملة الله لكم من إحسانه إليكم وأنتم تسيئون، وإن كانت إساءة العبد إنما تعود إليه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[الإسراء: ٧]، والله تعالى منزهٌ عن وصول الإساءة إلى جنابه المقدس، وإنَّما الإشارة بذلك إلى الإنصاف من نفس العبد؛ فإنه إذا أساء وطلب الإحسان مع إساءته، ثم عامل غيره بمقابلة الإساءة بالإساءة، فما تم إنصافه، وإن كان لا سبيل عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن

---

(١) زيادة من «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٦٣).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٣) إلى ابن المنذر.

سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى: ٣٩ ـ ٤٢].

فالمنتصر بقدر حقه بارٌّ، والعافي عن حقه صِدِّيْقٌ، والمتجاوز عن مثل ما أسيء إليه ظالم، ولو بشيء قليل؛ لقوله تعالى: ﴿مِّثْلُهَا﴾.

ثم من كان مسيئاً فالأولى في حقه العفو عن أخيه المؤمن رجاءَ أن يعفى عنه، فإن أخذ حقه ثم طلب العفو عن جنايته فهو في نفسه لم يتسمْ بالإنصاف، وإن كان تحت المشيئة.

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن أبي عمرو الشيباني قال: بلغنا أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال: أي ربِّ! أيُّ عبادك أعدلُ؟ قال: من أنصف من نفسه[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من ينصف الناس من نفسه يعطى الظفرَ في أمرِه، والذل في الطاعة أقرب إلى البر من التعزز في المعصية[2].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَسْتَكْمِلُ العَبْدُ الإِيمَانَ حَتَّى تَكُونَ فِيْهِ ثَلاثُ خِصَالٍ»، قلتُ: وما هن؟ قال: «الإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ، والإِنْصَافُ مَنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلامِ».

ورواه أبو نعيم من طريق الطبراني، وزاد: «وَبَذْلُ السَّلامِ لِلعَالَمِ».

---

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٨١).

(٢) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٨١).

وعلَّقهُ البخاري موقوفاً[1].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن الحسن: أنه نظر إلى القراء وهم على باب ابن هبيرة، فقال: ما أجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء؟ أما والله ما مخالطتكم مخالطة الأبرار، تفرقوا فرَّقَ اللهُ بين أرواحكم وأجسادكم، خصفتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم رؤوسكم، فضحتم القراء فضحكم اللهُ، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، فأبعد الله مَنْ أَبْعَد[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن: أنه رأى على باب بعض الأمراء هؤلاء الذين يُقَالُ لهم القراء، فقال: ما يجلسكم على أبواب هؤلاء [. . . .][3] لا والله ما هذه مجالس الأبرار.

وروى الدينوري، وأبو نعيم عن داود بن أبي هند قال: مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا! ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت لهم، وتزينتِ لهم، إني قذفت في قلوبهم بغضكِ والصدود عنكِ، وما خلقت خلقاً أهون عليَّ منكِ، كل شأنك صغير، وإلى الفناء

(1) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤١)، وذكره البخاري (١/ ١٩) معلقاً.

(2) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٧٨).

(3) كلمة غير واضحة في «م».

تصيرين، قضيت عليكِ يوم خلقتكِ أن لا تدومي لأحد، وأن بخل بكِ صاحبكِ وشحَّ بك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا من ضميرهم، وعلى الصدق والاستغناء، طوبى لهم، ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إليَّ من قبورهم النور يسعى أمامهم، والملائكة حافُّون بهمُ، حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي[1].

وروى ابن عساكر في «تاريخهِ» عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: قال المسيح عليه السلام: إنما تُطلَبُ الدنيا لتُبر؛ فتركك لها أبر[2].

وروى الدينوري عن خلف بن تميم قال: التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق رحمهما الله بمكة، فقال إبراهيم لشقيق: ما بدء أمرك الذي بلَّغك هذا؟ فقال: سرت في بعض الفلوات، فرأيت طيراً مكسور الجناحين في فَلاَة من الأرض، فقلت: انظروا من أين رُزِقَ هذا؟ فقعدتُ حذاءه، فإذا أنا بطائر قد أقبل في منقارهِ جرادة، فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين، فقلت لنفسي: يا نفسُ! الذي قيض هذا الطير الصحيح لهذا الطير المكسور الجناحين في فلاة من الأرض هو قادر على أن يرزقني حيث ما كنت، قال: فتركت التكسب، واشتغلتُ بالعبادة، فقال له إبراهيم: يا شقيق! ولم لا تكون الطير الصحيح الذي أطعم العليل حتى

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٢٧).

تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبي ﷺ: «أنَّ اليد العليا خير من اليد السفلى»[1]، ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار، فأخذ بيد إبراهيم فقبَّلها، وقال له: أنت أستاذي يا أبا إسحاق[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى قال: الجوع رأس كل بر فيما بين السماء والأرض، ويورث العقل الدقيق[3].

وروى ابن أبي الدنيا، ومن طريقه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن محمد بن النضر الحارثي رحمه الله تعالى قال: كان يقال: الجوع يبعث على البر، كما تبعث البِطنة على الأشر[4].

وروى ابن جهضم في «بهجة الأسرار» عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالى قال: أفضل ما تعبد الله به سكون القلب إلى روح نزول الرزق، وأفضل أعمال البرِّ الصبرُ على الفقر.

والصبر على الفقر والشدائد من أخلاق الأبرار، فإذا تناهى إلى الرضا كان من أخلاق الصديقين.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (١٠٣٤) عن حكيم بن حزام.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٦٤).

(٣) ورواه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (٩٣) ولفظه: «الجوع رأس كل بر في الأرض».

(٤) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ١٦٠).

كما ذكر المحب الطبري في «الرياض النضرة» ما رواه أبو الحسن علي بن أحمد بن نعيم البصري في «جزئهِ» الذي ألفهُ في فضل الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! هَذَا جِبْرِيْلُ عَلَيهِ السَّلامَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: أَرَاضٍ أَنْتَ فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟» فبكى أبو بكر، وقال: أسخط على ربي! أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ[1].

وروى أبو نعيم، والبيهقي في «الشعب»، والخطيب في «التاريخ» عن السري السقطي رحمه الله تعالى قال: قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، وقلوب المقربين معلقة بالسوابق؛ أولئك يقولون: ماذا من الله سبق، وهؤلاء يقولون: بم يختم لنا[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن مالك بن دينار قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: لو أنَّ ابن آدم عمل بأعمال البر كلها حتى يبلغ عمله عنان السماء، وحبَّ في الله ليس، وبغضَ في الله ليس، ما أغنى عنه ذلك شيئاً[3].

---

(١) ذكره المحب الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢/ ٢٠)، ورواه البيهقي في «المحاسن والمساوىء» (ص: ٣٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٠٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٦٦).

(٣) تقدم تخريجه.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء» عن أبي عمران الجوني رحمه الله قال: لكل أعمال البر جزاء، وفي كلها خير إلا الدمعة تخرج من عين العبد ليس لها كيل ولا وزن حتى تطفأ منها بحار من النيران[1].

وروى أبو نعيم عن أبي عبدالله الساجي[2] رحمه الله قال: خصال لا يعبد الله بمثلها؛ لا تسأل إلا الله، ولا ترد شيئاً على الله، ولا تبخل بشيء على الله؛ فإنه من عرف الله، فقد بلغ الله.

قال: وقال سفيان الثوري رحمه الله: ليس من علامات الهدى شيء أبين من حبِّ لقاء الله، فإذا أحبَّ العبد لقاء الله فقد تناهى في البر.

قال أبو نعيم في معنى قوله: ولا تبخل على الله: يعني: تمسك لله، وتعطي لله[3]. انتهى.

وأما قوله: فإنه من عرف الله فقد بلغ الله؛ أي: وصل إليه؛ أراد أنَّ الوصول إلى الله في الدنيا هو الوصول إلى معرفتهِ سبحانه.

قلت: ولا شك أن نهاية البر في الدنيا معرفة الله، وفي الآخرة لقاؤه، وهما أطيب شيء في الدارين.

وروى ابن جهضم عن أبي الحسن عمرو بن عثمان الصَّدَفي قال:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٤٢).

(٢) في «م»: «النباحي»، والمثبت من «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/ ٣١٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

أعمال البر كلها على وجهين؛ سر وعلانية، فمن لم يقدر على تصحيح النية فيما يعمل من السر كان فيما يعلن من عمله أبعد، ومن قدر على تصحيح النية في العلانية كان فيما يسر من عمله أقوى، ومن لم يقدر على تصحيح النية في القليل من العمل كان في الكثير منه أبعد.

وهذا موافق لما تقدم عن أبي عامر السكوني ﷺ عن النبي ﷺ قال: «تَمَامُ البِرِّ أَنْ تَعْمَلَ فِي السِّرِّ عَمَلَ العَلانِيَةِ»[1].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي في «الحقائق» في قول تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٣]: من رضيت ظواهرهم للخلق، وبواطنهم لك.

وقال: قال أبو عثمان: الأبرار هم الذين أسقطوا عن أنفسهم أشغال الدنيا، واشتغلوا بما يقربهم إلى مولاهم.

قال: وقال سهل ﷺ: الأبرار هم المتمسكون بالسنة.

قال: وقال بعضهم: هم الناظرون إلى الخلق بعين الحق[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الإنفطار: ١٣ ـ ١٤]: سمعت عبدالله الرازي يقول: سمعت محمد ابن الفضل رحمه الله يقول في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[الإنفطار: ١٣] قال: في التنعم بذكر مولاهم، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الإنفطار: ١٤]: في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (١/ ١٣٤).

التقلب في الشهوات والغفلات[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢] في سورة المطففين: قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: للأبرار علامات؛ أولها: أن يكون معصوماً عن المخالفات بعصمة الله تعالى، محفوظاً بطاعة الله تعالى، لا يؤذي أحداً من المخلوقين، ويرحم الضعفاء لضعفهم، ويعرف نعم الله عليه في جميع الأحوال، ويرى نقصانه في جميع الأحوال[2].

قلت: ومن أسماء الله تعالى: البَرُّ ـ بالفتح ـ؛ ومعناه: المحسن، والواسع الإحسان، الكثير البر، والصادق، والوَصول، والعَطوف، ويرجع معنى العطف إلى الرحمة، وغايتها إرادة الخير.

وسيأتي أن من أسماء الله تعالى ما يَحسُنُ من العبد التخلُّق بهِ، ومنها البَرُّ؛ فمن أحسنَ وأكثر من الإحسان، وصَدَقَ في الكلام، وعطف على الأنام، ورحم الضعفاء فهو من عمل الأبرار.

وفي الحديث المسلسل بالأولية عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الرَّاحِمُوْنَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ ارْحَمُوْا مَنْ فِي الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وقد رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»[3].

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ٣٨١).

(٣) تقدم تخريجه.

وروى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفـرد»، والبيهقي في «الشعب» من حديثه، عن النبي ﷺ قال: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ؛ وَيْلٌ لأَقْمَاعِ القَـوْلِ، وَيْلٌ لِلمُصِرِّيْنَ الَّذِيْنَ يُصِرُّونَ عَلى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي عن أبي هـريـرة، والشيخـان عن جريـر رضي الله عنهما: أن النبـي ﷺ قال: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرحَمْ»[2].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم وصححاه عن أبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِن شَقِي»[3].

وسـبب ذلك أن الرحمـة لا تنزع إلا من القـلب القاسـي، وقد قـال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الزمر: ٢٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٣٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٨)، والبخاري (٥٦٥١)، ومسلم (٢٣١٨)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١) عن أبي هريرة، والبخاري (٥٦٦٧)، ومسلم (٢٣١٩)، عن جرير.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠١)، وأبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٣٢).

وروى البيهقي في «الشعب» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْـرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْـرَةَ الكَلامِ بِغَيْـرِ ذِكْـرِ اللهِ قَسْوَةُ القَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي»[١].

وفيه إشارة إلى أنَّ سبب القسوة كثرة الخوض في فضول الكلام، وأن ذكر الله سبب لحصول الرحمة في القلب.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الجلد رحمه الله: أنَّ عيسى عليه السلام أوصى الحواريين: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله عز وجل فتقسو قلوبكم، وإن القاسي قلبه بعيد عن الله ولكنه لا يعلم[٢].

ومن أسباب القسوة: ما رواه أبو بكر بن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «تُوْرِثُ القَسْوَةُ فِي القَلْبِ ثَلاثَ خِصَـالٍ: حُبَّ الطَّعَامِ، وَحُبَّ النَّوْمِ، وَحُبَّ الرَّاحَةِ»[٣].

قلتُ: ومن أسباب القسوة: طول العهد بالعيش، وإمهال العبـد في الطيش، وذلك من مكر الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمـان» (٤٩٥١)، وكـذا رواه الترمذي (٢٤١١) وحسنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٦).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٠) إلى ابن مردويه.

وكل شيء يوجب القسوة، أو يكون ناشئاً عنها، فليس من أخلاق الأبرار، ولا من أعمالهم.

وأما ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو نعيم بإسناد صحيح، عن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن في زمن أبي بكر الصديق ﷺ فسمعوا القرآن، فجعلوا يبكون، قال أبو بكر الصديق: هكذا كنا، ثم قست القلوب[1].

فقال أبو نعيم: معنى قوله: قست القلوب: قويت، واطمئنت لمعرفة الله تعالى[2].

وأصل القسوة الصلابة، ثم استعيرت لفساد القلب وبعده عن الخير.

أو هو من: قسا الدرهم: إذا ذاق، فهو قسي.

فالقساوة في كلام أبي بكر ﷺ بمعنى صلابة القلب للخير لا عن الخير، فالقساوة المذمومة صلابته عن الخير، قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٧٤].

قال ابن عباس: أي: إن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (١/ ١٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/ ٤٣).

إليه من الخير. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

فالأبرار قلوبهم لينة لخلقِ الله، وصدورهم منشرحة لذكر الله تعالى، كما في الحديث: «المُؤْمِنُونَ هَيِّنُوْنَ لَيِّنُوْنَ كَالجَمَلِ الأَنِفِ؛ إِنْ قِيْدَ انْقَادَ، وَإِنْ أُنِيخَ عَلى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ». رواه ابن المبارك عن مكحول مرسلاً، ووصله البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما[2].

وقد اشتمل هذا الفصل على أكثر من سبعين خصلة هي من صفات الأبرار، فعليك بالاتصاف بها لتكون من الأخيار، ولا تطمح في التشبه بهم وأنتَ متصف بصفات الفجار، متخلق بأخلاق الأشرار.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨]؛ أي: لا يكون ذلك أصلاً؛ إذ لو تساووا لبَطلَ الوعد والوعيد، ولم يكن لإيراد الكتب وإرسال الرسل فائدة.

وروى أبو يعلى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «كَمَا لا يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْكِ العِنَبُ، كَذَلِكَ لا يَنَالُ الفُجَّارُ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ»[3].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ١٤٧).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٣٠) مرسلاً، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٢٩) موصولاً، وقال: المرسل أصح.

(٣) انظر: «المطالب العالية» لابن حجر (١٣/ ٢٠١).

ورواه أبو نعيم عن يزيد بن مرثـد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمَـا لا يُجْتَنَى مِنَ الشَّـوْكِ العِنَـبُ، كَـذَلِكَ لا يُنْـزَلُ الفُجَّـارُ مَنَـازِلَ الأَبْـرَارِ؛ فَاسْـلُكُوْا أَيَّ طَرِيقٍ شِـئْتُم، فَأَيُّ طَرِيْقٍ سَـلَكْتُمْ وَرَدْتُمْ عَلَى أَصْلِهِ»[1].

أي: من طريق الخير وطريق الشر؛ فإن الطريقين مبينان في هذه الشريعة المطهرة ليهلكَ من هلك عن بينة فتظهر الحجة عليه، ويحيا من حيَّ عن بينة، فتظهر الحجة في الإحسان إليه، ولله الحجة البالغة.

قال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠].

قال ابن مسعود ﷺ: سبيل الخير، وسبيل الشر. رواه المفسرون، والطبراني، وصححه الحاكم[2].

وقال مجاهـد: عـرَّفنـاه سبيل الخيـر والشـر. رواه ابن المنـذر، وغيره[3].

وروى هـو، وابن جريـر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾؛ قال: الهدى والضلالة[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٤).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٢١).

(٤) رواه الطبـري في «التفسير» (٣٠/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٣٤).

وروى مثله سعيد بن منصور عن محمد بن كعب، وابن جرير عن عكرمة، والضحاك[1].

وروى الطبراني عن أبي أمامة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ؛ نَجْدُ خَيْرٍ، وَنَجْدُ شَرٍّ؛ فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ؟»[2].

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة نحوه، إلا أنه قال: «فَلا يَكُنْ نَجْدُ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ»[3].

فَنَجْدُ الْخَيْرِ هُوَ طَرِيْقُ الأَبْرارِ وَالأَخْيارِ، وَنَجْدُ الشَّرِّ هُوَ طَرِيْقُ الْفُجَّارِ وَالأَشْرارِ.

فأي طريق سلكهُ العبد أتى منه إلى منازل أهله، وكان معهم كما في حديث يزيد بن مرثد.

ثمَّ إنَّ من تمام سلوك الأبرار أن يتبرأ السالك عليه من الحول والقوة؛ فإن عمل البر سلوك في طلب، والتبري من الحول والقوة وصول إلى

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢١) إلى سعيد بن منصور عن محمد ابن كعب، ورواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٠٠) عن عكرمة، وعن الضحاك.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٦): رواه الطبراني من حديث فضال ـ بن الزبير ـ وهو ضعيف.

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٢) إلى ابن مردويه، وكذا رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤٤٧).

[الله][1] وعثور على الكنز المطلوب.

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما: أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال: فخرج عليَّ النبي ﷺ وقد صليت ركعتين واضطجعت، فضربني برجله، وقال: «أَلا أَدُلُّكَ عَلى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قلت: بلى، قال: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ»[2].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة، وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والنسائي نحوه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بَاللهِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوْزِ الجَنَّةِ»[3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ النبي ﷺ قال: «أَلا أَدُلُّكَ عَلى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بَاللهِ»[4].

---

(١) غير واضح في «م»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٢)، والترمذي (٣٥٨١) وصححه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٨٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٦٤)، وكذا الترمذي (٣٦٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٦٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٨٩) عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٦٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٤٢)، وكذا ابن ماجه (٣٨٢٥).

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنه كنز من كنوز الجنة[1].

وعن زيد بن ثابت ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى كَنْزٍ مِنْ كُنُوْزِ الْجَنَّةِ؟ تُكْثِرُوْنَ مِنْ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ»[2].

وإنما أمر بالإكثار من هذه الكلمة ليتمكن معناها في القلب، وهو البراءة من حول العبد وقوته، وهو سر الكلمة، فلا بِرَّ للعبد وهو يرى لنفسه حولاً أو قوة أو عملاً، بل من شأن البَرِّ الإزراء على نفسه والاتهام لها، فلا يرى نفسه أهلاً أن يكون من الأبرار، ألا ترى إلى قول أولي الألباب: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٣] لما في المعية من الإشعار بالمباينة.

بل وصف الله تعالى السابقين من الأبرار بذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في كتاب «الخائفين»، والحاكم وصححه، والبيهقي، والمفسرون عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٦٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٦٣).

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون: ٦٠]؛ أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: «لا، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُوْمُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَخَافُ أَنْ لا يُقبَلَ مِنْهُ»[١].

والحكمة في ذلك أنهم لا يرون أنفسهم أهلاً للقرب، ولا أعمالهم أهلاً للقَبول، ويرون أنفسهم مقصرين في حق الله تعالى.

وقال الحسن: كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البر، ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله. رواه الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد»، وغيره[٢].

وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله: أنَّ عمر بن عبد العزيز ﷺ ضرب بيدهِ على بطنه، فقال: بطني بطيء عن عبادة ربه، متلوث بالذنوب والخطايا، يتمنى على الله منازل الأبرار بخلاف أعمالهم[٣].

* تَتِمَّةٌ:

روى ابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ يَسِيْرَ الرِّيَاءِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٢).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٦)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٨٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٧).

شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى وَلِيّاً للهِ فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالمُحَارَبَةِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالى يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ، الَّذِيْنَ إِذَا غَابُوْا لَمْ يُفْتَقَدُوْا، وَإِذَا حَضَرُوْا لَمْ يُدْعَوْا، ولَمْ يُعْرَفُوْا، مَصَابِيْحَ الهُدَى، يَخْرُجُوْنَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»(١).

وهذا الحديث فيه فوائد جليلة:

ـ منها: أنَّ الأبرار أحباب الله تعالى، وهي محبة خاصة أخص من محبة المؤمنين المشروطة بالاتباع في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

وإنما شرطت محبة الله بالاتباع لا بالمحبة؛ لأن المحبة لا تتحقق إلا به، ولذلك قيل(٢): المحبة هي موافقة الحبيب.

وفي نفس الأمر لا تترتب محبة الله تعالى للعبد إلا على محبة العبد لله، فالأبرار ما كانوا لله أحباباً حتى كانوا لهُ محبين، وإن كانت محبة الله سابقة على محبتهم إياه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤].

ومنه قول أبي يزيد ﷺ: إنه غلط في بدايته في أمور؛ منها: أنه كان يحسب أنه يحب الله، فإذا محبة الله متقدمة على محبته، فإنا نقول: يحب الله تعالى العبد فيوفقه لحبه، فيحبه العبد، فيحبه الله تعالى محبة خاصة هي جزاء محبته، فالبار من العباد من وفق لمحبة الله تعالى فأحبه،

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨١٢). وإسناده ضعيف.

(٢) في «م»: «قال».

وأطاعه، فأحبه الله تعالى على طاعته، وإلا لم يكن باراً، ولا بَرّاً، فالمحبة أول البر.

وقد روى ابن أبي الدنيا: أنَّ رجلاً قال لبَعض العارفين: أوصني، فقال: اقتن فعل الخيرات، وتوصل إلى الله بالحسنات؛ فإني لم أر شيئاً قط أرضى للسيد مما يحب، فبادر محبته يسرع في محبتك، ثم بكى، فقال له: زدني رحمك الله! قال: الصبر على محبة الله تعالى، وإرادته رأس كل بر ـ أو قال ـ: كل خير[1].

وروى أبو نعيم عن عمر بن ذر رحمه الله قال: من أجمع على الصبر في الأمور، فقد حوى الخير والتمس معاقل البر وكمال الأجور[2].

وروى ابن أبي الدنيا ـ أيضاً ـ عن مضر العابد قال: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبدالله، فقال رجل من الأزد:

مــا إِنْ جَهِــدْتُ سِــوَىْ إِرادَةِ حُبِّــهِ
إِنَّ الْمُحِــبَّ بِكُــلِّ بِــرٍّ يَــضْرَعُ

قال: فبكى مسلم حتى خشيت ـ والله ـ أن يموت[3].

ومن فوائد الحديث: أنَّ الأبرار هم الأتقياء، لأن الأتقياء في الحديث صفة مفسرة مبينة، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡا

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٨٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١١١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٢٠).

رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[آل عمران: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨]، فقابل المتقين بالفجار الذين هم بخلاف الأبرار.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن المغيرة قال: كان عبد الرحمن بن أبي نعم يفطر في رمضان مرتين، وكنا إذا قلنا لعبد الرحمن بن أبي نعم: كيف أنت يا أبا الحكم؟ يقول: إن نكن أبراراً فكرام أتقياء، وإن نكن فجاراً فلئام أشقياء[1].

وقد تبين بذلك أن طلب اللحاق بالأبرار لا يكون بمجرد التمني مجدياً ما لم يتشبه العبد بهم في التقوى والعمل الصالح؛ ألا ترى أن الله أثنى على الطالبين للوفاة مع الأبرار في الآية السابقة بالذكر والفكر والدعاء، ثم قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[آل عمران: ١٩٥].

ثم بيَّن أن الأبرار هم المتقون بقوله: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ ﴾[آل عمران: ١٩٨].

وروى أبو نعيم عن ثور بن يزيد قال: قرأت في التوراة: إنَّ الزُّناة والسُّراق إذا سمعوا بثواب الله للأبرار، طمعوا أن يكونوا معهم بلا نَصَب

---

(١) انظر: «الزهد» (ص: ٢٠٦).

ولا تعب ولا مشقة [على أبدانهم، ولا مخالفة لأهوائهم][1]، وهذا ما لا يكون[2].

وروى أبو القاسم إسحاق الختلي في «الديباج» عن ثور بن يزيد ـ أيضاً ـ قال: مكتوب في بعض الكتب: القلب المحب لله يحبُّ النَّصَب لله، فلا تظن يا ابن آدم أنك مدرك رفعة البر بغير مشقة[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خالد بن شوذب قال: شهدت الحسن وأتاه فرقد رحمهما الله تعالى، فأخذ الحسن بكسائه فمدَّه إليه، فقال: يا فريقد! يا ابن أم فرقد! إن البر ليس في هذا الكساء، إنما البر ما وقع في القلب، وصدَّقهُ العمل[4].

وروى أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيْسَ البِرُّ فِي حُسْنِ اللِّبَاسِ وَالزِّيِّ، وَلَكِنَّ البِرَّ السَّكِيْنَةُ وَالوَقَارُ».

ومن فوائد الحديث المذكور: أنَّ من صفات الأبرار إيثار الخفاء والخمول على الشهرة والنباهة، حتى لا يعرفهم الناس، ولا يهتمون بشأنهم، وهذا علامة الولاية والقرب، والاعتناء بهم من الله

---

(١) زيادة من «حلية الأولياء» (٦/ ٩٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٤).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٦٧) لكنه قال: «إنما التقوى» بدل: «إنما البر».

تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ؛ لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ». رواه الحاكم وصححه، وأبو نعيم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وهو في «صحيح مسلم»، ولفظه: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ»[2].

ورواه البزار من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ بِهِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ»[3].

وأنشد ابن رجب في كتاب «اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى»: [من مجزوء الرمل]

رُبَّ ذِيْ طِمْرَيْنِ نَضْوٍ ... يَأْمَنُ الْعَالَمُ شَرَّهْ
لا يُرى إلا غنياً ... وَهْوُ لا يَمْلِكُ ذَرَّهْ
ثُمَّ لَوْ أَقْسَمَ فِيْ شَيْءٍ ... عَلَى اللهِ أَبَرَّهْ[4]

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٤).

(٣) رواه البزار في «المسند» (٢٠٣٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٤): رجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم، وقد وثقه ابن حبان على ضعفه.

(٤) انظر: «اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب (ص: ١٠٢).

وقال الشيخ العارف بالله سيدي علوان الحموي ﷺ في المعنى:

[من مجزوء الرمل]

رُبَّ ذِيْ طِمْـــرَيْنِ أَشْـــعَثَ يَعْتَرِيْـــهِ وَصْـــفُ غَيْـــرَهْ
تَـــرَكَ الـــدُّنْيا اخْتِيـــاراً فَهُـــوَ لا يَمْلِـــكُ ذَرَّه
خامِـــلِ الـــذِّكْرِ حَقِيْـــرٍ مَهْمـــا يَجْهَـــلُ قَـــدْرَه
إِنْ دَنـــا يَوْمـــاً عَلَيْنـــا فَهُـــوَ مَـــدْفُوْعٌ بِمَـــرَّة
وَلَـــهُ جـــاهٌ وَقَـــدْرٌ عِنْـــدَ مَـــوْلاهُ وَشُـــهْرَة
فَهُـــوْ لَـــوْ آلَـــىْ عَلَـــىْ اللـــ ـــه فِـــيْ يَمِـــيْنٍ لأَبَـــرَّه

وقد قلت في سنة ثمان وتسعين وتسع مئة قصيدة بائيـة في مدح الأولياء، والتحذير من الإنكار عليهم، والترغيب في حبهم مع الإشارة إلى خفائهم، والتلميح بالحديث المذكور، والاقتباس للحديث المتقدم «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]، وقد أحببت إثباتها هنا وهي: [من المجتث]

كَـــمْ مِـــنْ وَلِـــيٍّ خَفِـــيٍّ إِلَيْـــهِ لا يُتَنَبَّـــهْ
تَـــراهُ يَبْـــدُوْ حَقِيْـــراً بِـــشَأْنِهِ لَـــيْسَ يُؤْبَـــهْ
مَـــعْ أَنَّـــهُ ذُوْ مَقـــامٍ تُجِلُّـــهُ أَنْ يُـــشَبَّهْ
أَحَبَّـــهُ اللهُ لَمَّـــا أَصْـــغَىْ إِلَـــىْ اللهِ حُبَّـــهْ

---

(١) تقدم تخريجه.

فَــــلا تكُـــنْ مُنْكـــراً　　أَحْوالَـــــهُ فتَــــشَبَّهْ

فَإِنَّمـــا هُــــوَ سِـــرٌّ　　أَوْلاهُ رَبِّــــيْ مُحِبَّـــهْ

إِنْ لَـمْ تَنَـلْ مِنْـهُ حَظّـاً　　فَلِـمْ تُنـازِعُ حِزْبَـهْ

أَقَلُّهُـمْ لَـيْسَ تَقْـوَىْ　　بِــأَنْ تُـقابِـلَ حَرْبَـهْ

أَنَّـىْ تُحـارِبُ جَيْـشاً　　كـانَ الْمُهَـيْمِنُ حَسْبَهْ

وَاللهِ لَـيْسَ يُهْـزَمُ　　مـع الـضاد لـك حسبه

فـارْجَعْ إِلَـىْ الْحَـقِّ طَوْعـاً　　فَـالْحَقُّ مـا فِيْـه لَعِبَـهْ

وَإِنْ تَـسَلْهُ تُـسَلَّمْ　　وَاللهُ يَكْفِيْـكَ خَطْبَـهْ

وَإِنْ تَـرِدْ بعـد......[1]　　مِـنْ مَنْهَـلِ الْقَـوْمِ شَـرْبَهْ

ولـم يكـن......[2]　　شـهم مـنهم وبينـك نـسبة

فَـاخْلُصْ إِلَـيْهِمْ وَأَخْلِـصْ　　لَهُـمْ فُـؤادَ الْمَحَبَّـةْ

فَإِنَّهـا لَـكَ قُرْبَـةْ　　إِلَـيْهِمُ أَيُّ قُرْبَـهْ

عَـساكَ تُحْـشَرُ مَعْهُـمْ　　فَـإِنَّهُمْ خَيْـرُ حَلْبَـةْ

وَحُـبُّهُمْ فِيْـهِ بِـرٌّ　　وَفِيْـهِ خَيْـرٌ وَحِـسْبَهْ

وفي الحديث [الذي] رويناه «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» [فوائد]، ومن

---

(١) غير واضح في «م».

(٢) غير واضح في «م».

فوائد هذا الحديث: أنَّ من أحوال الأبرار إيثار العزلة والوحدة؛ فإنَّ الخفاء أبلغ ما يكون بها.

روى ابن أبي الدنيا عن الفيض بن إسحاق قال: ذكر عند حذيفة المرعشي الوحدة وما يكره منها، فقال: إنما يكره ذلك للجاهل، فأمَّا عالم يعرف ما يأتي فلا.

وقال: ما أعلم من أعمال البر أفضل من لزومك بيتك، ولو كانت لك حيلة لهذه الفرائض لكان ينبغي لك أن تحتال لها[1].

وسبق أن ابن أبي الدنيا روى عن مالك بن دينار قال: كان الأبرار يتواصون بثلاث: سجن اللسان، والاستغفار، والعزلة[2].

والمراد الاعتزال عن عموم الخلق اشتغالاً بالله تعالى إلا قدر الضرورة، وكلما خاف من أحد فتنة في دينه تعين الفرار منه، ومن ثم ورد التحذير من الدخول على الأمراء؛ لأن فتنتهم أشد، خصوصاً في هذه الأعصار.

وقد روى أبو نعيم عن فضيل بن جعفر: أنَّ الحسن خرج من عند ابن هبيرة، فإذا هو بالقراء على الباب، فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، فرطحتم نعالكم، وشمرتم

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ١٤٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ١٠١).

ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، فأبعد الله من أبعد[1].

ـ ومنها: الخفاء، وإسرار الأعمال الصالحة، وخصوصاً الذكر:

قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الذِّكْرِ الخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِيْ». رواه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «الشعب» من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ[2].

وروى أبو داود، والترمذي، والنسائي عن عقبه بن عامر ﷺ، والحاكم وصححه، عن معاذ ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «الْجَاهِرُ بِالقُرْآنِ كَالجِاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»[3].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ إِلى فَقِيْرٍ فِي سِرٍّ»[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥١)، وقد تقدم ولكن عزاه للدينوري.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٥٠٩) لكن عن أبي هريرة ﷺ.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢٧١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ الله جعل صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً.

قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[1].

وقال قتادة: كل معنى من الصدقات مقبول إذا كانت النية صادقة، وصدقة السر أفضل. رواه ابن جرير[2].

فالأعمال إنما تكون براً بالصدق فيها؛ فإن كانت سراً كانت أبر.

ومن فوائد الحديث السابق أيضاً: أنَّ الأبرار من شأنهم إعراض الناس عنهم، واحتقارهم حتى لا يدعوهم إذا حضروا، ولا يعتنوا بهم، ولا يتفقدوهم إذا غابوا، وهو وصف غالب عليهم، وقد يكونون بخلاف ذلك.

وقد وصف رسول الله ﷺ الفقراء الذين يسبقون إلى الجنة بذلك، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٩٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٧) لابن المنذر.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٩٢).

«يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِيْ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً»، فقيل له: صفهم لنا، قال: «الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، الشَّعِثَةُ رُؤُوْسُهُمْ، الَّذِيْنَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ عَلى السُّدَّاتِ، وَلا يَنْكِحُوْنَ الْمُتَنَعِّمَاتِ، تُوْكَلُ بِهِمْ مَشَارِقُ الأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، يُعْطُوْنَ كُلَّ الَّذِيْ عَلَيْهِمْ، وَلا يُعْطَوْنَ الَّذِيْ لَهُمْ». رواه الطبراني في «معجمه الكبير»، و«الأوسط»[1].

قال المنذري: ورواته ثقات[2].

ومن فوائد الحديث: أنَّ من صفة الأبرار إيضاح سبيل الهدى بالتربية والتعليم، وحسن الرعاية، خصوصاً في أيام الفتن والاختلاط والمحن، كما أن المصابيح توضح الطرق للسائرين في جنح الليالي المظلمة، كما يؤخذ من قوله: «مصابيح الهدى».

فإن قلت: كيف يكونون مصابيح الهدى وهم أخفياء لا يكاد الناس يعرفونهم، ولا يلتفتون إليهم؟

قلت: إنَّما يعرفهم السائرون إلى الله، المريدون لوجهه، الصادقون في إرادتهم له وسيرهم إليه، كما أنَّ النجوم هي مصابيح السماء لا يلتفت إليها أكثر الناس، ولا يراعونها لعدم احتياجهم إليها، بخلاف السائرين في جنح الليالي؛ فإنهم يتقصدونها شروقاً وغروباً، ويتعرفونها، ويتفقدونها، ويراعونها، ويراقبونها لشدة اشتياقهم إليها، فالنجوم في

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤٧٧).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٦٣).

حق هؤلاء ليست خفية عنهم، بخلافها في حق غيرهم ممن هو غافل عنها لعدم احتياجه إليها.

وقد تبين لك بذلك أن الأولياء ليسوا بأخفياء في أنفسهم، ولا محجوبين، وإنما الناس هم المحجوبون عنهم بغفلتهم، وعدم تقصدهم، وأما من طلب الله وصدق في طلبه، وقصدهم في الدلالة عليه، وصدق في قصده إياهم، فإنهم لا يختفون عنه ولا يحجب هو عنهم.

ولما طلب سليمان بن عبد الملك أبا حازم سلمة بن دينار فكلمه، ودعاه إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى أثر كلامه في سليمان، وكان الزهري حاضراً، قال الزهري: إنَّه لجاري ثلاثين سنة وما كلمته قط، وفي رواية: وما علمت أنه يحسن مثل هذا، قال له أبو حازم: إنكَ نسيت الله فنسيتني، ولو أحببتَ الله لأحببتني، قال الزهري: أتشتمني؟ قال أبو حازم: بل أنتَ شتمت نفسك؛ أما علمت أنَّ للجار على جاره حقاً؟

والقصة رواها أبو نعيم، وابن الجوزي، وغيرهما[1].

فأشار أبو حازم إلى أنَّ أهل ولاية الله تعالى المشتغلين به لا يعرفهم إلا من أحبَّ الله تعالى؛ لأنَّ من أحبَّهُ أحبَّ أولياءَه، وطلبهم فوجدهم،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٣٧)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ١٦٠).

والزهري مع ما كان عليهِ من العلم، شغله حاله عن معرفة مقام أبي حازم، وهو جاره ثلاثين سنة، وما كان كلام أبي حازم له إلا من باب النصيحة، وإرشاداً لهُ إلى ما هو مطلوب منه من الإحسان إلى الجار وتفقد أحواله؛ إذ في تفقد أحوال الجار وإكرامه والإحسان إليه التوصل إلى معرفة مقامه والتبرك به والانتفاع بما هو عليه من الحكمة والولاية إن كان من أهلها؛ فافهم!

ومن فوائد الحديث المشار إليه: أنَّ الله تعالى يكرم الأبرار الذين هذه صفاتهم بإنقاذهم من الفتن الغبراوات المظلمات، وهذا من أسعد السعادات، وأفضل الفوائد، وفي حديث المقداد ﵁، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ؛ فَواهاً». رواه أبو داود[1]، وغيره.

ومعنى قوله: «فواها»؛ أي: فوا عجباً لهما.

وروى الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن ابن عمر ﵄ قال: إن لله ضنائن من عباده يغذيهم في رحمة، ويحييهم في عافية، إذا توفاهم توفاهم إلى جنته، أولئك الذين تمرُّ عليهم الفتن كَقِطع الليل المظلم، وهم منها في عافية[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٦٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٦). قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٥٢): ـ فيه ـ مسلم بن عبدالله عن نافع، مجهول بالنقل، حديثه غير محفوظ.

وقد تقدم نظير ذلك: أنَّ الصالحين لا تقوم عليهم الساعة، ولا يقاسون أهوالها، ولا يفتنون في قبورهم، ويدافع عنهم برَّهم، وأعمالهم الصالحة.

وقلت: [من الخفيف]

كُنْ حِبِّيَ بَرّاً لَعَلَّكَ تَنْجُوْ ... مِنْ عَذابٍ وَفِتْنَةٍ غَبْراءِ

تَنْجَلِيْ عَنْكَ بِالصَّلاحِ وَبِالْيُسْرِ ... دَياجِيْ حَنادِسِ الظَّلْماءِ

وَلَدَىْ الْقَبْرِ وَالْقِيامَةِ تُلْفِيْ ... عَمَلَ الْبِرِّ أَنْفَعَ النُّصَراءِ

يا لَهُ مِنْ مُؤانِسٍ وَصَدِيْقٍ ... وافِياً عِنْدَ غَيْبَةِ الأَصْدِقاءِ

* تَنْبِيْهٌ أَوَّلٌ:

الحديث ـ وهو قوله ﷺ: «إِنَّ يَسِيْرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»[1] ـ يشير إلى أن من صفات الأبرار التنزه عن الرياء؛ إذ لا برَّ مع الشرك، والتحلي بحلية الإخلاص، وهذا عماد كل بِرٍّ، وبه ثبات كل خير، وبالإخلاص يحصل لهم الخلاص من الفتن، كما قال رسول الله ﷺ: «طُوْبَى لِلْمُخْلِصِيْنَ، أُوْلَئِكَ مَصَابِيْحُ الهُدَى، تَنْجَلِيْ عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ». رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، والبيهقي في «الشعب» عن ثوبان رضي الله عنه[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص: ٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٤٣).

فوصف ﷺ المخلصين بما وصف به الأبرار، فقال: «أُولَئِكَ مَصَابِيْحُ الهُدَى. . .» إلى آخره، فالإخلاص نور تلك المصابيح، وبه تنجلي الظلماء عنهم، وتتضح لهم طرق الهدى؛ فافهم!

* تَنْبِيْهٌ ثانٍ:

سبقَ تفسير البر في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾[آل عمران: ٩٢] أنه الجنَّة؛ كما رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه[١].

وروى الطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ البِرِّ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ بَابَ الصِّيَامِ يُدْعَى الرَّيَان»[٢].

ظاهر هذا الحديث: أن للجنة أبواباً كثيرة بعدد أنواع البر، والمشهور أنها ثمانية.

يحتمل أنَّ الثمانية هي الأبواب الكبيرة العظيمة ولها أبواب دون ذلك، ويحتمل أن يكون لكل بِرٍّ باب، لكنهُ قد يتوافق أنواع من البر في باب واحد من الثمانية.

[فائدة][٣]: دعاء الأبرار مستجاب؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٧٠).

(٣) غير واضح في «م».

لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[آل عمران: ١٩٥].

ولذلك قال النبي ﷺ في الدعاء لمن أضافوه: «أَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ»[1]؛ لأنهم إذا أكلوا دعوا لصاحبه؛ لأنَّ من السُّنة الدعاء للمضيف وللمحسن، ودعاؤهم ترجى إجابتهُ.

وروي عن زيد بن أسلم قال: خرج عمر رضي الله عنه ذات ليلة يحرس، فرأى مصَباحاً في بيت؛ إذا عجوز تنفش صوفاً وتقول: [من الرجز]

عَلَى مُحَمَّدٍ صَلاةُ الأَبْرارْ
صَلَّىْ عَلَيْهِ الطَّيِّبُوْنَ الأَخْيارْ
قَدْ كُنْتُ قَوَّاماً بِذا بِالأَسْحارْ
يا لَيْتَ شِعْرِيْ وَالْمَنايا أَطْوارْ
هَلْ تَجْمَعَنِّيْ وَحَبِيْبِيَ الدَّارْ

تعني: النبي ﷺ، فجلس عمر رضي الله عنه يبكي.

وفي رواية أنه قال لها: لا تنسي عمر، فقالت:

وَعُمَرُ فَاغْفِرْ لَهُ يا غَفَّارُ[2]

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٤)، وصحح الإمام النووي إسناده في «رياض الصالحين» (ص: ٢٣٥).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٦٣).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمـد في «الزهد» عن أبي ذر ﷺ قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح[1].

وروى أبو نعيم عن سفيان رحمه الله: أنـه قيـل لـه في خلافة أبي جعفر - وهو يتخوف منـه -: يا أبا عبدالله! لو دعوت بدعوات، فقال: ترك الذنوب هو الدعاء[2].

وقد علمت أنَّ البر لا يتم [إلا] بتركك الذنوب، وقلت: [من مجزوء الكامل]

مَهْمـــــا أَرَدْتَ إِجابَـــــةً فِـــــيْ حاجَـــةٍ أَنْ تُـــسْرِعا
فَـــدَعِ الـــذُّنُوْبَ فَإِنَّمـــا تَـــرْكُ الـــذُّنُوْبَ هُـــوَ الـــدُّعا

* فائِدَةٌ أُخْرَىْ:

روى البيهقي عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى: أنه قال: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثـة: حليم من أحمق، وشـريف من دنيء، وبـرٌّ من فاجر[3].

وأخرجه أبو نعيم من قول سليمان بن موسى الأشدق رحمه الله: ثلاثـة لا ينتصفون من ثـلاثـة: حليـم من جـاهل، وبـر من فـاجر،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٧٢)، والإمام أحمـد في «الزهد» (ص: ١٤٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٩٣).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٦٠).

وشريف من دنيء[1].

ووجهه: أن الحليم يمنعه حلمه من السفه ومن مشاكلته، والأحمق الجاهل ليس له عمل يمنعه من قوله فيبقى الحليم في حسرةٍ منه، والشريف يمنعه شرفهُ من التنزل إلى أخلاق أهل الدناءة، ومن مقابلتها بمثلها، ويرى أن مقابلة الدنيء بمثل ما يأتي به مساواة له في الدناءة، والبر يمنعه بره من الفجور، وتقواه من الشقي بالإثم والعدوان.

وقد روى ابن أبي الدنيا في «التقوى»، وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اتَّقَى اللهَ كَلَّ لِسَانُهُ، وَلَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ»[2].

*** فائِدَةٌ ثالِثَةٌ:**

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ٤٤]؛ أي: وتنسون أنفسكم من العمل به.

أو المعنى: أتدلون الناس على ما فيه برهم وتنسون أنفسكم من البر؟

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والبزار، وابن أبي داود في

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٧٨). قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٣٢٧): عبد الرحمن بن حريز الليثي ويقال الفزاري مجهول بالنقل لا يتابع على حديثه، ـ ثم ذكر هذا الحديث، وقال: ـ وفيه رواية من وجه آخر نحو هذا أو يقاربه في الضعف.

«البعث»، وابن حبان، وأبـو نعيم، والبيهقي، وغيـرهم عن أنـس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْـتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيْضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ رَجَعَتْ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، كَانُوْا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِـرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُوْنَ الكِتَابَ، أَفَلا يَعْقِلُوْنَ»[1].

* **فائِدَةٌ رابِـعَةٌ:**

روى أبو نعيم عن أبي عبدالله البراثي[2] رحمه الله: أنـه كـان يقول: ما بينك وبين ملاقاة السرور، ومجالسة الأبرار في كلِّ لذة وحُبور، إلا أن تفارق نفسك من بين جنبيك، والمولى عنك راضٍ، ثم يبكي ويقـول: وأنَّى بالرضا ونحن نعلم ما عندنا من الخطايا والآثام، ثم يبكي[3].

* **فائِدَةٌ خامِسَةٌ:**

روى ابن جهضم عن أبي سعيد الخـراز رحمـه الله قال: سَتَـرَتْ العافية البَر والفاجر، فإذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال[4].

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٧٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣١)، والبزار في «المسند» (٧٤١٨)، وابن حبـان في «صحيحه» (٥٣)، وأبو نعيم في «حلية الأوليـاء» (٨/ ١٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٦٥).

(2) في «م»: «البراقي».

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٣).

(4) ورواه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٢٨٢).

قلت: وأكثر الناس في العافية فجار طغاة بغاة.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

ولكن فجورهم وطغيانهم ونعتهم مستور بالعافية عن أنفسهم يحسبون أنهم أبرار، وأنَّ العافية جزاؤهم، وبعض الناس يحسبون أنفسهم إنما خولوا وعوفوا لبرهم، فإذا جاء البلاء كفروا نعمة الله تعالى، وسخطوا فضلهُ، ووقعوا فيما يقعون فيه، فانكشف أمرهم، وتبين زيفهم.

ومن أفراد معنى العافية: الغنى؛ فإن اللئيم قد يسترهُ ماله، بل جرت العادة أن ذا المال مكرم عند كثير الناس وإن لم ينالوا من ماله، فإذا افتقر انكشفت عيوبه لهم، ولقد أحسنَ القائل:

رُبَّ قَوْمٍ فِيْ خَلائِقِهِمْ ... عررٌ قد صُيِّرُوا غُرَرَا

سَتَرَ الْمالُ الْقَبِيْحَ لَهُمْ ... سَتَرَىْ إِنْ زالَ ما سَتَرَا

فاعلم أنَّ أكثر الناس فجار في العافية والبلاء، وفي الرخاء والشدة إلا من [هداه](1) الله بنور التوفيق، وهم الأبرار، وهذا في كتاب الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]؛ أي: تواصوا

(١) غير واضح في «م».

بالحق في حال العافية والرَّخاء، لا يميلون عن الحق ولا يظلمون حقاً، وتواصوا بالصبر في حال البلاء والشدة؛ لأن الصبر ينتهي بهم إلى البر.

وما بعد حرف الاستثناء في الآية هو مجموع أوصاف الصالحين والأبرار.

وهذه السورة أجمع سورة لأحوال الناس ومصيرهم، وأنفعها موعظة مع كمال الإيجاز ونهاية الإعجاز، ومن ثم كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[العصر: ١ ـ ٢] إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. كما رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» عن أبي مدينة الدارمي، وكانت له صحبة رضي الله عنه[1].

* فائِدَةٌ سادِسَةٌ:

روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوْا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَصَلُّوْا عَلى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَجَاهِدُوْا مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»[2].

المراد بالفاجر ما دون الكافر من عصاة المؤمنين؛ بدليل حديث

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٥٧).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٩) وقال: قد روي في الصلاة على كل بر وفاجر، والصلاة على من قال: لا إله إلا الله، أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف.

ابن عمر رضي الله عنهما: «صَلُّوْا عَلَىٰ مَنْ قالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَخَلْفَ مَنْ قالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ». رواه الطبراني، وأبو نعيم، والخطيب[1].

وإنما صحت الصلاة خلف الفاسق؛ لأن الجماعة رحمة، والعاصي أحوج إليها، وعلى الفاسق؛ لأن الصلاة على الميت دعاء، وهو أحوج إليه، وجاز الجهاد مع الأئمة الفُساق خشية من شق العصا، وإن كان الجهاد مع الأمير البر أفضل، والصلاة خلف الإمام العدل البر أفضل؛ لأن الأئمة شفعاء.

*** فائِدَةٌ سابِعَةٌ:**

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨]؛ أي: برها، وعبر عنه بالتقوى لرعاية رؤوس الآي، مع أنَّ التقوى تؤدي معنى البر كما علمت.

ومعنى ألهمها: بيَّن لها، وعرَّفها.

رواه الحاكم وصححه، عن ابن عباس من طريق مجاهد[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٦٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٠)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٤٠٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٦٧): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه محمد بن الفضل بن عطية، وهو كذاب. وانظر قول البيهقي في التعليق السابق.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٨).

وصححَ عنه من طريق سعيد بن جبير: أنَّه قال: ألهمها: ألزمها[1].

وأخرجه الديلمي من حديث أنس ﷺ مرفوعاً[2].

ومذهب أهل السنة أن التوفيق: خَلقُ قدرة الطاعة والبر في العبد، والخذلان خلق قدرة المعصية.

وروى الطبراني بسند حسن، عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا هذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس: ٧ ـ ٨] وقف، ثم قال: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا وَخَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»[3].

وروى ابن أبي شيبة، والنسائي عن زيد بن أرقم ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا»[4].

* **فائِدَةٌ ثامِنَةٌ:**

قال الله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٩).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٤١٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٩١). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٨).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩١٢٤)، والنسائي (٥٤٥٨)، وكذا رواه مسلم (٢٧٢٢).

﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[القيامة: ٥ ـ ٦].

قال قتاده في قوله: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصم الله. رواه ابن جرير[١].

وقال ابن عباس: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأمل»، والبيهقي في «الشعب»[٢].

وروى ابن جرير عنه أنه قال: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾؛ يعني: الأمل، يقول: أعمل ثم أتوب[٣].

وهذا حال أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى، فيقدم [نية المعصية والعمل السيىء، ويؤخر][٤] نية البر والعمل الصالح، كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[يوسف: ٥٣].

فطول الأمل للعمل الصالح والاستكثار من البر والخير محمود من صفة الأبرار، وطول الأمل لمتابعة الهوى وتحصيل شهوات الدنيا والاستكثار من الأغراض العاجلة مذموم من صفة الفجار.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٧٧) عن قتادة، عن الحسن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «قصرالأمل» (ص: ١٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٧٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٧٧).

(٤) زيادة من المحقق.

* **فائِدَةٌ تاسِعَةٌ:**

روى أبـو نعيم عـن أبي هـريـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ صَبَاحٍ فَيَعْلَمُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مَا يَكُوْنُ فِي آخِرِ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَيَقْسِمُ اللهُ تَعَالى فِيْهِ قُوْتَ كُلِّ دابَّةٍ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَجِيْءُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ وَإِنَّ الشَّيطَانَ بَيْنَ عَاتِقَيْهِ فَيَقُوْلُ لَهُ: اكْذِبْ بِالْحَقِّ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُ رِزْقَهُ بِكَذِبٍ وَفُجُوْرٍ، فَذَلِكَ الْخَائِنُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ بِبِرٍّ وَتَقْوَى، فَذَلِكَ الَّذِي عَزَمَ اللهُ ﷻ عَلى رُشْدِهِ»[1].

* **فائِدَةٌ عاشِرَةٌ:**

روى الديلمي في «مسند الفردوس» عن علي، وعن ابن عمر ﭭ: أن النبي ﷺ قال: «لا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَكَنَفِهِ مَا لَمْ يُعَظِّمْ أَبْرَارُهَا فُجَّارَهَا، وَيُدَاهِنْ خِيَارُهَا شِرَارَهَا»، وإسنادهما ضعيف[2].

وروى أبو سعيد بن الأعرابي في «شرف الفقر»، وابن السمعاني في «أماليه» عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدُ اللهِ وَكَنَفُهُ عَلى هَذِهِ الأُمَّةِ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِثَلاثٍ: مَا لَمْ يُوَقِّرْ أَبْرَارُهَا فُجَّارَهَا، وَيَمِلْ قُرَّاؤُهَا إِلى أُمَرَائِهَا، وَيُعَظِّمْ خِيَارُهَا شِرَارَهَا،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٦١).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٥٩٥) عن ابن عمر. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٥٦): رواه الديلمي من حديث علي، وابن عمر، وإسنادهما ضعيف.

فَإِذَا فَعَلُوْا ذَلِكَ أَخَذَهُمُ اللهُ عَجَلَّ بِالذُّلِّ، وَابْتَلاهُمْ بِالفَقْرِ، وَسَلَّطَ عَلَيهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ يَسُوْمُوْنَهُمْ سُوْءَ العَذَابِ»[1].

قلتُ: ومصداق هذا الحديث في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[الرعد: ٣٧].

فقد أخبر سبحانه نبيه ﷺ ـ وهو أبر الأبرار، وخير الأخيار ـ أنه إنْ مال إلى أهواء الفجار تخلى عنه فلا يقيه، ولا ينصرهُ، ولا يواليه، وإنما خاطب بذلك النبي ﷺ وإن كان المراد بمثل ذلك غيره من الأمة؛ لأن ذلك أبلغ في زجر الأمة عن متابعة الفجار، وإنما يقع التعميم في الوعيد بين الأخيار والأشرار إذا وَقَّرَ الأخيار الأشرار، وعظموهم، ومالوا إليهم، لأنهم تساووا حينئذ في الظلم المستتبع للعذاب؛ لأن الميل إلى الظالم وتوقيره محبة لظلمه، ورضى به، والراضي بالظلم ظالم كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[هود: ١١٣].

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في الآية:

---

(١) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٨٢).

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ ﴾ : لا تميلوا[1].

وروى ابن أبي حاتم عنه أنه قال فيها : لا تداهنوا[2].

وقال عكرمة : ولا تركنوا إلى الذين ظلموا : أن تطيعوهم، أو تودوهم، أو تصطنعوهم.

وقال أبو العالية : لا ترضوا أعمالهم. رواهما أبو الشيخ[3].

وروى ابن جهضم عن حذيفة المرعشي رحمه الله : أنه قال : إياكم وهدايا الفجار والسفهاء؛ فإنكم إن قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم[4].

* **فائِدَةٌ حادِيَةَ عَشْرَةَ :**

روى ابن أبي شيبة عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : إن الإمام مثل السوق يأتيه ما كان فيه؛ فإن كان بَرّاً جاءه أهل البِر، وإن كان فاجراً جاءه أهل الفجور[5].

* **فائِدَةٌ ثانِيَةَ عَشْرَةَ :**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عثمان السحام أبي سلمة، عن

---

(1) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٢٧).

(2) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٨٩).

(3) انظر : «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٨٠).

(4) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٦٩).

(5) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٣٠).

شيخ من أهل البصرة كان له فضل، وكان له سن: أنَّ داود عليه السلام قال: أي ربِّ! كيف لي أن تحببني في أهل الدنيا البـر والفاجـر؟ قال: يا داود! تصانع أهل الدنيا لدنياهم، وتحب أهل الآخرة لآخرتهم، وتختار إليك دينك[1].

يعني: فإنك إذا بلغت ذلك لا يضرك من ضل إذا اهتديت.

وفي ضد هذا المعنى: ما رواه أبو نعيم عن أبي طيبـة الجرجاني قال: قلت لكرز بن وبرة رحمه الله: ما الذي يبغضه البر والفاجر؟ قال: العبد يكون من أهل الآخرة ثم يرجع إلى الدنيا[2].

قلت: سبب بغض الأبرار له إعراضهُ عن طلب الآخرة، وحبه الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، وسبب بغض الفجار له أنه زاحمهم ـ لرجوعه إلى الدنيا ـ على مطلوبهم.

*** فائِدَةٌ ثالِثَةَ عَشْرَةَ:**

روى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن باكُويه الشيرازي في «الألقاب» عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الفَاجِـرُ الرَّاجِيْ لِرَحْمَةِ اللهِ أَقْرَبُ مِنْهَا مِنَ العَابِـدِ الْمُقْنِطِ»[3].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٧١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٠).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصـول» (١/ ٩٣)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٤٢٧).

إنما لم يقابل الفاجر بالبر بل بالعابد؛ لأنه لا برَّ له مع القنوط من رحمه الله تعالى أصلاً.

* **فائِدَةٌ رابِعَةَ عَشْرَةَ:**

روى أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» عن كثير بن عطية، عن رجل لم يسمَّ، عن النبي ﷺ: أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدَاً، فَيُحِبَّهُ قَلْبِي».

وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث معاذ رضي الله عنه، وأبو موسى المديني في كتاب «تضييع العمر والأيام» من طريق آل البيت مرسلاً، وطرقه كلها ضعيفة[1].

وفيه ترتبت المحبة على الإحسان، كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً، وموقوفاً: «جُبِلَتِ القُلُوْبُ عَلى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيهَا».

رواه جماعة منهم ابن عدي في «الكامل»، والبيهقي، وقال: إن الموقوف معروف[2].

ويشير إلى معناه: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أَحِبُّوْا اللهَ لِمَا يَغْذُوْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوْنِي لِحُبِّ اللهِ إِيَّايَ».

---

(١) انظر «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١/ ٤٥٦).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٢٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٨٤).

حسنه الترمذي[1].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن الحارث قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبني، وأحب عبادي، وحببني إلى عبادي، قال داود: يا رب! هذا أحبك، وأحب عبادك، فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: تذكرني عندهم؛ فإنهم لا يذكرون مني إلا الحسن[2].

وقوله: «وأحب عبادي»: الإضافة فيه تخصيصية؛ أي: عبادي المختصين بي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[الحجر: ٤٢]، وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

فأما محبة العصاة منهم والفجار من حيث المعصية فمنهي عنها.

وفي قوله ﷺ: «لا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ يَدَاً» يخرج البَرَّ؛ فإن يده محبوبة وإحسانه مقبول، وإذا دعا إحسانه المحسن إليه إلى حبه، فحبه من أفضل الأعمال بخلاف الفاسق.

ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن إجابة طعام الفاسقين. رواه

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٨٩) وحسنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٢).

الطبراني، والبيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما[1].

* **فائِدَةٌ خامِسَةَ عَشْرَةَ:**

روى البغوي في «معجم الصحابـة»، والبـزار، والطبراني، وابن السَّكَن في «صحاحه»، وابن منده، وصححه ابن حجر، وغيره، عن أبي طويل شطب الممدود[2] رضي الله عنه: أنه أتى النبي ﷺ قال: أرأيت رجلاً عمل الذُّنوبَ كُلَّها فلم يترك مِنها شيئاً، وهو مع ذلك لم يَتركْ حاجةً ولا داجةً إلا أتاها فهل لذلك من توبـة؟ قال: «أَلَيْسَ قَدْ أَسْلَمْتَ؟» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، قال: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ حَسَنَاتٍ كُلَّهُنَّ»، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: «نَعَمْ»، قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى[3].

هذا الحديث: فيه دليل على أن البر لا يضر صاحبه ما تقدمه من

---

(١) رواه الطبـراني في «المعجم الكبيـر» (١٨/ ١٦٨)، والبيهقي في «شـعب الإيمان» (٥٨٠٣).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابـة في تمييز الصحابة» (٣/ ٣٤٩): قال البغوي: أظن أن الصواب عن عبد الرحمن بن جبيـر: أن رجلاً أتى النبي ﷺ طويلا شطباً. والشطب يعني في اللغـة: المدود؛ يعني: فظنه الراوي اسماً، فقال فيه: عن شطب أبي طويل.

(٣) رواه البغـوي في «معجم الصحابـة» (١/ ٣٤٩)، والطبـراني في «المعجم الكبير» (٧٢٣٥)، وانظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١٤٤).

الفجور، وأنه يُكفر الفجور، ويؤيده ما سبق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤].

وفيه دليل أن التوبة أول أبواب البر، كما يشير إليه قوله: «وتترك السيئات»؛ فإن التوبة إنما تتحقق بترك المعصية.

* **فائِدَةٌ سادِسَةَ عَشْرَةَ:**

البر يقابل الفجور، وهو كما في «القاموس»: الانبعاث في المعاصي، ويقال: فجرَ: إذا فَسقَ، وكذب، وعصى، وخالف(١).

وفي حديث ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقاً، وَإِيَّاكُمْ وُالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلى الفُجُوْرِ، وَإِنَّ الفُجُوْرَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً»(٢). رواه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم، والترمذي.

وروى الطبراني في «الكبير» عن معاوية ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلى البِرِّ وَهُمَا فِي الجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٨٤) (مادة: فجر).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٦)، ومسلم (٢٦٠٧)، والترمذي (١٩٧١)، وكذا رواه البخاري في «صحيحه» (٥٧٤٣).

فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلى الفُجُوْرِ وَهُمَا فِي النَّارِ»[1].

وروى الإمامان مالك، وأحمد، والبخاري في «الأدب»، والنسائي، وابن ماجـه، وصححه ابن حبان، والحـاكم، وغيـرهما، عن أبي بكر الصديق ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّـهُ مَعَ البِرِّ وَهُمَا فِي الجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الفُجُوْرِ وَهُمَا فِي النَّارِ»[2].

*** فائِدَةٌ سابِـعَةَ عَشْرَةَ:**

روى أبو داود، والترمذي، والحاكم عن أبي هريـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ، وَالفَاجِرُ خَبٌّ لَئِيْمٌ»[3].

الخب ـ بفتح الخاء المعجمة، والكسر ـ: الْخَدَّاع.

قابل المؤمن بالفاجر، وهو موافق لقول المحققين: إنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ.

وأراد بالمؤمن الطائع المنبعـث في الطاعـة، وبالفاجر العاصي

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٨٠). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٦٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، وابن ماجـه (٣٨٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٣٤) عن أبي بكر الصديق ﷺ، وهو عند الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٠) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (١٢٨).

المنبعث في المعصية.

وفيه دليل على أن الخديعة ليست من أخلاق الأبرار، ولا اللؤم من صفاتهم.

*** فائِدَةٌ ثامِنَةَ عَشْرَةَ:**

روى الإمام أحمد، وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا، فذبه عنه(1).

وأراد أن المؤمن يهتم لذنبه، ويخاف العقوبة؛ لأنه مصدق بالوعيد، والفاجر يتمرن على الذنب ويرين الذنب على قلبه، فيضعف تصديقه بالوعيد، فلا يهتم للذنب، ولا يخاف العقوبة، فلا يبادر إلى التوبة ولا يعتني بأمرها، بخلاف المؤمن البر.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «محاسبة النفس» عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[القيامة: ٢]؛ قال: إنَّ المؤمن لا نراه إلا يلوم نفسه؛ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بالكلمة؟ ما أردت بحديثي؟ نفسي؟ ولا أراه إلا معاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه(2).

ومعنى قوله: قُدُماً ـ بضم القاف والدال المهملة، وبإسكانها ـ؛ أي: شجاعاً في المعصية، له جرأة عليها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٣)، وكذا رواه البخاري (٥٩٤٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٥).

* **فائِدَةٌ تاسِعَةَ عَشْرَةَ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي شيبة عن عبدالله بن مرة رحمه الله: أنَّ رجلاً قال لأبي الدرداء ﷺ: أوصني، قال: اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يكفيك، خير من كثير يلهيك، واعلم أنَّ البر لا يبلى، والإثم لا ينسى[1].

وإنما كان البر لا يبلى؛ لأنـه صار عنـد الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل: ٩٦].

* **فائِدَةٌ مُتَمِّمَةُ الْعِشْرِيْنَ:**

روى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود ﷺ قال: ما من نفسٍ بـرَّةٍ، ولا فاجرةٍ إلا وأنَّ الموت خيرٌ لها من الحياة؛ لئن كان براً لقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٨]، ولئن كان فاجراً لقـد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[آل عمران: ١٧٨][2].

قلت: ولعل محل هذا فيما لو خشي البر على نفسه بالحياة، أو خشي عليه تغير الحال، أو خِيفَ على الفاجـر الاسترسال في الفجـور فيعظم عقابه، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٨٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٧٢).

وَحَسُنَ عَمَلُهُ». رواه الترمذي من حديث عبدالله بن بُسر ﷺ، وحسنه[1].

وصحح من حديث أبي بكـرة ﷺ: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[2].

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ». رواه الشيخان[3].

وروى الترمذي، والبيهقي في «الزهد» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَـدٍ يَمُـوْتُ إِلا نَـدِمَ»، قالوا: وما ندامتـه يا رسول الله؟ قال: «إِنْ كَـانَ مُحْسِنـاً نَـدِمَ أَنْ لا يَكُوْنَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيْئـاً نَدِمَ أَنْ لا يَكُوْنَ نَـزَعَ»[4].

والقول الحق في هذا المقام: إنَّ من وفقـه الله للبـر حتى استوفى أجله الذي أجل له وهو على برهِ، فحياته خير ومماته خير، ومن خذله الله عن البر ويسره للفجور حتى مات فاجراً، فلا خير فيه ولا خير له.

وندامة الأول ـ إن صح الحديث ـ ليست من قبيل ما سبق له في

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٣٠).

(٣) رواه البخاري (٦٨٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٠٣) وقال: إنما نعرفـه من هذا الوجه، ويحيى بن عبيدالله قد تكلم فيه شعبة. والبيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ٢٧٩).

القضاء، بل من حيث نسبةُ نفسهِ إلى التقصير واعترافُه بالعجز، وفي ذلك تمام الاعتراف بالعبودية، وهو نافع له في تلك الدار في ترقية المقام وبسط الرضا، وتمهيد المأوى، وإن لم تكن تلك دار تكليف؛ لأن العبودية باقية في تلك الدار، وإنما المرفوع عنهم فيها التكليف بالعبادة.

وأمَّا ندامة المسيء فإنها زيادة في نكاله؛ إذ لا تنفعه الندامة، بخلاف المحسن الأول إذا ندم أولاً ازداد فإنها تنفعه وترفعه كما علمت، وهذا يندم فتثير الندامة منه الحسرات والزفرات، فلا ينتفع منها بشيء إلا إن كان له إحسان وإيمان فإن إحسانه يكفر إساءته مع الإيمان، أما مع غير الإيمان فلا الندامة تنفعهم، ولا الاعتراف ينقذهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠ ـ ١١]، فندامتهم زيادة في النَّكال، بخلاف ندامة الأبرار على ترك الزيادة، فإنها تؤول بهم إلى الازدياد من الكرامة، وفرق بين الندامتين.

وتأمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٧]: جمع بينهم في أن كل واحد منهم في شأن مخصوص به لا يتفرغ منه لغيره، ثم فرق بين حالي البر والفاجر، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[عبس: ٣٨ ـ ٤٢].

وكأن في كلامه حذفاً تقديره: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة؛ أولئك هم الأتقياء البررة.

* تَنْبِيهٌ نَفِيسٌ:

اعلم أنَّ العبد كلما كانت نفسه متمنعة عن طاعة الله تعالى وبره لتعلقها بالدنيا واسترسالها مع الهوى، كان تشبهه بالكُمَّل الأبرار والصالحين الأخيار أعظمَ أجراً عند الله تعالى وثواباً؛ لأنه أكثر جهاداً لنفسه، وأقوى دفاعاً لها عن الهوى.

ويدلُّ لذلك: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الَّذِيْ يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالذِيْ يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ». رواه الأئمة الستة[1].

وروى أبو نعيم عن عبدالله بن المبارك: أن سفيان الثوري رحمه الله كان يقول: الأجر على قدر الصبر[2][3].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٥٣)، ومسلم (٧٩٨)، وأبو داود (١٤٥٤)، والترمذي (٢٩٠٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٤٧)، وابن ماجه (٣٧٧٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٤).

(٣) وقال ابن عبد السلام: هذا ليس بمطرد، فقد تكون بعض العبادة أخف من بعض، وهي أكثر فضلاً بالنسبة إلى الزمان؛ كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليالي من رمضان غيرها، وبالنسبة للمكان كصلاة ركعتين في المسجد الحرام بالنسبة لصلاة ركعات في غيره، وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة بالنسبة إلى أكثر من عدد ركعاتها أو من قراءتها، ونحو ذلك =

ومن ثم كان الصلاح والكمال في النساء أقل منه في الرجال؛ لأن حبَّ الدنيا واتباع الهوى فيهن أغلب منها، وأمكن فيهم حتى قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيْرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ ـ يعني: في الأمم الماضية ـ إِلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلى سَائِرِ الطَّعَامِ». رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[1].

ومن ثم ـ أيضاً ـ كان تبرر النساء أعظمَ أجراً من تبرر الرجال.

وقد روى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فُجُوْرَ المَرْأَةِ الفَاجِرَةِ كَفُجُوْرِ أَلْفِ فَاجِرٍ، وَإِنَّ بِرَّ المَرْأَةِ المُؤْمِنَةِ كَعَمَلِ سَبْعِيْنَ صِدِّيْقاً»[2].

فإن قلت: إذا كان كذلك فلِمَ تضاعف إثم فجورها مع توفر شهوتها؟

= من صلاة النافلة، وكدرهَمٍ من الزكاة بالنسبة إلى أكثر منه من التطوع. انتهى.
قال العيني: هذا الذي ذكره لا يمنع الاطراد، لأن الكثرة الحاصلة في الأشياء المذكورة ليست من ذاتها، وإنما هي بحسب ما يعرض لها من الأمور المذكورة، فافهم فإنه دقيق. انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٠/ ١٢٤).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٧٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٤)، ومسلم (٢٤٣١)، والترمذي (١٨٣٤)، وابن ماجه (٣٢٨٠)، وكذا رواه البخاري (٣٢٥٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠١).

قلت: لأن الله تعالى لما وفر شهوتها وضاعفها، وفَّر حياءها وضاعفه لها أيضاً، كما قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلَتِ الْمَرْأَةُ عَلى الرَّجُلِ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِيْنَ جُزْءاً مِنَ اللَّذَّةِ، وَلكِنَّ اللهَ أَلْقَى عَلَيهِنَّ الحَيَاءَ». رواه البيهقي في «الشعب» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[١].

ولذلك لا تسأل المرأة حليلها الوقاع، بخلاف الرجل، فإذا فجرت المرأة، فإن حجاب الحياء الذي تخرقه بفجورها أعظم من الحجاب الذي يخرقه الرجل بفجوره، فعظم إثمها لذلك، والله سبحانه أعلم.

*** تَتِمَّةٌ مُهِمَّةٌ، وَخاتِمَةٌ حَسَنَةٌ:**

قد علمت أن من تشبه بالصالحين والأولياء والأبرار كان منهم، فإذا تشبه بهم في شيء مرة واحدة فهو منهم في الجملة ولا يحرم من خيرهم، وكلما زاد وأكثر كان فيهم أدخل.

وقد روى الإمام عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، والخطيب البغدادي في «تاريخه» عن عمرو بن قيس المُلائي رحمه الله: أنه قال: إذا سمعت شيئاً من الخير فاعمل به ولو مرَّة تكن من أهله[٢].

وإنما قال ذلك لأن الله ﷻ لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٣٧). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٧/ ٣٦٣): فيه أبو داود مولى أبي مكمل، قال البخاري: منكر الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٧٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٦٥).

وأبلغ من ذلك: ما رواه الطبراني، وأبو نعيم عن أبي البَخْتَري قال: أصاب سلمان جارية، فقال لها بالفارسية: صلي، قالت: لا، قال: فاسجدي واحدة، قالت: لا، قيل: يا أبا عبد الرحمن! ما تغني عنها سجدة؟ قال: إنها لو صَلَّتْ صَلَّتْ، وليس من له سهم كمن لا سهم له[1].

وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثني عبد الخالق ابن جبير قال: سمعت أبا موسى الطرسوسي يقول: ما تفرغ عبدٌ لله تعالى ساعة إلا نظر الله إليه بالرحمة[2].

وكذلك من نوى أن يتشبه بهم، ويقتدي بهم لا يحرم بركتهم؛ لقوله ﷺ في حديث الصحيحين: «وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[3].

وقلت: [من مجزوء الرجز]

انْـــوِ مُعانـــاةَ الْجَـــوَىْ	فِـيْ حُـبِّ أَرْبـابِ الْهَـوَىْ
تَلْحَـــقْ بِهِـــمْ فَإِنَّمـــا	لِكُـــلِّ مـــرِءٍ مـــا نَـــوَىْ
يـــا مَـــنْ رَوَىْ حَـــدِيْثَهُمْ	مـــا الْمُهْتَـدِيْ كَمَـنْ غَـوَىْ
وَلا الَّـــذِيْ أَتَـــىْ بِمـــا	أَتَـــوْا بِـــهِ كَمَـــنْ رَوَىْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٤): فيه ضرار بن صرد أبو نعيم، وهو ضعيف جداً.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٠).

(٣) تقدم تخريجه.

وقد نص ابن الحاج في «مدخله» على ما ذكرته، فقال في فضل الخروج إلى المسجد، وكيفية النية فيه: وينوي إذا خرج إلى المسجد الاقتداء والاقتباس بآثار من أمرنا باتباعهم من العلماء والصلحاء، ويتأدب بآدابهم؛ يعني: بالنظر إلى تعبدهم، وتصرفهم لأنه «ليس الخبر كالمعاينة»[1]، انتهى[2].

وينبغي لمن نوى التشبه بالصالحين، والتخلق بأخلاقهم أن يرجو نجاز ذلك وتنفيذه من الله تعالى، ولا يعزم على نفسه في ذلك بنذر ونحوه خوفاً من الإخلاف من ذلك؛ فإنه من أفعال المنافقين.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

نسأل الله تعالى العافية، ونبرأ إليه من الحول والقوة، وليس للعبد البار الصالح أحسن من الإنفاق من كنز: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال له: «أَلا أُخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ؟ لا حَوْلَ عَنْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «المدخل» لابن الحاج (١/ ٤١).

مَعْصِيَةِ اللهِ إِلا بِعِصْمَةِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ عَلى طَاعَـةِ اللهِ إِلا بِعَوْنِ اللهِ؛ هَكَذَا أَخْبَرَنِي جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ».

وأخرجه ابن مردويه، والخطيب، والديلمي بنحوه من طرق[1].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ في تفسيرها: لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله[2].

وعن زهير بن محمد: أنـه سئل عن تفسيرها، فقال: لا تأخـذ ما تحب إلا بالله، ولا تمتنع عما تكره إلا بعون الله[3].

وروى ابن أبي شيبة عن مطرف رحمه الله: أنه كان يقول: لو كان الخيـر في كـف أحدنا ما استطاع أن يفرغـه في قلبـه إلا بتوفيـق من الله تعالى، ومشيئته، والله الموفق[4].

وقلت في معناه: [من الرجز]

لو أنَّ وصفَ الخيرِ في كفِّ امرىء ... مـا اسـتطاعَ أن يُفْرِغَـهُ فـي قلبـه

إلا بتوفيــقٍ مِــنَ اللَّــهِ بــه ... لا يكفِـهِ الإنــسانُ غيــرَ مَرْتــه

❐ ❐ ❐

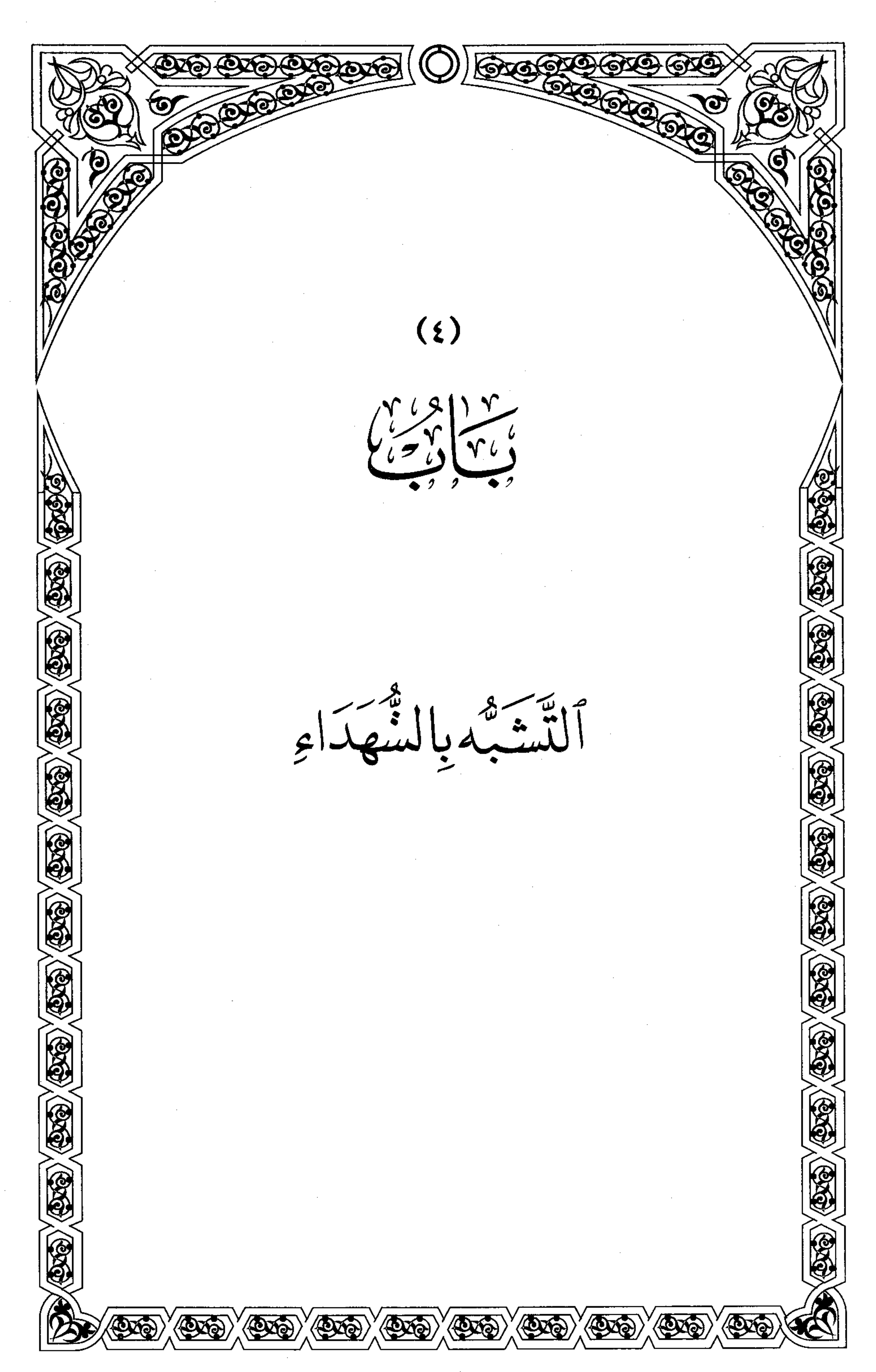
---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٩٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٣٣).

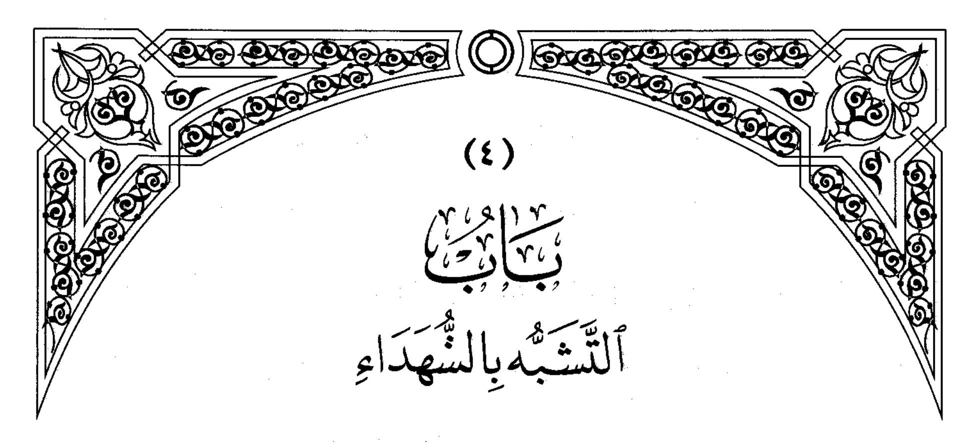


(٤)

بَابُ

التَّشَبُّهِ بِالشُّهَدَاءِ





(٤)

بَابُ
ٱلتَّشَبُّهِ بِالشُّهَدَاءِ

اعلم أن الشهداء إما أن تفسرهم بالذين جادوا بأنفسهم حتى قتلوا في سبيل الله تعالى.

وإمَّا أن تفسرهم بالعلماء الراسخين في العلم لأنهم شهداء الله في الأرض، وهم الواقفون في مقام الاستدلال من أهل العلم.

فإن أخذنا بالتفسير الأول ـ وهو المتبادر ـ فبهذه الشهادة يستكمل العبد مقامات الصلاح؛ لأن حقيقة الصلاح شغل النفس بالطاعة مادامت باقية، فإذا انتهت من الطاعة إلى الجود بذاتها فقد بلغت الغاية.

وقد روى النسائي، والحاكم وصححه، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ رجلاً جاء إلى الصلاة والنبي ﷺ يصلي بنا، فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: «مَنِ الْمُتِكَلِّمُ آنِفاً؟» قال: أنا، قال: «إِذَنْ يُعْقَرُ جَوادُكَ، وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيْلِ اللهِ»[١].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٨).

فاعلم أن العبد لا يكون له اختيار في تحصيل الشهادة بنفسه أصلاً إلا بتقديم نفسه للجهاد فقط، ثم إن شاء الله تعالى قُتِلَ في سبيله، وإن شاء سَلِمَ، وحصلَ على أجر الجهاد، وهما الحسنيان.

نعم، إذا تقدم إلى الجهاد بنية طلب القتل في سبيل الله تعالى وهو مطمئن النفس على ذلك لو حصل كُتِبَ له ما نوى، فإن قُتِلَ فذاك، وإلا كانت سلامته صدقةً عليه من الله تعالى.

فلا طريق إلى التشبه بالشهداء إلا تقديم النفس إلى الجهاد، أو طلب الشهادة من الله تعالى، وتوطين النفس على القتل.

وفي «معجم الطبراني الأوسط» بإسناد صحيح: أنَّ عمر رضي الله عنه قال يوم أُحد لأخيه: خذ دِرعي يا أخي، قال: إني أريـد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعاً[1].

وقد وقعت الإشارة إلى ذلك بقولـه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١].

فانظر كيف فسر الله تعالى بيع المؤمنين أنفسهم إياه بمقاتلتهم الكفار المترتب عليها؛ إمَّا قتلُ المؤمن أحداً من الكفار، وإما قتله هـو بسبب

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٠٠).

إصابة أحد من الكفار له، أو بسبب إصابة نفسه سلاحه خطأً في قتالهم، أو نحو ذلك.

أمَّا قتلُ الإنسان نفسه على سبيل التعمد فإنه ليس من هذا الباب، سواء كان في معركة الحرب، أو دونها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩].

وروى الشهاب عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة[1] إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

وفي رواية: أَيُّنَا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين يديه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ قال: أشهد إنك رسول الله، قال: «وَما ذاكَ؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل

---

(١) الشاذة: التي انفردت من الجماعة، وكذلك الفاذة، وأصله في الغنم، ثم نقل إلى كل من فارق جماعة وانفرد عنها. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٠/ ٢٢١).

النار؛ قتل نفسه، فأعظم الناس ذلك[1].

فدل هذا الحديث أن من قتل نفسه، تعمداً، أو تعجلاً بالموت، فهو من أهل النار؛ أي: إلا أن يعفو الله تعالى عنه، فهو من أهل الجرائم الذين إن نجوا كان ذلك فضلاً من الله تعالى عليهم، لا من أهل الدرجات والمقامات كالشهداء.

نعم، من مات بفعل نفسه في الجهاد على سبيل الخطأ فإنه شهيد، بل له أجران لما في «الصحيحين» عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فكان سيف عامر به قصر، فتناول به ساق يهودي ليضربه، فرجع ذباب سيفه فأصاب ركبة عامر، فمات منه، فقلت: يا رسول الله! زعموا أن عامراً حبط عمله؟ قال: «مَنْ قَالَ؟ كَذَبَ مَنْ قَالَ، إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ؛ إِنَّهُ لَمُجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ»[2].

وإنما لم يكن قتله لنفسه محبطاً لعمله كما زعموا؛ لأنه لم يتعمد قتل نفسه كما تعمد ذلك الرجل المذكور في حديث سهل المذكور.

فإن قلت: فإن العبد إذا طلب الشهادة، وقاتل ليقتل في سبيل الله فإنه يكون مأجوراً مع أنه اختار القتل؛ فما الفرق بينه وبين ما لو قتل نفسه اختياراً؟

قلت: إن العبد إذا طابت نفسه بأن يقتل في سبيل الله، وجاهد

---

(١) ورواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١١٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٠)، ومسلم (١٨٠٢).

لحصول ذلك، فإن ذلك لا يكون منه تعمداً لقتل نفسه، وإنما أمره الله تعالى أن يجاهد في سبيله مع أنه بين له أن الجهاد فيه الابتلاء الكل؛ لأن الغاية فيه إما إلى قتل العدو، وإما إلى قتل المقاتل، فوعد سبحانه من يجاهد مطمئن القلب على حصول أحد الأمرين بالثواب الجزيل، وهو أجر الجهاد والاستشهاد، وهو الحسنيان، وإنما بين الله تعالى ما يؤول إليه أمر الجهاد ليوطن المجاهد نفسه على ذلك، فيكون البيع الواقع على النفس منجَّزاً عن طيب نفس من غير غبن ولا خديعة، فإن رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا البَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ». رواه ابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه[1].

وقال ﷺ لرجل ذكر أنه يخدع في البيع: «مَنْ بَايَعْتَ فَقُلْ لَهُ: لا خِلابَةَ»، والحديث في «الصحيحين» وغيرهما[2].

وخِلابة ـ بكسر المعجمة، وبالموحدة ـ: الغبن والخديعة.

قال الرافعي، والنووي رحمهما الله تعالى: واشتهر في الشرع أنها عبارة عن اشتراط الخيار ثلاثة أيام، انتهى[3].

فإذا كان هذا مأخوذاً به في المبايعة بين العباد، فالأخذ به في المبايعة بين الله تعالى وبين العباد أحق وأحرى؛ فإن الغَبن والخديعة ظلم، وما ربك بظلام للعبيد.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٨٥)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٤٩٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٠١١)، ومسلم (١٥٣٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الشرح الكبير» للرافعي (٨/ ٣١٠)، و«المجموع» للنووي (٩/ ١٨٣).

ولئن كان في الشرع لمن بايع العباد أن يشترط الخيار ثلاثة أيام فقط، على الأصح من مذاهب العلماء، فإن الله تعالى جعل العبد مختاراً في المبايعة إلى أن يموت، بدليل أنه وإن امتنع عن الجهاد حيث تعين عليه مدة عمره حتى لم يبقَ من عمره إلا ساعة قبل الموت أو ظهور الآيات فتاب، وعزم على المجاهدة، وألزم عقد المبايعة بينه وبين الله تعالى، كان الله تعالى موجباً لعقد مبايعته، ملزماً لربط معاقدته.

وقد قلت في المبايعة المشار إليها: [من الخفيف]

إِنَّ رَبِّيْ مُبَايِعٌ أَحْبَابَهْ
خَيْرَ بَيْعٍ وَلَيْسَ فِيْهِ خِلابَةْ

فَاشْتَرَىْ مِنْهُمُ النُّفُوْسَ وَلَوْلا الْـ
ـفَضْلُ مِنْهُ لَمَا اسْتَبَاحُوْا خِطابَهْ

بِجِنَانٍ فِيْهِنَّ مَا تَشْتَهِيْ النَّـ
ـفْسُ وَمَا إِنْ فِيْهِنَّ شَيْءٌ يَشابَهْ

يَا لَهَا بَيْعَةٌ بِأَطْيَبِ رِبْحٍ
لَيْسَ فِيْهَا وَاللهِ إِلاَّ الإِصَابَةْ

مَنْ يَنَلْهَا يَنَلْ أَعَزَّ مَقَامٍ
يَرْفَعِ اللهُ قَدْرَهُ وَجَنابَهْ

وَيُنَعِّمْــــــهُ بِالــــشُّهُوْدِ وَأَنّـــــىْ

لِـــيْ بِهـــا مِـــنْ فَـــضِيْلَةٍ مُـــسْتَطابَةْ

إِنَّ نَفْـــسِي النَّفُـــوْرَ قَـــدْ أَقْعَـــدَتْنِيْ

عَـــنْ كِـــرامِ الْهَـــوَىْ وَأَهْـــلِ الـــصَّبابَةْ

رَبِّ خَلِّـــصْ حَقِيْقَتِـــيْ لَـــكَ حَتَّـــىْ

لا سِـــوَىْ يَـــسْلُبُ الْفُـــؤادَ صَـــوابَهْ

زَكِّ نَفْـــسِي فَأَنْـــتَ خَيْـــرُ مُـــزَكٍّ

لا تَـــدَعْها بِمـــا سِـــواكَ مُـــشابَةْ

وَأَبِحْنِـــيْ رِضـــاكَ دُنْيـــاً وأُخْـــرى

بِالَّـــذِيْ شَـــرَّفْتَ بِـــهِ أَرْضَ طابَـــةْ

صَـــلَواتِيْ عَلَيْـــهِ فِـــيْ كُـــلِّ حِـــيْنٍ

وَعَلَـــىْ آلِـــهِ الرِّضَـــا وَالـــصَّحابَةْ

عوداً على بدء:

فإنما حسن للإنسان طلب الشهادة، واختيار القتل في سبيل الله تعالى؛ لأنه مجرد طمأنينة تحت أحكام الله تعالى، ومحض تسليم لقضائه، ورضى بقدره وحكمه، بخلاف قتل الإنسان لنفسه؛ فإنه ليس كذلك، وإنما هو تحكم على الله تعالى فيما هو ملكه حقيقة.

بل نقول: إنَّ المؤمن لا يملك نفسه لأنها دخلت تحت المبايعة، كما قال سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى: لا نفس للمؤمن لأنها دخلت تحت البيع من الله تعالى[1]، فإذا قتل نفسه فقد تصرف في غير ملكه بغير إذن المالك، بل تجرأ على ما لا يملك، وتعدى عليه، فأتلفه مع نهي مالكه له عن إتلافه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

فقد تبين لك بذلك أن طلب الشهادة، واختيار القتل في سبيل الله تعالى تنفيذ للبيع وتسليم للمبيع لمبتاعه، وقتل المؤمن نفسه إتلاف من البائع للمبيع بعد صدور العقد وانتقال الملك فيه إلى المشتري، فتفطن لما ذكرناه، وتدبر ما حررناه!

ومن لطائف عبدالله بن رواحة ﷺ قوله وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، كما في السير، وغيرها: [من الرجز]

قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِيْ تَنْزِيْلِهْ

بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِيْ سَبِيْلِهْ[2]

وإيضاح هذه الخيرية أن المقتول ظلماً بصدد المغفرة والثواب، إلا أنه لا يبلغ ثواب المقتول في الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فالقتل في سبيل الله تعالى خير أنواع القتل المتسبب عنه ثواب المقتول.

---

(١) ذكره السلمي في «حقائق التفسير» (١/ ٢٨٦).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٥٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٢١).

ثم قتل النفس ظلماً شر للقاتل، سواء كان المقتول نفس القاتل أو غيره، إلا أنه إذا قتل نفسه كان شر أنواع القتل؛ لأن أعز الأشياء على المرء نفسه، فإذا قتل نفسه لم يدع من القسوة والتفريط شيئاً، فهو شر القتل في سبيل الشيطان، كما أن القتل في الجهاد خير القتل في سبيل الرحمن، فافهم!

ثم هنا لطيفة: من كرم الله تعالى أن جادَ علينا بالنفوس والأموال، ثم اشتراها منا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة: ١١١].

وكذلك أفاض علينا النعم والأموال منَّاً، ثم اقترضها بلطفه منا؛ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقد قلت مترجماً عن الحضرة الإلهية، ومشيراً إلى الذات العلية كما هي عن سواها غنية: [من المتقارب]

وَهَبْتُـــكَ نَفْـــسَكَ ثُـــمَّ اشْتَرَيْــــ
ــــتُ نَفْـــسَكَ مِنْـــكَ بِأَثْمانِهـــا

وَأَعْطَيْتُـــكَ الْمـــالَ ثُـــمَّ اقْتَرَضْــــ
ــــتُ مِنْـــكَ الزَّكـــاةَ لإِخْوانِهـــا

وَوالَيْـــتُ نَعْمـــاءَ فَـــضْلٍ عَلَيْـــ
ــــكَ لَمَّـــا ابْتَـــدَأْتَ بِإِحْـــسانِها

وَمِـــنْ بَعْـــدِ ذَلِـــكَ قابَلْـــتُ مـــا
أَتَـــانِيَ مِنْهـــا بِـــشُكْرانِها

فَهَـــذا دَلِيْـــلٌ عَلَـــىْ غُنْيَتِـــيْ
وَفَقْـــرِ عَبِـــيْدِي إلـــى حانِهـــا

* تَنْبِيْهٌ:

ليس من التشبه بالشهداء ـ أيضاً ـ تمني لقاء العدو، ومن ثم قال ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَإِذَا لَقِيْتُمُوْهُمْ فَاثْبُتُوْا». رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

والحكمة في ذلك: أن العبد قد لا يثبت عند اللقاء فيكون عليه فتنة كما أشار إليه النبي ﷺ في رواية الإمام أحمد، والطبراني بقوله: «فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُوْنَ ما يَكُوْنُ فِيْ ذَلِكَ»[2]؛ أي: في لقاء العدو.

فأما بعد اللقاء فالثبات مطلوب، وبه يحصل التشبه بالشهداء، ووظيفته حينئذ طلب المبارزة، والصبر عليها، وعدم الفرار، وتثبيت القلب بموعود الله تعالى.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على المبارزة[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٣)، ومسلم (١٧٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٠٥٦).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٨): فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف.

وقال أبو أيوب ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ العَـدُوَّ فَصَبَـرَ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَغْلِبَ، لَمْ يُفْتَنْ فِيْ قَبْرِهِ»[1]. رواهما الطبراني.

وروى الخطيب في «تالي التلخيص» عن أبي عبدالله سعيد بن يزيد النَّباجي الزاهد قال: بينما نحن صافون نقاتل العـدو بأرض الروم، فإذا أنا بغلام كأحسن من رأيت من الغلمان، وعليـه طرة وقفا، وعليـه حلة ديباج، وهو يقاتل قتالاً شديداً، ويقول: [من مجزوء الرمل]

أَنَـــا فِـــيْ أَمْـــرِيْ رَشَـــادِ　　　بَـــيْنَ غَـــزْوٍ وَجِهَـــادِ

بَـــدَنِيْ يَغْـــزُوْ عَـــدُوِّيْ　　　وَالْهَـــوَىْ يَغْـــزُوْ فُـــؤَادِيْ

قال: فدنوت منه، فقلت: يا غلام! هذا القتـال، وهذه المقالـة، والطرة، والقفا، والحلة لا يشبه بعضه بعضاً؟ فقال الفتى: أحببت ربي، فشغلني حبه عن حب غيـره، فتزينت لحـور العين، لعلها تخطبني إلى مولاها.

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٩٤)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٢٥٥٦).



فصل

إنما قيل للقتيل في سبيل الله شهيداً ـ وقد تُكسرُ شينه ـ لأن الملائكة عليهم السلام تشهده.

أو لأنَّ الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة.

أو لأنه ممن يستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية.

أو لسقوطه على الشاهدة؛ أي: الأرض.

أو لأنه حي عند ربه حاضر.

أو لأنه شهد ملكوت الله، وملكه.

نص على ذلك كله صاحب «القاموس» فيه[1].

وعلى الوجهين الأولين يكون بمعنى المفعول، فهو مشهود له.

وعلى سائر الوجوه بمعنى الفاعل.

ويظهر من تقديم صاحب «القاموس» الوجهين الأوليين ترجيح كونه بمعنى المفعول.

وعندي ترجيح كونه بمعنى الفاعل، وأنه إنما سمي شهيداً؛ لأنـه

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٧٢) (مادة: شهد).

يشهد على ما غاب عن غيره مما أعد الله تعالى له من النعيم والمقام الكريم، وما له فيه من الرزق والأزواج والملك الكبير والرضا الدائم، ومن ثم يخفف عنه القتل، كما قال رسول الله ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيْدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إلا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ». رواه الترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وروى الترمذي وصححه، [و]ابن ماجه، والبيهقي عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لِلشَّهِيْدِ خِصَالاً: يُغْفَرُ لَهُ فِيْ أُوْلَى دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَتَحُلُّ عَلَيْهِ حُلَّةُ الإِيْمَانِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوْضَعُ عَلى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ؛ اليَاقُوْتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ زَوْجَةً مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِيْنَ إِنْسَاناً مِنْ أَقَارِبِهِ»[2].

ورواه الإمام أحمد، والطبراني من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه[3].

وروى البيهقي في «الشُّعب» عن أبي بكر محمد بن أحمد التميمي قال: سمعت قاسم بن عثمان الجوعي رحمه الله تعالى يقول: رأيت

---

(١) رواه الترمذي (١٦٦٨) وصححه، والنسائي (٣١٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٥).

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (٢٧٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٥٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣١)، وعزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢١٠) إلى الطبراني.

في الطواف حول البيت رجلاً لا يزيد على قوله: اللهم! قضيت حاجة المحتاجين، وحاجتي لم تقضِ؟ فقلت له: ما لك لا تزيد على هذا الكلام؟ فقال: أحدثك: كنَّا سرية رفقاء من بلدان شتى، غزونا أرض العدو فاستؤسرنا كلنا، فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا، فنظرت إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين، على كل باب جارية، فقدم رجل منا فضُرِبَت عنقه، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض حتى ضُرِبَت أعناق ستة، وبقيت أنا وبقي باب وجارية، فلما قُدمتُ لتُضرَب عنقي استوهبني بعض رجاله، فوهبني له، فسمعتها تقول: أي شيء فاتك يا محروم وأغلقت الباب؟ وأنا يا أخي متحسر على ما فاتني.

قال قاسم بن عثمان: أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروا، وترك يعمل على الشرف[1].

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٢٦)، وعنده: «الشوق» بدل «الشرف».



فصل

يدل على فضل التشبه بالشهداء والمجاهدين الآيات والأحاديث الواردة في فضل الجهاد وفضل الشهداء، والأحاديث الواردة ـ أيضاً ـ في تمني النبي ﷺ والصالحين للقتل في سبيل الله، وكذلك تمني الشهداء أن يعودوا إلى الدنيا فيقتلون مرة أخرى، وكذلك ما ورد في استحباب طلب الشهادة من الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾[التوبة: ١١١] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾[النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

روى عبد الرزاق عن أبي مِجْلَز رحمه الله تعالى: أنه قال في قوله تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾: بلغني أنها سبعون درجة، بين كل درجتين سبعون عاماً كالجواد المُضَمَّر[١].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٥٤٥).

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِيْ الْجَنَّةِ مِئَـةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَـا اللهُ لِلْمُجَاهِـدِيْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوْهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[1].

وروى مسلم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَبَا سَعِيْدٍ! مَنْ رَضِـيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلامِ دِيْناً، وَمُحَمَّدٍ نَبِـيّاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّة».

قال: فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها يا رسول الله، ففعل.

قال رسول الله ﷺ: «وَخَصْلَةٌ أُخْرى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، فقال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الْجِهَادُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[2].

وروى البخـاري عن أبي هريـرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَـدِهِ! لَوْلا أَنَّ رِجالاً[3] مِنَ الْمُـؤْمِنِيْنَ لا تَطِيْبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوْا عَنِّيْ، وَلا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيهِ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُوْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٨٤).

(٣) في «م»: «رجلاً».

وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ! لَوَدِدتُ أَنِّيْ أُقْتَلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحيا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحيا»[١].

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوْتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَـهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا، إِلاَّ الشَّهِيْدُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ؛ فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»[٢].

وروى الشيخان، والترمذي من حديثه ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَـهُ مَا عَلى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلاَّ الشَّهِيْدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ»[٣].

وروى مسلم، وأبـو داود، والترمـذي، والنسـائي عن سـهل بن حُنَيْفٍ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِـدْقٍ بَلَّغَـهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلى فِرَاشِهِ»[٤].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ [صادقاً] أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤٤).

(٢) رواه البخاري (٢٦٤٢).

(٣) رواه البخاري (٢٦٦٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٧)، والترمذي (١٦٤٣).

(٤) رواه مسلم (١٩٠٩)، وأبو داود (١٥٢٠)، والترمذي (١٦٥٣)، والنسائي (٣١٦٢)، وكذا ابن ماجه (٢٧٩٧).

(٥) رواه مسلم (١٩٠٨).

وروى ابن حبان في «صحيحه» واللفظ له، والحاكم وصححه، عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جُرِحَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ جُرْحاً، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَرِيْحُهُ رِيْحُ المِسْكِ، وَلَوْنُهُ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ، وَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ، وَمَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالى الشَّهَادَةَ مُخْلِصاً أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيْدٍ وَإِنْ مَاتَ عَلى فِرَاشِهِ»[1].

وروى مسلم، وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ، مَاتَ عَلى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ»[2].

واعلم أنه لا يَرِد على ما ذكرناه هنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥]؛ لأنَّ هذه الآية نزلت في تارك الجهاد.

وروى الترمذي وصححه، عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر، قال: وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ﷺ، وعلى الجماعة فضالة ابن عبيد ﷺ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! يلقي بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب ﷺ فقال: أيها الناس! إنكم لتأولون هذا التأويل، وإنما نزلت

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣١٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤١٠). وكذا رواه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧)، والنسائي (٣١٤١).

(٢) رواه مسلم (١٩١٠).

هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون النبي ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ما يَرُد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥]، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دُفِن بأرض الروم[1].

* تَنْبِيْهٌ:

ولا بد في المتشبه بالشهداء بالجهاد وطلب الشهادة أن يكون ذلك منه خالصاً لوجه الله الكريم؛ لما تقدم أنه لا يشبه الزِّيُّ الزِّيَّ حتى يشبه القلب القلب، وإلا كان عمله محبطاً، وإن جرت عليه أحكام الشهداء ظاهراً لو قتل في الجهاد.

وقد روى الشيخان، وأصحاب السنن عن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! الرجل يقاتل للغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه؛ فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُوْنَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ عز وجل»[2].

(١) رواه الترمذي (٢٩٧٢) واللفظ له، وصححه، وكذا أبو داود (٢٥١٢).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (١٩٠٤)، وأبو داود (٢٥١٧)، والترمذي=

وروى أبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أنه قال: يا رسول الله! أخبرني عن الجهاد والغزو، فقال: «يَا عَبْدَاللهِ! إِنْ قَاتَلْتَ صَابِـراً مُحْتَسِباً بَعَثَكَ اللهُ صَابِـراً مُحْتَسِباً، وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِياً مُكَاثِراً بَعَثَكَ اللهُ مُرَائِياً مُكَاثِراً، يَا عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو! عَلى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ، أَوْ قُتِلْتَ، بَعَثَكَ اللهُ عَلى تِلْكَ الحَالْ»[1].

وروى هو، والنسائي، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جـاء رجـل إلى رسول اللهِ ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شَيْءَ لَهُ»، فأعادها ثلاث مراتٍ يقول رسول الله ﷺ: «لا شَيْءَ لَهُ» ثم قال: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العَبْدِ إِلا مَا كَانَ خَالِصاً، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[2].

وحكى الغزالي رحمه الله تعالى في «منهاج العابدين» عن أحمد بن أرقم البلخي رحمه الله ـ وكان من الصالحين ـ أنـه قال: نازعتني نفسي بالخروج إلى الغزو، فقلت: سبحان الله! إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف: ٥٣]، وهذه تأمرني بالخير، لا يكون هذا أبداً، ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس، فتتريح إليهم، ويتسامع الناس بها، فيستقبلونها بالتعظيم والبر والإكرام.

= (١٦٤٦)، والنسائي (٣١٣٦)، وابن ماجه (٢٧٨٣).

(١) رواه أبو داود (٢٥١٩).

(٢) رواه النسائي (٣١٤٠).

قال: فقلت لها: لا أنزلك العمران، ولا أنزل على معرفة، فأجابت، فأسأت الظن بها وقلت: الله أصدق، فقلت: أقاتل العدو حاسراً لتكون في أول قتيل، فأجابت.

وعد أشياء مما أرادها فأجابت إلى ذلك كله، فقلت: يا رب! نبهني لها؛ فإني متهم لها، مصدق ذلك، فكوشفت كأنها تقول لي: يا أحمد! أنت تقتلني كل يوم بمنعك إياي من شهواتي، ومخالفتك، ولا يشعر به أحد، فإن قاتلت قُتِلت مرة واحدة فنجوت منك، وتسامع الناس بي، فيقال: استشهد أحمد، فيكون لي شرفاً وذكراً.

قال: فقعدت، ولم أخرج إلى الغزو في ذلك العام.

قال حجة الإسلام الغزالي: وانظر إلى خداع النفس وغرورها! ترائي الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد.

قال: ولقد أحسن القائل هنا: [من البسيط]

تَوَقَّ نَفْسَكَ لا تَأْمَنْ غَوائِلَها
فَالنَّفْسُ أَخْبَثُ مِنْ سَبْعِينَ شَيْطاناً[1]

* تَنْبِيهٌ:

روى الإمام محمد بن جرير الطبري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُؤْمِنُوْ أُمَّتِي شُهَدَاءُ»، ثم تلا

(١) انظر: «منهاج العابدين» للإمام الغزالي (ص: ١٤٤).

النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[الحديد: ١٩][1].

قلت: وهذا الحديث يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون معنى قوله: «شهداء» أنهم شهداء للأنبياء عليهم السلام على أممهم بالتبليغ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣]؛ فإن الظاهر أن هذه الشهادة تكون يوم القيامة من عامة الأمة على وجه الاتفاق وإن كان من الأمة من هو ذو عصيان؛ لأنَّ إطباق أمة هي أعظم الأمم على الشهادة أبلغ في نصرة الأنبياء عليهم السلام في إثبات الحجة على الأمم.

وهي شهادة صحيحة مقبولة لأنها من لازم الإيمان، وقد وصفنا العاصي من هذه الأمة بالإيمان مع العصيان ما لم يكن مشركاً.

ويؤيد هذا الوجه: استشهاد النبي ﷺ بالآية، وقد قال تعالى فيها: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[الحديد: ١٩]؛ إذ الأحسن أن يكون الظرف متعلقاً بنفس الشهداء؛ أي: الذين يشهدون عند ربهم.

والوجه الثاني: أن يكون المراد أن مؤمني هذه الأمة في رتبة الشهداء من غير هذه الأمة، بل في رتبة الصديقين من غيرهم أيضاً.

وعليه يُحملُ ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعبد الرزاق عن مجاهد، وعبد بن حميد عنه، وعن عمرو بن ميمون: أنهم قالوا:

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢٣١).

«كل مؤمن صِدِّيْقٌ، وشهيد»، ثم قرأ كل منهم الآية[1].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ﷺ: أنه قال يوماً وهم عنده: كلكم صِدِّيْقٌ، وشهيد، قيل له: ما تقول يا أبا هريرة؟ قال: اقرؤوا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الحديد: ١٩][2].

فإن قلت: هل من دليل على هذا الاحتمال؟ وهل في لفظ حديث البراء ما يفهم منه ذلك؟

قلت: نعم، يفهم من قوله: «مُؤْمِنُو أُمَّتِيْ»، ولم يقل: «المؤمنون».

ثم رأينا أن الله تعالى قسم المؤمنين إلى صِدِّيْقِين، وشهداء، وصالحين، وأظهر في آيات خصوصيات الشهداء على عامة المؤمنين، فحملنا قول النبي ﷺ: «شهداء» في قوله: «مُؤْمِنُوْ أُمَّتِي شُهَدَاءُ» على شهداء غير هذه الأمة على وجه التشبيه؛ أي: مثل شهداء سائر الأمم.

ونظير ذلك: ما رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رَاحَ مِنَّا سَبْعُوْنَ رجُلاً إِلى الْجُمُعَةِ كَانُوْا كَالسَّبْعِيْنَ[3] الذِيْنَ وَفَدُوْا عَلى رَبِّهِمْ، أَوْ أَفْضَلَ»[4].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٦١).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٦٠).

(٣) في «المعجم الأوسط» للطبراني (٥٨٠٢): «كسبعين موسى».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٨٠٢). قال الهيثمي في «مجمع =

و«أو» بمعنى: بل.

وقد قلت في منظومتي في «خصائص يوم الجمعة»: [من الرجز]

وَإِنْ إِلَى الْجُمُعَةِ راحَ مِنَّا
سَبْعُوْنَ إِنْساناً فَقَدْ سَمِعْنا

بِأَنَّهُمْ كَقَوْمِ مُوْسَى السَّبْعِيْنْ
إِذْ وَفَدُوْا لِرَبِّهِمْ مُجِدِّيْنْ

بَلْ إِنَّهُمْ يا صاحِ مِنْ أُوْلَئِكْ
أَفْضَلُ فِيْ الأَحْوالِ وَالْمَسالِكْ

* * *

= الزوائد» (٢/ ١٧٦): فيه أحمد بن بكر البالسي، قال الأزدي: كان يضع الحديث.



فَصْلٌ

وقد ألحق النبي ﷺ بالمقتول بسبب الجهاد في حصول ثواب الشهادة جماعة لا تدخل أحوالهم تحت الاختيار، فينبغي التنبيه عليهم هنا.

روى الإمام مالك، والشيخان، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُوْنُ، والْمَبْطُوْنُ، وَالْغَرِيْقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيْدُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[١].

وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِيْ القَتْلِ شَهَادَةً، وَفِيْ الطَّاعُـوْنِ شَهادَةً، وَفِي البَطْنِ شَهَادَةً، وَفِيْ الغَرَقِ شَهَادَةً، وَفِيْ النُفَسَاءِ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعَاً شَهَادَةً»[٢].

وروى الأربعة، وابن حبان في «صحيحه» عن جابر بن عَتيك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَىٰ القَتْل فِيْ سَبِيْلِ اللهِ: الْمَبْطُوْنُ

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣١)، والبخاري (٢٦٧٤)، ومسلم (١٩١٤)، والترمذي (١٠٦٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٤).

شَهِيْدٌ، وَالغَرِيْقُ شَهِيْدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيْدٌ، وَالْمَطْعُوْنُ شَهِيْدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيْقِ شَهِيْدٌ، وَالَّذِيْ يَمُوْتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيْدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوْتُ بِجَمْعٍ شَهِيْدَةٌ»[1].

قال المنذري: يقال: ماتت المرأة بجمع ـ مثلث الجيم ـ: إذا ماتت وولدها في بطنها، وقيل: إذا ماتت عذراء[2].

قلت: ويؤيد الأول حديث عبادة بن الصامت المتقدم.

ويحتمل أن النبي ﷺ عين التي يقتلها جنينها في حديث عبادة، وأراد بقوله في حديث جابر «وَالْمَرْأَةُ تَمُوْتُ بِجِمَاعٍ»: العذراء؛ لأن المعنيين معروفان في لسان العرب، والله الموفق.

وروى الإمام أحمد بسند حسن، عن راشد بن حبيش رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على عبادة بن الصامت رضي الله عنه يعوده في مرضه، فقال رسول الله ﷺ: «أَتَعْلَمُوْنَ مَنِ الشُّهَدَاءُ مِنْ أُمَّتِيْ؟»، فَأَرَمَّ القوم؛ أي: تقدموا، فقال عبادة: ساندوني، فأسندوه، فقال: يا رسول الله! الصابر المحتسب؟ فقال رسول الله: ﷺ «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِيْ إِذَنْ لَقَلِيْلٌ: القَتْلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ عز وجل شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُوْنُ شَهَادَةٌ، وَالغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَىْ الْجَنَّةِ».

---

(١) رواه أبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦)، وابن ماجه (٢٨٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٩٠).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢١٨).

وزاد أبو العوام سَادِنُ بيت المقدس: «وَالْحَرْقُ، وَالسُّلُّ»[1].

قال المنذري: والسادن ـ بالسين، والدال المهملتين ـ: هو الخادم.

والسل ـ بكسر السين، وضمها، وتشديد اللام ـ: هو داء يحدث في الرئة يؤول إلى ذات الجنب، وقيل: زكام، أو سعال طويل مع حمى هادئة، وقيل غير هذا[2]. انتهى.

وقال صاحب «القاموس»: والسل: بالكسر، والضم، وكغراب: قرحة تحدث في الرئـة إما تعقب ذات الرئـة، أو ذات الجنب، أو زكام ونوازل، أو سعال طويل، ويلزمها حمى هادئة.

قال: وقد سُل ـ بالضم ـ، وأسله الله، فهو مسلول[3]، انتهى.

وقال العلامة علاء الدين بن النفيس في «الموجز»: السل: هو قرحة في الرئة يلزمها حمى دقيقة للقرب من القلب، ونفث المدة، ويفرق بينها وبين البلغم باستدارتها ونتن رائحتها، وخصوصاً إذا وضعت على الجمر وبين سرتها في الماء.

قال: وقد يكـون ذلك انتقالياً من ذات الجنب، أو ذات الرئـة إذا تفتحت، وقد يكون لنزلة أكالة، وقد يكون لتفرق اتصال تقادم، ويتقدمه نفث دم وريدي.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٩).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢١٩).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٣١٢) (مادة: سلل).

قال: والمبتدىء من هذا قلما يبرأ، والمستحكم لا علاج له، إنما يتلطف به ليهون أمره، انتهى.

قلت: لا يبعد أن تكتب الشهادة للمسلول، سواء انتهى مرضه إلى ذات الجنب، أو ذات الرئة، أو انتشا عنه، وسواء لزم مرضه حمى الدق، أو لا، أو كان مرضه مجرد سعال، أو نزلة، ويقال لها سقوط إذا مات بهذه العلل أو بعضها؛ لأن الكل يسل.

وروى الطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر ﵁، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ»[1].

وروى أبو داود بسند جيد، عن أم حرام رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْمَائِدُ فِيْ البَحْرِ الَّذِيْ يُصِيْبُهُ القَيْءُ لَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ، وَالغَرِقُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ»[2].

والمائد الذي يصيبه الغثيان والدوار من ركوب البحر، وكذا من السكر، كما في «القاموس»[3].

وقوله في الحديث: «الذي يصيبه القيء» يحتمل أنه من كلام

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٢٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٠١): رجاله ثقات. وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (٦/ ١٨).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٩٣).

(٣) انظر «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (ص: ٤٠٩)، (مادة: ميد).

النبي ﷺ فيكون تفسيراً للمائد، وتقييداً لبلوغه الشهادة بأن ينتهي ميده إلى القيء.

ويحتمل أن يكون التفسير مدرجاً في الحديث من كلام بعض الرواة فلا يكون قيداً، بل تحصل الشهادة بمجرد حصول الدوار والغثيان وإن لم ينتهِ إلى القيء.

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي عن ابن عمرو[1] رضي الله عنهما، والإمام أحمد عن علي رضي الله عنه، وهو وأبو يعلى عن الحسين رضي الله عنه، والإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ»[2].

وروى النسائي، والضياء المقدسي في «المختارة» عن سُوَيْدِ بن

---

(١) في «م»: «ابن عمر».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٣)، والبخاري (٢٣٤٨)، ومسلم (١٤١)، والترمذي (١٤١٩)، والنسائي (٤٠٨٤) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٧٨) عن علي رضي الله عنه.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٧٨) وأبو يعلى في «المسند» (٦٧٧٥) عن الحسين رضي الله عنه.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٨)، وأبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤١٨) وصححه، والنسائي (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٢٥٨٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٩٤) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

مُقَرِّنٍ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَظْلَمَتِه فَهُوَ شَهِيْدٌ»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2].

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُوْنَ أَهْلِهِ ظُلْماً فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ ظُلْماً فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ جَارِهِ ظُلْماً فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ فِيْ ذَاتِ اللهِ عز وجل فَهُوَ شَهِيدٌ».

وروى عبد الرزاق عن عبيدة بن الحارث صاحب رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُوْنُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيْقِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الغَرَقِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الغَمِّ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوْتُ بِجَمْعٍ شهيدٌ»[3].

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَوْتُ

---

(١) رواه النسائي (٤٠٩٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٩٠)، وأبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١) وصححه، والنسائي (٤٠٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٩٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٦٩٥) لكن عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

الغَرِيْبِ شَهَادَةٌ»(١).

وروى الطبراني في «الكبير»، والرافعي في «تاريخ قزوين» عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَوْتُ الرَّجُلِ فِيْ الغُرْبَةِ شَهَادَةٌ، وَإِذَا احتُضِرَ فَرَمَىْ بِطَرْفِهِ عَنْ يَمِيْنِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ فَلَمْ يَرَ إِلاَ غَرِيْباً، وَذَكَرَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، وَتَنَفَّسَ، فَلَهُ بِكُلِّ نَفَسٍ يَتَنَفَّسُ بِهِ يَمْحُوْ اللهُ بِهِ أَلْفَيْ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ أَلْفَي أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَيُطْبَعُ بِطَابَعِ الشُّهَدَاءِ إِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ»(٢).

وروى أبو نعيم عن مكحول رحمه الله قال: مَنْ مَاتَ مُدَارِياً، مَاتَ شَهِيدَاً(٣).

وهذا مثله لا يقال رأياً، فحكمه حكم المرفوع.

وروى ابن عساكر عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «الغَرِيْقُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِيْقُ شَهِيدٌ، وَالغَرِيْبُ شَهِيدٌ، وَالْمَلْدُوْغُ شَهِيدٌ، وَمَنْ يَقَعُ عَلَيهِ البَيْتُ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ أَخِيْهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ جَارِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالآمِرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّاهِيْ عَنِ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦١٣)، وإسناده ضعيف. انظر: «البدر المنير» لابن الملقن (٥/ ٣٦٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٣٤)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٣٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣١٨): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٤).

الْمُنْكَرِ شَهِيْدٌ»[1].

وقوله: «والآمِرُ بِالْمَعْرُوْفِ» إلى آخره يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون على إطلاقه، فيشارك الشهداء في أجر الشهادة بمجرد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء قُتِل، أو مات.

والثاني: أن يكون المعنى: والآمر بالمعروف إذا قُتِل بسبب ذلك شهيد على نسق: «من قُتل دون نفسه أو دون دينه أو دون أخيه».

ويدل عليه ما صححه الحاكم، وأورده الضياء في «المختارة» عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَىْ إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنهَاهُ، فَقَتَلَهُ»[2].

وروى الطبراني بسند صحيح، عن ابن مسعود ﷺ قال: إنّ من يتردى من رؤوس الجبال وتأكله السباع، ويغرق في البحار لشهداء عند الله تعالى»[3].

وعن عقبة بن عامر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[4].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٣/ ١٦٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٨٨٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧١٨). وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٤).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٢٣). وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ١٨).

وعن أبي مالـك الأشعري رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: «مَنْ وَقَصَـهُ بَعِيرُهُ أُوْ فَرَسُهُ، أَوْ لَدَغَتْـهُ هَامَّةٌ، أَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فِيْ سَبِـيْلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء يموتُ[2] عَلَى فِرَاشِهِ فِيْ سَبِـيْلِ اللهِ شَهِيدٌ».

وقال ذلك في المبطون، واللديـغ، والغريق، والشريق، والـذي يفترسه السبع، والخارِّ عن دابته[3].

وروى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أُجِيْرَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَجَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ»[4].

روى ابن ماجـه، وأبو نعيم، وصححـه بعض العـلمـاء، عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مَرِيْضاً[5] مَاتَ شَهِيْدَاً،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤١٨). وكذا رواه أبو داود (٢٤٩٩).

(٢) في «م»: «المرعوب».

(٣) رواه الطبـراني في «المعجم الكبيـر» (١١٦٨٦). قال الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (٥/ ٣٠٠): فيه عمرو بن عطية بن الحارث الوادعي وهو ضعيف.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٥).

(٥) قال أبو حاتم ـ كما في «علل الحديث» (١/ ٣٥٨) ـ: هذا خطأ إنما هو «من مات مرابطاً» غير أن جريج هكذا رواه، وسئل أبو زرعة عن هذا الحديث، =

وَوُقِيَ فِتْنَةَ القَبْر، وَغُدِيَ عَلَيْهِ وَرِيْحَ بِرِزْقٍ مِنَ الْجَنَّةِ»[1].

وروى أبو نعيم عن خلف بن حوشب رحمه الله قال: دخل جبريل عليه السلام، أو ملك على يوسف عليه السلام وهو في السجن، فقال: أيها الملك الطيب الريح، الطاهر الثياب! أخبرني عن يعقوب عليه السلام، أو ما فعل يعقوب عليه السلام، قال: ذهب بَصَره، قال: ما بلغ من حزنه؟ قال: حُزْنُ سبعين ثَكْلى، قال: ما أجره؟ قال: أجر مئة شهيد[2].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الحزن» عن ثابت البُناني رحمه الله قال: دخل جبريل على يوسف السجن عليهما السلام فعرفه، فقال: أيها الملك الطيبة ريحه، الطاهرة ثيابه، الكريم على الله ربه! هل لك علم بيعقوب عليه السلام؟ قال: نعم؛ بكى عليك حتى ذهب بصره، قال: فما بلغ حزنه؟ قال: حُزْنُ سبعين ثكلى، قال: فما له على ذلك من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيد[3].

وروى الخطيب عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ

= فقال: الصحيح «من مات مرابطاً». وانظر: «تصحيفات المحدثين» للعسكري (١/ ١٣٤).

(١) رواه ابن ماجه (١٦١٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٠١). وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٧٤).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٧).

عَشِقَ فَعَفَّ، ثُمَ مَاتَ، مَاتَ شَهِيدَاً»[1].

وروى هو، وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَشِقَ وَكَتَمَ، وَعَفَّ، فَهُوَ شَهِيْدٌ»[2][3].

وقال أبو الوليد الباجي ملمحاً بالحديث: [من الوافر]

إذا مـاتَ الْمُحِـبُّ هَـوىً وَعِـشْقاً
فَتِلْـكَ شَـهادَةٌ يـا صـاحِ حَقَّـا

رَواهُ لَنـا ثِقـاتٌ عَـنْ ثِقـاتٍ
إِلَـىْ الْحَبْـرِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ تَرَقَّـا[4]

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٧٩).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٥٦).

(٣) قال ابن القيم في «روضة المحبين» (ص: ١٨٠): وهذا حديث باطل على رسول الله ﷺ قطعاً، لا يشبه كلامه، وقد صح عنه أنه عدَّ الشهداء ستاً، فلم يذكر فيهم قتيل العشق شهيداً، ولا يمكن أن يكون كل قتيل بالعشق شهيداً، فإنه قد يعشق عشقاً يستحق عليه العقوبة، وقد أنكر حفاظ الإسلام هذا الحديث على سويد، وقد تكلم الناس فيه، فقال ابن المديني: ليس بشيء، والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق مضطرب الحفظ، ولا سيما بعدما عمي. وقال البخاري: كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه. وقال أبو أحمد الجرجاني: هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد. وأنكره البيهقي وأبو الفضل بن طاهر، وأبو الفرج بن الجوزي، وأدخله في كتابه «الموضوعات».

(٤) انظر: «التلخيص الحبير» للحافظ ابن حجر (٢/ ١٤٢).

ونقل ابن الجوزي عن عثمان بن زكريا المؤدب: أن معنى «فكتم»: كتم من يحبه أنه يُحِبُّه[1].

وقد جنح إلى هذا المعنى الإمام أبو بكر الظاهري، فقال ملمحاً بالحديث: [من الطويل]

سَأَكْتُمُ ما أَلْقاهُ يا نُوْرَ ناظِرِيْ
مِنَ الْحُبِّ كَيْلا يَذْهَبَ الأَجْرُ باطِلا

فَقَدْ جاءَنا عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ أَحْمَدِ
وَمَنْ كانَ بَرّاً بِالأَنامِ وَواصِلا

بِأَنَّ مَنْ يَمُتْ بِالْحُبِّ يَكْتُمُ أَمْرَهُ
يَكُوْنُ شَهِيْداً فِيْ الْفَرادِيْسِ نازِلا[2]

* تَنْبِيْهٌ:

ربما فهم من لم ينور الله بصيرته أن التوصل إلى الشهادة بالتعرض إلى العشق بالنظر ونحوه، فيباشر هذه الأسباب، فيقع فيما لم يكن له في حساب كما قال الشاعر: [من التقارب]

تَعَلَّقَ بِالْعِشْقِ حَتَّىْ عَشِقْ
فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِهِ لَمْ يُطِقْ

---

(١) انظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص: ٣٢٧).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ٣٠).

رَأَىْ لُجَّـــــةً ظَنَّهــــا مَوْجَـــــةً
فَلَمَّـــا تَوَسَّـــطَ فِيْهـــا غَـــرِقْ[1]

فقد يعشق ولا يقدر على العفاف، فيقع في الفسق، بل ربما انتهى به العشق إلى الكفر، وكم إنسان أدى بـه العشق إلى الخروج من دينه، ثم لم يظفر بما خرج لأجله عن الدين حتى هلك.

والعشق من حيث هو مذموم، والتعرض لـه بالنظر وغيره حرام، ولا يدخل فيه النظر والتمتع بالحلائل؛ لأن ذلك لا يؤدي به إلى العشق، بل إلى الحب، والحب محمود بخلاف العشق.

وليس الثواب المنصوص عليه في الحديـث على العشق، ولكنـه على العفاف والصبر عن مقتضى العشق إذا دهم العبد الابتلاء بالعشق، لا إذا تعرض لـه بما هـو حرام، وكيـف يتوصل إلى درجـات الشـهادة بالمعاصي؟ هذا مما لا يكون أصلاً.

وأكثر الواقعين في هذه المنزلـة متصوفـة هذه الأزمنـة المتأخرة، القائلون بالشاهدة، المعرضون عن أمر الواحد الماجد، وأكثرهم حلولية، اتحادية، بطلة، جهلة، إلحادية إلا من عصمه الله تعالى وحفظه، وأقام له من قلبه واعظاً وعظه.

وقد قال شيخ الطائفة أبو القاسم القشيري رحمه الله في «رسالته»:

---

(١) انظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص: ٥٨٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٠/ ٣٨٩).

ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك، فبإجماع من الشيوخ أنَّ ذلك عبد أهانه الله وخذله، بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أَهَّلَهُ، وهب أنَّه بلغ رتبة الشهداء لما في الخبر تلويح بذلك، أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق، فأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعد ذلك يسيراً؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥].

إلى أن قال: ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسق ـ وأشار إلى أن ذلك من بلايا الأرواح، وأنه لا يضره ـ فما قالوه من وساوس القائلين بالشهادة.

قال: وإيراد حكايات عن الشيوخ بما كان الأولى بهم الستر على هناتهم وآفاتهم، فذلك نظير الشرك، وقرين الكفر؛ فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم؛ فإن اليسير منه فتح باب الخذلان، ويد وِصال الهجران، ونعوذ بالله من قضاء السوء.

هذا نص القشيري ﷺ بحروفه[1].

وقد أشرت إلى تحرير هذا الموضع بأبسط من ذلك في كتاب «منبر التوحيد»، فليراجَع.

* * *

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٤٣١ ـ ٤٣٢).



فَصْلٌ

وقد جاء الشرع الشريف بالإرشاد إلى أمور تدخل تحت الاختيار إذا أتى بها العبد كُتِب له أجر الشهادة.

فمن ذلك: ما رواه الإمام أحمد، والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهَا أَحَبُّ إِلَىْ اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ؛ يَعْنَيْ أَيَّامَ العَشْرِ»، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ مَالِهِ وَلم يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ»[1].

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا في «فضل عشر ذي الحجة»، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ فِيْهِنَّ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ العَشْرِ»، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ حَتَىْ يُهْرَاقَ دَمُهُ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢٤)، والبخاري (٩٢٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٥٠).

جعل ﷺ العمل الصالح أياً ما كان مُعادلاً لبذل النفس والمال في سبيل الله حتى يذهبا فيه، وهذا هو نفس الشهادة.

وروى الإمام أحمد، والدارمي، والترمذي وحسنه، عن معقل ابن يسار رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ العَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُوْرَةِ الْحَشْرِ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِيْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُمْسِي، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيْدَاً، وَمَنْ قَالَهَا حِيْنَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ»(1).

وروى الدارمي عن الحسن رحمه الله قال: من قرأ ثلاث آيات من آخر الحشر إذا أصبح فمات من يومه ذلك، طُبِع بطابع الشهداء، وإن قرأ إذا أمسى فمات من ليلته طُبِع بطابع الشهداء(2).

وروى أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ آخِرَ الْحَشْرِ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ...﴾[الحشر: 21] إِلَىٰ آخِرِهَا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، مَاتَ شَهِيْدَاً».

وروى أبو القاسم الأصبهاني في «ترغيبه» عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (5/ 26)، والدارمي في «السنن» (3425)، والترمذي (2922) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(2) رواه الدارمي في «السنن» (3423).

خَانَ امْرَأً مُسْلِمَاً فِيْ أَهْلِهِ وَخَادِمِهِ، وَمَنْ قَالَ حِيْنَ يُمْسِيْ وَحِيْنَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ! إِنِّي أُشْهِدُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيْكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ، أَبُوْءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوْءُ بِذَنْبِـي فَاغْفِرْ لِي؛ إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ غَيْـرُكَ، فَإِن قَالَهَا مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ حِيْنَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، مَاتَ شَهِيْدَاً، وَإِنْ قَالَهَا حِيْنَ يُمْسِي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ماتَ شَهِيْدَاً»[1].

وروى أبو يعلى، وابن السُّنِّي عن سليمان بن بريدة، عن أبيه ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ! أَنْتَ رَبِّيْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِيْ وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُـوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوْءُ بِذَنْبِـي، فَاغْفِرْ لِي؛ إِنَّـهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلاَ أَنْتَ، فَإِنْ قَالَهَا نَهَاراً فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ مَاتَ شَهِيْدَاً، وَإِنْ قَالَهَا لَيْلاً فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ تِلْكَ مَاتَ شَهِيْدَاً»[2].

وهذا هو سيد الاستغفار الذي رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والبخاري، وغيرهم عن شدَّاد بن أوس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُوْلَ: . . .»، فذكره، ثم قال: «مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوْقِناً بِهَا، فَمَاتَ مِن يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوْقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِـحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[3].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٥٣).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٤٠)، والإمام أحمد في «المسند» =

وروى البيهقي في «الشعب» عن كعب الأحبار رحمه الله: أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام في خبر طويل: أن من وافى القيامة وفي صحيفته ثلاثون رمضان، فهو من أفضل الشهداء[1].

بل ورد في السنة ما هو أبلغ من ذلك، فروى الإمام أحمد بسند حسن، عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رجلان من بَلِيٍّ - حي من قضاعة - أسلما مع رسول الله ﷺ، استشهد أحدهما، وأُخِّر الآخر سنة، قال طلحة ابن عبيدالله ﷺ: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلاَفِ رَكْعَةٍ، وَكَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلاَةَ سَنَةٍ؟»[2].

وأخرجه ابن ماجه، وابن حبان من حديث طلحة بنحوه أطول منه، وزاد في آخره: «فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ ممَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[3].

وفي هذا الحديث دلالة على من كان من الشهداء أكثر صلاة وصياماً، فهو أرفع مقاماً ممن هو دونه في ذلك منهم.

وروى الطبراني في «معاجمه الثلاثة» بسند جيد، عن أنس بن

= (٤/ ١٢٢)، والبخاري (٥٩٦٤).

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٣). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٩).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٨٢).

مالـك رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَـلاَةً وَاحِـدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْراً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مِئَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِئَـةً، كَتَبَ اللهُ بَيْنَ عَيْنَيْـهِ بَرَاْءَةً مِنَ النِّفَاقِ، وَبَرَاْءَةً مِنَ النَّارِ، وَأَسْكَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ»(١).

وروى ابن ماجـه عن جابـر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَـاتَ عَلَىٰ وَصِّيـةٍ مَاتَ عَلَىٰ سَبِيْلٍ وَسُنَّةٍ، وَمَاتَ عَلَىٰ تُقًى وَشَهَادَةٍ، وَمَـاتَ مَغْفُوْراً لَهُ»(٢).

ويحتمل أن يكـون المراد بقولـه: «على تقى وشهادة» شهادة أن لا إله إلا الله، فيكون فيه إشارة إلى أن من يسَّر الله تعالى له أن يوصي عند الموت، يسر له الشهادة عند الموت، ولا عجب أن يكون تيسير الشهادة عند الموت دليل الشهادة؛ أي: النزول في منازل الشهداء، وقد يشير إلى هذا المعنى حديـث معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ لله، دَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم وصححه(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٣٥)، و«المعجم الصغير» (٨٩٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١٠/ ١٦٣): رواه الطبـراني في «الصغير» و«الأوسط» وفيه إبراهيم بن سالم بن سلم الهجيمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٠١). وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٠)، وأبـو داود (٣١١٦) واللفـظ =

وروى البزار عن أبي ذر، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: الباب من العلم يتعلمه الرجل أحب إلي من ألف ركعة تطوعاً.

وقالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ لِطالِبِ العِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، مَاتَ وَهُوَ شَهِيْدٌ»[1].

وروى أبو نعيم عن علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال له: «يَا عَلِيُّ! تَعَلَّمِ القُرْآنَ وَعَلِّمْهُ النَّاسَ؛ فَلَكَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ شَهِيْدَاً»، الحديث[2].

وتقدم في التشبه بالملائكة عليهم السلام.

وروى أبو نعيم ـ أيضاً ـ عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ بِإِعْرَابٍ، فَلَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ».

وروى أبو القاسم الرافعي عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَتَبَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ فلم يعور الهَاءُ الَتِيْ فِيْ اللهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، ورفَعَ له عَشْرَ دَرَجَاتٍ»[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو بكر بن السُّنِّي، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ

= له، والحاكم في «المستدرك» (١٢٩٩).

(١) رواه البزار في «المسند» (٨٥٧٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٤): فيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي، وهو متروك.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٤٠٩).

قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِيْ سَبِيْلِي، كُتِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيْقاً»[1].

قلت: اعتبرت من أول سورة الملك إلى آخر سورة الناس ألف آية، تزيد شيئاً أو تنقص شيئاً.

وعلى ما اعتبره الشيخ شهاب الدين المقدسي في «مصحفه» تنقص عن الألف خمس آيات.

ومن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم: ٨] إلى آخر التحريم خمس آيات، فينبغي لمن أراد العمل بهذا الحديث أن يقرأ من أول هذه الآية إلى آخر القرآن العظيم.

وروى الطبراني في «الصغير»، والخطيب بسند ضعيف، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَامَ عَلَى قِرَاءَةِ (يسٓ) كُلَّ لَيْلَةٍ ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ شَهِيْدَاً»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٧٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٩): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه ابن لهيعة عن زبان، وفيهما كلام.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٠١٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٧): فيه سعيد بن موسى الأزدي، وهو كذاب.

وروى الحكيم الترمذي عن زيد المروزي رحمه الله معضلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُـرَ كُلِّ صَلاْةٍ، كَانَ الَّذِيْ يَلِيْ قَبْضَ رُوْحِهِ ذُوْ الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَكَانَ كَمَنْ قَاتَلَ عَنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ حَتَىْ يُسْتَشْهَدَ».

وأخرج ابن السني نحوه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه[1].

وروى الحاكم في «المستدرك» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىْ اسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ؟ دُعاءُ يُوْنُسَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ، فَأَيُّمَا مُسَلِمٍ دَعَـا بِهَا فِيْ مَرَضِـهِ أَرْبَعِيْنَ مَـرَّةً فَمَـاتَ فِيْ مَرَضِـهِ ذَلِكَ، أُعْطِيَ أَجْـرَ شَهِيْدٍ، وَإِنْ بَـرَأَ بَـرَأَ مَغْفُوْراً لَهُ»[2].

وروى أبـو الشـيخ، وأبـو نعيم عـن أبي هـريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَكِبَ دَابَّةً فَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِيْ سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ، ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ، مَاتَ شَهِيْداً»[3].

وروى الحاكم في «تاريخه» عن محمد بن عجلان، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القَائِمُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِيْ لَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ».

وروى أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول:

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ١٠٩).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢١٣).

«أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ الْمُقْسِطُوْنَ»[1]؛ أي: أهل العدل والقسط.

وروى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُـؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّهِيْدِ الْمُتَشَحِّطِ[2] فِيْ دَمِهِ؛ إِذَا مَاتَ لَمْ يُدَوَّدْ فِيْ قَبْرِهِ»[3].

وأخرجه ـ أيضاً ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «الْمُؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّهِيْدِ الْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ؛ يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ مَا يَشْتَهِيْ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»[4].

وأخرج في «الكبير» ـ أيضاً ـ عن معاوية رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَبِعَ[5] الْمُؤَذِّنَ فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُوْلُ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»[6].

---

(١) رواه أبو نعيم في «فضيلة العادلين» (ص: ١٣٠)، وكذا الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦١٥).

(٢) المتشحط: المتمرغ.

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه إبراهيم بن رستم، وهو مختلف في الاحتجاج به، وفيه من لم تعرف ترجمته.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٢١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٧): وفيه إبراهيم بن رستم، ضعفه ابن عدي، وقال أبو حاتم: ليس بذاك، ومحله الصدق، ووثقه ابن معين، ورواه أيضاً في «المعجم الكبير» (١٣٥٥٤) لكن مع بعض الاختلاف في اللفظ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣): وفيه محمد الفضل القسطاني، ولم أجد من ذكره.

(٥) في «المعجم الكبير»: «سمع» بدل «تبع».

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٤٦). قال الهيثمي في «مجمع =

قال المنذري: متنهُ حسن، وله شواهد[1].

وتقدم في حديث علي ﷺ: «وَالآمِرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّاهِيْ عَنِ الْمُنْكَرِ شَهِيْدٌ»[2] إن حملناه على إطلاقِهِ - كما سبق - فهو من هذا الباب.

وروى الإمام أحمد عن جماعة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «شُهَدَاءُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ أُمَنَاءُ اللهِ عَلَىْ[3] خَلْقِهِ، قُتِلُوْا، أَوْ مَاتُوْا»[4].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْغَيْرَةَ عَلَىْ النِّسَاءِ، وَالْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ؛ فَمَنْ صَبَرَ مِنْهُنَّ إِيْمَاناً وَاحْتِسَاباً، كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيْدِ»[5].

وروى ابن السُّنِّي عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ بَاتَ عَلَىْ

= الزوائد» (١/ ٣٣١): من رواية إسماعيل بن عياش، عن الحجازيين، وهو ضعيف فيهم.

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١١٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في «مسند الإمام أحمد»: «في» بدل «على».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٠٢): رجاله ثقات.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٢٠): فيه عبيد بن الصباح، ضعفه أبو حاتم، ووثقه البزار، وبقية رجاله ثقات.

طَهَارَةٍ ثُمَّ مَاتَ مِنَ لَيْلَتِهِ، مَاتَ شَهِيْدَاً»[1].

وروى أبو بكر الآجُرِّي، والسِّلَفي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَنَسُ! إِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَكُوْنَ أَبَداً عَلَىْ وُضُوْءٍ فَافعَلْ؛ فَإِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا قَبَضَ رُوْحَ العَبْدِ وَهُوَ عَلَىْ وُضُوْءٍ كُتِبَ لَهُ شَهَادَةٌ»[2].

وروى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الضُّحَى، وَصَامَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَلَمْ يَتْرُكِ الوِتْرَ فِيْ حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ، كُتِبَ لهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ»[3].

وروى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّاجِرُ الأَمِيْنُ الصَّدُوْقُ الْمُسلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[4].

وروى الحاكم عن اليسع بن المغيرة ـ مُرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْجَالِبُ إِلَىْ سُوْقِنَا، كَالْمُجَاهِدِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[5].

ومقتضاهُ: أنَّهُ لو سافر للجلب فماتَ في سفرهِ، وقعَ أجرهُ على

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦٦٥).

(٢) ورواه أبو يعلى في «المسند» (٣٦٢٤)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٨٥٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٢): رواه أبو يعلى، والطبراني في «الصغير» وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو ضعيف.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٣٢).

(٤) رواه ابن ماجه (٢١٣٩) وإسناده ضعيف، لكن له شاهد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند الترمذي (١٢٠٩).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٦٧).

الله، كما وقع أجرُ الشهيد على الله تعالى.

على أنَّ هذا داخل في عموم الغرباء، وقد سبق أن موت الغريب ـ يعني: المؤمن ـ شهادةٌ.

وروى ابن أبي شيبة عن مُوَرِّقٍ رحمه الله تعالى قال: المتمسك بطاعة الله إذا جَبُنَ[1] النَّاسُ عنها كالكَارِّ بعد الفارِّ[2].

ولهذا حكمُ الرَّفع لأنهُ لا يقالُ رأياً.

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود ﷺ: ذاكرُ الله في الغافلين، بمنزلةِ الصابر في الفارِّين[3].

قلتُ: ومقتضاهُ أن من مات على ذكرٍ، بمنزلة من قتل مصابراً.

وهو يشير إلى أنَّ من كان آخر كلامه عند الموتِ: لا إله إلا الله، كان بمنزلة الشهداء، ومن ثم وجبت لهُ الجنة كما تجبُ للشهداءِ.

وإذا كان هذا في عموم الذكرِ، وكذلك الطاعة ـ لقول مُوَرِّقٍ ـ فالشهادة الحاصلة عند الموت بلا إله إلا الله أوضح وأتَم من الشهادة

---

(١) كذا في «م»، وفي «مصنف ابن أبي شيبة» أيضاً، لكن في «غريب الحديث» للخطابي (٣/ ١٠٨): «جبب»، وقال: يقال جبب الرجل: إذا ولى وذهب، ومثله عرد وهلل، إذا نكص وولى. ولعله الصواب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٤٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٩٧)، وفي «المعجم الأوسط» (٢٧١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٠): رجال «الأوسط» وثقوا.

الحاصلة بغيرها من الأذكار لأنها أفضلها؛ لحديث جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ للهِ». رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم وصححوه، والنسائي، وابن ماجه[1].

وروى أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ جَالِبٍ يَجْلِبُ طَعَامَاً إِلَى بُلْدَانِ الْمُسْلِمِيْنَ فَيَبِيْعُهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ، إِلاَّ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللهِ بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيْدِ»، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[المزمل: ٢٠][2].

وقال عمر ﷺ: ما من حال يأتيني عليهِ الموتُ بعد الجهاد في سبيل الله، أحبُّ إليَّ من أن يأتيني وعليه بين شعبتي رحلي وأنا أبتغي من فضلِ الله، ثمَّ قرأ هذه [الآية]. رواه سعيد بن منصور، وغيره[3].

وأخرج الثعلبي نحوهُ عن وَلده عبدالله بن عمر ﷺ[4].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٠).

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٢٢): رواه ابن مردويه في «التفسير» بسند ضعيف.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٢٣).

(٤) رواه الثعلبي في «التفسير» (١٠/ ٦٦) ولفظه: «ما خلق الله ﷻ موتة أموتها =

وقال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتاب «شرح الصدور شرح حال الموت والقبور»: روي أنه قيل: يا رسول الله! هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «نَعَمْ؛ مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عِشْرِيْنَ مَرَّةً»[1].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن حجاج بن الشاعر رحمه الله تعالى قال: ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله تعالى، ولم أصلِّ على أحمد بن حنبل رضي الله عنه[2].

وروى أبو الشيخ في كتاب «الثواب»، وأبو نعيم عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كَمْ مِمَّنْ أَصَابَهُ السِّلاحُ لَيْسَ بِشَهِيْدٍ وَلا حَمِيْدٍ، وَكَمْ مِمَّنْ مَاتَ عَلى فِرَاشِهِ حَتْفَ أَنْفِهِ صِدِّيْقٌ وَشَهِيْدٌ»[3].

* * *

= بعد القتل في سبيل الله، أحبّ إليّ من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله».

(1) انظر: «شرح الصدور» للسيوطي (ص: ٢٧). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٤٠): لم أقف له على إسناد.

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٧٣).

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٥١). قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٩٠): في إسناده نظر.



فصل

وإذا أخذنا الشهداء بالتفسير الثاني بأن نقول: هم العلماء الراسخون في العلم من حيث إنهم شهداءُ اللهِ في أرضه لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[آل عمران: ١٨] فالتشبه بهم على قسمين:

- تشبه بهم في البدايات.
- وتشبه بهم في النهايات.

فأما التشبه بالعلماء في البدايات فهو أن يأخذ العبد في الاستعداد لطلب العلم بتقديم النية الصالحة في طلبِ العلمِ بأن يطلبهُ للتفقه في الدين، والتمسك بالشرع، والتوصل إلى إيقاع العبادات على وجهها، وإجراء العقود التي يحتاجُ إليها في معاشهِ، وتحصين فرجه على طريق الشرع الشريف؛ كالبيع والشراء، والسَّلم، والإجارة، والمُساقَاة، والقراض، والنكاح، وآداب المعاشرة، والطلاق، والرجعة، والنفقات، وغير ذلك؛ لأن هذه الأمور إذا وقعت على وجهها وجرت على نهجها كانت سبباً لسعادة الدُّنيا والآخرة.

قال سفيان الثوري رحمه الله: لا أعلم شيئاً من الأعمال أفضلُ من

طلبِ العلم، أو الحديث لمن حَسُنَت فيهِ نيتُهُ[1].

وقال الشافعي رحمـه الله تعـالى: أخشى على من طلب العلم بغيـر نيَّة أن لا ينتفعَ بهِ[2]. رواهما البيهقي في «المدخل».

ومهما لم تتيسر لهُ نية صالحة فلا يترك الاشتغال بالعلم، بل يأخذ في الاشتغال، ويتحرى تحصيل النيـة، فقد كان من السلف من يقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله[3].

وقال مجاهد رحمه الله: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نيَّـة، ثمَّ رزقَ اللهُ تعالى النيةَ بعدُ.

وفي رواية: وما لنا فيه نيَّةٌ[4].

وقال حبيب بن أبي ثابـت رحمـه الله تعالى: لقـد التمستُ ـ أو: التمسنا ـ هذا العلم وما نريدُ بهِ، ثمَّ رزق الله نيةً بعدُ.

وفي رواية: لقد طلبتُ العلمَ وما لي فيه نية، ثمَّ رزق الله نورَ النيَّة بعدُ[5].

---

(١) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣٠٩).

(٢) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣٢٥).

(٣) انظر: «أدب الدنيـا والدين» للماوردي (ص: ٩٣)، ونسبه لسفيان الثوري رحمه الله تعالى.

(٤) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣٢٧).

(٥) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣٢٧).

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: جاء قوم إلى سماك بن حِرب رحمه الله يطلبون الحديث، فقال جلساؤُهُ: ما ينبغي لك أن تحدثَ هؤلاء، ما لهولاء رغبة ولا نية، فقال سماك: قولوا خيراً، قد طلبنا هذا الأمر ولا نريدُ الله به، فلما بلغتُ حاجتي دلَّني على ما ينفعني، وحجزني عما يَضُرُّني[1].

روى هذه الآثار البيهقي في «المدخل».

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله: طلبنا العلمَ للدنيا، فدلنا على تركِ الدنيا. رواه الخلال، ومن طريقهِ أبو الفرج بن الجوزي في «صفة الصَّفوة»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» ـ ورجاله مُوَثَّقُون ـ عن فَضَالة بن عُبيد رضي الله عنه: أنه كان إذا أتاه أصحابه قال: تدارسوا، وأبشروا، وزيدوا زادكم الله خيراً، وأحبَّكم وأحبَّ من يحبُّكم، ردُّوا عليَّ المسائل؛ فإن أجر آخرها كأجر أولها، واخلطوا حديثكم بالاستغفار[3].

وما أحسن قول الحافظ أبي الحجاج الزي رحمه الله تعالى: [من المتدارك]

(١) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣٢٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٤٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٢٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦١): ورجاله موثقون.

مَــــنْ حَــــازَ العِلْــــمَ وذاكَــــرَهُ

صَــــلَحَتْ دُنيــــاهُ وآخِرَتُــــهْ

فَــــأَدِمْ للعِلْــــمِ مُــــذَاكَرَةً

فَحَيــــاةُ الْعِلْــــمِ مُذَاْكَرَتُــــهْ[1]

وعلى قوله: «صلحت دنياه وآخرته» فمن صلاح دنياه: رفعته في الخلق بحيث يُوَقَّرُ ويحترمُ ولا يستذلُّ.

وقد روى مسلم، وابن ماجه عن أبي الطُّفيل: أنَّ نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بِعُسْفَانَ - وكان عمر استعملهُ على مكة -، فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ فقال: استخلفت عليهم ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: رجلٌ من موالينا، قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنهُ قارِىءٌ لكتابِ الله تعالى، عالم بالفرائض، قاضٍ، قال عمر: أما إنَّ نبيَّكم ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذا الكِتَابِ أَقْوَاماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِيْنَ»[2].

وروى الدينوري عن أبي العالية رحمه الله تعالى قال: كنتُ آتي ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما وقريش حولهُ، فيأخذ بيدي، فيجلسني معه على السرير، فتغامزَتْ لي قُريش، ففطِنَ لها ابن عباس، فقال: هكذا هذا العلم؛ يزيدُ الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسِرَّة.

---

(١) البيتان في «فتح المغيث» للسخاوي (٢/ ٣٨٢) دون نسبة.

(٢) رواه مسلم (٨١٧)، وابن ماجه (٢١٨).

قال: ثمَّ أنشَدَ محمد بن الحارث ـ يعني: المروزي ـ أحد رواته في أثره: [من الطويل]

رَأَيْـتُ رَفِيْـعَ النَّـاسِ مَـنْ كـانَ عالِمـاً
وَإِنْ لَـمْ يَكُـنْ فِـيْ قَوْمِـهِ بِحَـسِيْبِ

إِذا حَـلَّ أَرْضـاً عـاشَ فِيْهـا بِعِلْمِـهِ
وَمـا عـالِمٌ فِـيْ بَلْـدَةٍ بِغَرِيْـبِ[1]

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن السري بن يحيى رحمه الله: أنَّ لقَمان عليه السلام قال لابنهِ: يا بنيَّ! إنَّ الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك[2].

وأمَّا صلاح آخرتِهِ فبإصلاح الطاعة، وإيقاعها على وفقِ العلم.

وقد روى ابن النجار في «تاريخه» عن محمد بن علي رحمهما الله مُرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «رَكْعَتَانِ مِنْ عَالِمٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِيْنَ رَكْعَةً مِنْ غَيْرِ عَالِمٍ».

وروى الديلمي في «مسند الفردوس» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَكْعَتَانِ مِنْ رَجُلٍ وَرِعٍ أَفضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنْ مُخَلِّطٍ»[3].

---

(١) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٥٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٥).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٣٤).

ولا شكَّ أنَّ العالم أعـرفُ بطريقِ الورَع، بل لا يكونُ الورعُ بغيـر العلم، وإنَّما البَليَّةُ والمُصيبة أنْ يكونَ عالم ولا ورع عندهُ.

واعلمْ أنَّ العبادةَ من العالم هي العبادة المعتدُّ بها، ولذلك ذمَّ الله تعالى في كتابهِ من يعبد الله على حرف؛ أي: على جهل.

وقيـل في تفسـير قـولـه تعـالـى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]: ليعرفون؛ أي: فيعبدون على معرفة وعلم[1].

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: العبـادة على العارفين أحسن من التيجان على رأس الملوك. رواه ابن جهضم[2].

ثم من تمامِ حُسنِ النيةِ أن لا يقصد العلم ليماري به السفهاء، ويباهي به العلماء، ويتوصل به إلى الأخذ بالرُّخص والحيل، ويتأكل بـه الدنيا وأموال الناس، ويتجَوَّه به على الناس، ويتقوى به على الضعفاء، ويزدري به الناس؛ فإنَّ ذلك كلهُ وَبَالٌ على صاحِبـهِ.

وإذا لم يفسح في أجـلِ العبـد حتى يتعلم ما ذكرنـاه من الأحكام ويوقعها على أسلوبها كفـاهُ أن يمـوتَ على نيتها وإرادتهـا؛ لأنَّ الناس يحشرون على نياتهم.

وقد تقدم في الحديث: أنَّ طالب العلم إذا أتاهُ الموتُ وهـو على حالة الطلب مات وهو شهيد.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٩).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٧).

وروى مسلم، وابن ماجه عن جابر ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلى مَا مَاتَ عَلَيهِ»[1].

ولفظُ الإمام أحمد، والحاكم وصححه: «مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيهِ»[2].

وروى الدارمي، والطبراني بسند جيد عن واثلة بن الأسقع ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ طَلَبَ عِلْماً وَأَدْرَكَهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلَيْنِ مِنَ الأَجْرِ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْماً فَلَمْ يُدْرِكْهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلاً مِنَ الأَجْرِ»[3].

قال [ابن الحاج][4]: وقد روي أن يحيى بن يحيى راوي «الموطأ» لما جاء إلى مالك رحمه الله تعالى ليقرأ عليه، قال له مالك: اجتهد يا بني؛ فإنَّهُ قد جاء شاب في سنك يقرأ على ربيعة رحمه الله، فما كان إلا أيام وتوفي الشاب، فحضر جنازته علماء المدينة، وألحده ربيعة بيدِهِ، ثم رآهُ بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة حسنة، فسألهُ

---

(1) رواه مسلم (٢٨٧٨)، وابن ماجه (٤٢٣٠) ولفظه: «يحشر الناس على نياتهم».

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٢).

(3) رواه الدارمي في «السنن» (٣٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٣): رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(4) غير واضح في «م»، ولعل الصواب ما أثبت.

عن حالِهِ، فقال: غفَرَ لي، وقال لملائكتِهِ: هذا عبدي فلان، كان نيته أن يبلغَ درجة العلماء فبلِّغُوهُ دَرَجَتَهمُ، فأنا معهم أنتظر ما ينتظرون، قال: فقلتُ: وما ينتظرون؟ قال: الشفاعة يوم القيامة في العصاةِ من أمة محمد ﷺ[1] انتهى.

وإذا صَحت النية للطالب أَخذَ في الاشتغال بالعلم، وجدَّ؛ فإنَّ لكلِّ مجتهدٍ نصيباً.

وكان الحسن رحمه الله تعالى يقول: إذا لم تكن حليماً فتحلَّم، وإذا لم تكن عالماً فتعلَّم، فقلَّ ما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم. رواه العسكري في «أمثاله».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الرجل[2] لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم. رواه البيهقي في «المدخل»[3].

بل روى الطبراني، وأبو نعيم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَ يُوْقَهُ»[4].

---

(١) انظر: «المدخل» لابن الحاج (٢/ ١٢٣).

(٢) في «المدخل»: «أحدكم» بدل «الرجل».

(٣) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٢٦٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٧٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٨): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب.

ورواه البيهقي في «المدخل» موقوفاً بإسناد حسن[1].

وروى الطبراني عن معاوية ﵁: أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِيْ الدِّيْنِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ»[2].

وعلقه البخاري في «صحيحه»[3].

وروى الدينوري عن ابن داب قال: جاء رجل إلى أبي ذر ﵁ فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأنا أخاف أن أضيعه ولا أعمل به، فقال: إنك أن تَوَسَّدَ العلم خير من أن تَوَسَّدَ الجهل.

ثم ذهب إلى أبي الدرداء ﵁، فقال له مثل ذلك، فقال له أبو الدرداء ﵁: إنَّ الناس يبعثون على ما ماتوا عليه من قبورهم، فيُبعثُ العالمُ عالماً، والجاهلُ جاهلاً.

ثم جاء إلى أبي هريرة ﵁ فقال له مثل ذلك، فقال له أبو هريرة ﵁: ما أنت بواجد شيئاً أضيع له من تركه[4].

وليبدأ في طلب العلم بالأهم ثمَّ الأهم، حتى إذا اخترمته المنية

---

(١) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٢٧٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٨): فيه رجل لم يسم، وعتبة بن أبي حكيم، وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان، وضعفه جماعة.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (١/ ٣٧).

(٤) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٢٩٣).

لا يطالب من العلم بشيء هو أهم مما مات عليه.

وقد قيل: العمر عن حصول كل العلم يقصرُ، فابدأ منه بالأهم[1].

وروى أبو نعيم عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: العلم أكثر من عدد القطر؛ فخذ من كل شيء أحسَنَهُ، ثم تلا: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾[الزمر: ١٧ ـ ١٨][2].

وروى ابن جهضم عن أبي عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى قال: العلم أكثر من أن يحصى؛ فخذوا من كل شيء أحسنَهُ.

وليطلب شيخاً مؤتمناً ناصحاً عارفاً تقياً نقياً بعد اجتهاده على ذلك، وسؤاله عنه من أهل المعرفة والإلمام، وإذا وجد فائدة عند أحد بادرَ إلى اقتناصِها ـ وإن كان دونَهُ ـ، ولا يمنعه التكبر من الأخذ عمن هو دونَهُ فيكون غاشاً لنفسِهِ؛ إذ الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

وروى الحافظ عبد الغني في مقدمة «الكمال في أسماء الرجالِ» عن وكيع رحمه الله تعالى: أنَّهُ قال: لا يكملُ الرجل ـ أو لا يَنبُلُ ـ حتى يكتب عن من هو فوقَهُ، وعن من هو مثلهُ، وعن من هو دونه[3].

وليتأدب بآداب المتعلم حسبما ذكرها العلماء في مَحالِّهَا، وأحسن

---

(١) انظر: «إعانة الطالبين» (١/ ١٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١٤).

(٣) وانظر: «علوم الحديث» لابن الصلاح (ص: ٢٤٩)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ١٥٩).

كتاب أُلِّفَ في هذا الفن بلا مغالاة ولا تَجوُّزٍ كتاب: «الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد» للشيخ الوالد ﷺ.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى التشبه بالعلماء في طلب العلم في أحاديث كثيرة.

منها ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً طَلَبَ فِيْهِ عِلْماً، سَلَكَ اللهُ بِهِ[1] طَرِيْقاً إِلى الجنَّةِ»[2].

وروى ابن باكويه الشيرازي في «الألقاب» عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «مَنِ انتَعَلَ لِيَتَعَلَّمَ عِلْماً، غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْطُوَ»[3].

وروى البزار ورجالهُ موثقون، والطبراني في «معاجمِهِ» عن أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أُغْدُ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ مُسْتَمِعاً أَوْ مُحِبّاً، وَلا تَكُنِ الْخَامِسَةَ فَتَهْلَكَ»[4].

قال عطاء: قال لي مِسْعر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا.

---

(١) في «صحيح مسلم»: «يلتمس فيه علماً سهل الله له به» بدل «طلب فيه علماً سلك الله له».

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٧٦).

(٤) رواه البزار في «المسند» (٣٦٣٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٧١)، و«المعجم الصغير» (٧٨٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٢): رواه الطبراني في «الثلاثة» والبزار، ورجاله موثوقون.

والخامسة أن يبغض العلم وأهلهُ[1].

وأنشد الإمام أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني عن الرياشي[2] قال: [من السريع]

طَلَبْـــتُ يَوْمــاً مَــثَلاً سَـــائِرَاً
فَكُنْـــتُ فِـــيْ الـــشِّعْرِ لَـــهُ نَاظِمـــاً
لا خَيْـــرَ فِـــيْ الْمَـــرْءِ إِذا مـــا غَـــدا
لا طالِـــبَ الْعِلْـــمِ وَلا عالِمـــاً[3]

وفيه تلميح بحديث أبي الدرداء ﷺ: العالم والمتعلم في الأجر سواء، وسائرُ الناسِ همج لا خير فيهم. رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» موقوفاً، ويروى مرفوعاً[4].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ رَجُلانِ: عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ، وَلا خَيْرَ فِيْمَا سِوَاهُمَا»[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٧١)، و«المعجم الصغير» (٧٨٦).

(٢) في «م»: «المرياشي».

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (١/ ٤٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٧).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٦١)، و«المعجم الأوسط» (٧٥٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٢): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وفي سند «الأوسط» نهشل بن سعيد، وفي الآخر =

وروى البيهقي في «الشعب»، وابن عبد البر في «فضل العلم»، وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطْلُبُوْا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّيْنِ؛ فَإِنَّ طَلَبَ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلى كُلِّ مُسْلمٍ»[1].

وروى ابن عبد البر شطرَهُ الأخير بزيادة، ولفظه: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّ طَالِبَ العِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيْتَانُ فِيْ البَحْرِ»[2].

وأخرجه بدون هذه الزيادة ابن عدي، والبيهقي من حديث أنس، والطبراني في «الأوسط» من حديث ابن عباس، وهو في «الصغير»، والخطيب من حديث الحسين بن علي، والخطيب من حديث علي، والطبراني في «الكبير» من حديث ابن مسعود، وهو والبيهقي في «الشعب» من حديث أبي سعيد الخدري، وتمّام في «فوائده» من حديث ابن عمر رضي الله عنهم[3].

= الربيع بن بدر، وهما كذابان.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٦٣) وقال: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة، وكذا رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٩).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٦٥) عن أنس رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٩٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. =

وحديث أنس ﷺ عند ابن ماجه، وزاد فيه: «وَوَاضِعُ العِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيْرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ»[1].

وعند البيهقي، وابن عبد البر، وزاد فيه: «واللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»[2].

ثم العلم المفروض على الأعيان ما يحتاجُ إليه المسلمُ في موافقة حاله في كل وقت لأحكام الله تعالى.

فأول ذلك معرفة الله، ومنه تعلم أحكام الصلاة لمن وجبت عليه، ثم الصوم كذلك، ثم الحج، ثمَّ الزكاة لمن ملكَ النصاب، وأحكام بر الوالدين وعقوقهما في حق الولد، وصلة الرحم في حق من له رحم، وهكذا.

= ورواه في «المعجم الصغير» (٦١)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠٤) من حديث الحسين بن علي ﷺ.

ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٤٠٧) عن علي ﷺ.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٣٩) عن ابن مسعود ﷺ.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٥٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

ورواه تمام في «فوائده» (١/ ٣٢) من حديث ابن عمر ﷺ.

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٤).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٦٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٨).

وأما تعلم ما يحتاج الناس إليه من العلوم الشرعية وآلاتها فإنه فرض على الكفاية، ولنا في هذه المسألة كلام واضح في كتاب «منبر التوحيد».

وروى مسلم عن كثير بن قيس رحمهُ الله تعالى قال: كنت مع أبي الدرداء ﷺ بمسجد دمشق، فجاءهُ رجل، فقال: يا أبا الدرداء! إني جئتك من مدينة رسول الله ﷺ في حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ، قال: ما كانت لك حاجة غيرها؟ قال: لا، قال: ولا جئت لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا فيه؟ قال: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقَ عِلْمٍ سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَىً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ والْمَاءَ لَتَدْعُو لَهُ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلى سَائِرِ الكَوَاكِبِ لَيْلَةَ البَدْرِ؛ العُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوْا دِيْنَاراً وَلا دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرَّثُوْا العِلْمَ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

وأخرجه أبو يعلى، والحاكم في «تاريخه» بنحوه، وزاد فيه: «وَمَوْتُ العَالِمِ مُصِيْبَةٌ لا تُجْبَرُ، وَثُلْمَةٌ لا تُسَدُّ، وَهُوَ نَجْمٌ طُمِسَ، مَوْتُ قَبِيْلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ»[2]؛ أي: موت قبيلة لا عالم فيهم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وقال: ليس بمتصل، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩٩).

وروى الترمذي وحسنه، عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ فِيْ طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ»[1].

وعن سَخْبَرَة[2] ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى»[3].

وروى ابن عبد البر، وغيره عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فيَتَعَلَّمَ بَابَاً مِنَ العِلْمِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ»[4].

وهو عند ابن ماجه، ولفظهُ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! لأَنْ تَغْدُوَ فَتعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَليَ مِئَةَ رَكْعَةٍ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتعَلَّمَ بَابَاً مِنَ العِلْمِ [عُمِلَ به أو لم يُعمل][5]، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ»[6].

وروى أبو الشيخ في «الثواب»، وأبو نعيم، والديلمي عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ، وَطَلَبُ العِلْمِ يَوْمَاً خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ»[7].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤٧) وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه.

(٢) في «م»: «خبرة».

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤٨) وضعف إسناده.

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٥).

(٥) زيادة من ابن ماجه.

(٦) رواه ابن ماجه (٢١٩).

(٧) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٩١٧).

والديلمي عنه ـ أيضاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِن الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ والْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[1].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن معاوية قال: أوحى الله تعالى إلى داود النبيِّ عليه السلام: يا داود! اتخذ نعلين من حديد، وعصا من حديد، واطلب العلم حتى تنخرق نعْلاكَ، وتنكسرَ[2] عصاك[3].

وروى الطبراني في «الكبير» بسند صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إلى الْمَسْجِدِ لا يُرِيْدُ إلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرَاً أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ مُعْتَمِرٍ تَامِّ العُمْرَةِ، وَمَنْ رَاحَ إِلى المَسْجِدِ لا يُرِيْدُ إِلا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرَاً وَيُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامِّ الحَجِّ»[4].

وروى فيه بإسناد صحيح ـ أيضاً ـ عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ عِلْمَاً فَأَدْرَكَهُ، كَتَبَ اللهُ تَعَالى لَهُ كِفْلَيْنِ مِن الأَجْرِ، وَمَن طَلَبَ عِلْمَاً فَلَمْ يُدْرِكْهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلاً مِنَ الأَجْرِ»[5].

---

(1) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٩١٠).

(2) في «المجالسة وجواهر العلم»: «تتخرق» و«تتكسر» بدل «تنخرق» و«تنكسر».

(3) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٦).

(4) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٧٣) لكنه لم يذكر المعتمر، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٣): رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله موثقون كلهم.

(5) تقدم تخريجه.

وأخرجه أبو يعلى، والحاكم في «الكنى»، وتمام في «الفوائد»، وابن عساكر، وغيره من حديث أبان، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ بَاباً مِنَ العِلْمِ لِيُصْلِحَ لَهُ نَفْسَهُ، أَوْ لِمَنْ بَعْدَهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ رَمْلِ عالِجٍ[1]»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» بسند جيد، عن صفوان بن عسَّال ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا يَطْلُبُ عِلْماً كَانَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطَالِبِ العِلْمِ»[3].

وروى العقيلي عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ غَدَا يَطْلُبُ العِلْمَ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ، وَبُوْرِكَ لَهُ فِيْ مَعِيْشَتِهِ، وَلَمْ يُنْتَقَصْ[4] مِنْ رِزْقِهِ، وَكَانَ مُبَارَكاً عَلَيْهِ»[5].

وروى الحاكم في «تاريخه»، والخطيب، والديلمي عن زياد بن الحارث الصُّدائي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ تَكَفَّلَ اللهُ بِرِزْقِهِ»[6].

---

(١) وهو ما تراكم من الرمل، ودخل بعضه في بعض، وهو أيضاً اسم موضع كثير الرمال.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ١٣٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٨٨).

(٤) في «الضعفاء»: «ينقص» بدل «ينتقص».

(٥) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٧٧)، وقال: هذا حديث باطل ليس له أصل.

(٦) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» =

قلت: هذا تكفل خاص يتميز على غيره، وإلا فإن الله تعالى بأرزاق عباده وخلقه كفيل، لكنه يتكفل للعالم وهو في الطلب والاشتغال كفالة أخص من كفالتـه بغيره؛ إما بتيسير، أو سعة، أو طيب عيش، أو طيب كسب.

ونظيره قولـه تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[طه: ١٣٢] مع أنه سبحانه وتعالى يرزق الخلق أجمعين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦] إلا أن رزق المصلي الصابر، وكذلك المتعلم أيسر وأسهل، وأهنىء وأميز، فافهم ذلك!

وروى الديلمي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوْا العِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَـعَ؛ فَإِنَّ أَحَـدَكُمْ لا يَعْلَمُ مَتَى يُفْتَقَـرُ إِلى مَا عِنْدَهُ».

وأخرجه هو، والطبراني في «الكبير»، من حديث ابن مسعود ﷺ، إلا أنَّ الطبراني وَقَفَهُ على ابن مسعود[1].

وفيه إشارة أن المتعلم لا ينبغي أن يحتقر نفسه احتقاراً يمنعـه عن الطلب، فقد يأتي زمان يحتاج الناس فيه إليه، وكذلك لا ينبغي أن يمتنع

= (١/ ١٠٤). وفيه يونس بن عطاء، قال ابن حبان: يروي العجائب، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. انظر: «المجروحين» لابن حبان (٣/ ١٤١).

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٢٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٦): أبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود.

عن الطلب تكبراً.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[الأعراف: ١٤٦] الآية.

وقال بعض السلف: لا ينال العلم مُسْتَحْيٍ ولا متكبر[١].

وروى أبو نعيم عن شعبة رحمه الله قال: إنَّ الذين يطلبون العلم[٢] على الدواب لا يفلحون[٣].

والتواضع مطلوب من كل مؤمن، ومن المتعلم أولى، وهو من تمام التشبه بالعلماء.

وإن كان العلم شرفاً فإنما يتم شرفه بتواضع المتصف به، ثم إن شرف العلم مرغوب فيه؛ لأنه يمنع صاحبه عن تسلط السفهاء ومَعَرَّة اللؤماء ومضرة الأشقياء، ويربي له المهابة عند الملوك، فتنفذ فيهم كلمته، وتنفع فيهم موعظته ونصيحته، فالعلم وطلبه بهذه النية عمل صالح، كما سبق.

وروى الدينوري عن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح

---

(١) ذكره البخاري (١/ ٦٠) معلقاً عن مجاهد، ورواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٢٨١). لكنهما قالا: «لا يتعلم» و«مستكبر» بدل «لا ينال» و«متكبر».

(٢) في «حلية الأولياء»: «الحديث» بدل «العلم».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٥٦).

رحمه الله على عبد الملك بن مروان وهو على سريره، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد! حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتقِ الله في حرم الله وحرم رسوله؛ فتعاهده بالعمارة، واتقِ الله في أولاد المهاجرين والأنصار؛ فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتقِ الله في أهل الثغور؛ فإنهم حصن للمسلمين، وتفقد أمر المسلمين؛ فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتقِ الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك.

فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك، فقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك، ثم قد قضيناها، فما حاجتك؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة، [ثم خرج][1]، فقال عبد الملك: هذا الشرف، هذا ـ وأبيك ـ السُّؤدد[2].

وقد تقدم ما رواه الدينوري ـ أيضاً ـ من صنيع ابن عباس رضي الله عنهما مع أبي العالية ـ واسمه رُفَيع بن مهران الرِّياحي مولاهم ـ، وعطاء بن أبي رباح مولى قريش، فانظر في رفعتهما بالعلم ـ وإن كانا[3] من الموالي ـ إلى أرفع المراتب العوالي.

وفي ذلك إشارة إلى أن العلم يُكسِبُ صاحبه الشرف والرفعة في الدنيا مع حسن الثواب في الآخرة.

---

(١) زيادة من «المجالسة وجواهر العلم».

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٥).

(٣) في «م»: «كان».

وقد روى أبو نعيم عن مِسعر بن كِدَام رحمه الله قال: العلم أشرف الأحساب[١]؛ يرفع الخسيس في نفسه، ومن قعد[٢] بـه حسبه نهض بـه أدبه[٣].

وروى الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» عن سفيان رحمه الله قال: سمعت الأعمش رحمه الله تعالى يقول: لو كنت باقلانياً استقذرتموني، ولولا هذه الأحاديث لكنا مع البقالين بالسوية[٤].

وأسند فيه عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ حَدِيْثَيْنِ اثْنَيْنِ يَنْفَعُ بِهِمَا نَفْسَهُ، أَوْ يُعَلِّمُهُمَا غَيْـرَهُ فَيَنْتَفِعَ بِهِمَا، كَانَ خَيْرَاً مِنْ عِبَادَةِ سِتِّيْنَ عَامَاً»[٥].

وعن بِشْر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى قال: لا أعلم على وجه الأرض عملاً أفضل من طلب العلم والحديث لمن اتقى اللهَ وحسنت نيته [فيه][٦].

قال: وأما أنا فأستغفر الله من كل خطوة خطوت فيه[٧]؛ كأنه اتهم

---

(١) في «م»: «الأحباب».

(٢) في «م»: «فقد».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢١٤).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ١٣٥).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٨٠).

(٦) زيادة من «شرف أصحاب الحديث».

(٧) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٨٢).

نفسه في حسن النية فيه .

وروى أبو بكر بن لال، وأبو الشيخ في «الثواب»، وأبو نعيم، وابن عبد البر، والديلمي، وغيرهم عن معاذ رضي الله عنه قال: تعلموا العلم؛ فإنَّ تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الوحدة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، والمقرب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وهُداة يهتدى بهم، أدلةً في الخير تقتص آثارهم، وترمَقُ أفعالهم، وترغب الملائكة في خلتهم[1]، وبأجنحتها تمسحهم، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلب من العمى، ونور الأبصار من الظُّلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ العبد به منازل الأخيار والدرجات العلى، التفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، فبه يُطاع الله، وبه يعبد، وبه يوحد، وبه يتورع، ويه تُوصَل الأرحام، فهو إمامٌ والعمل تابعه، يُلْهَمُه السعداء، ويحرمه الأشقياء[2].

---

(١) في «م»: «خلقتهم»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩) موقوفاً، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٥) مرفوعاً، وقال: وهو حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفاً. =

وروى ابن عبد البر عن الحسن رحمه الله تعالى قال: لأن أتعلم باباً من العلم وأعلمه، أحب إلي من أن يكون لي الدنيا كلها [أجعلها](1) في سبيل الله تعالى(2).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عنه قال: إن العبد لا يزال بخير ما ابتغى من الله تعالى علماً.

قلت: وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، وفي ذلك إشارة إلى أن التشبه بالعلماء مطلوب من كل جاهل وعالم؛ إذ لا عالم إلا ووراء ما يعلم ما لا يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦]، فالتشبه بالعلماء وظيفة العمر.

ومن ظن أنه بلغ النهاية فيه فقد جهل، كما روى الدينوري في «المجالسة» عن نعيم بن حماد قال: قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل(3).

وفي ذلك ـ أيضاً ـ إشارة إلى أن التشبه بالعلماء لا يكون إلا بإلهام من الله تعالى وتوفيق، وأن الزيادة من العلم لا تكون إلا منه.

= قلت: لعل المراد من قوله: حسن جداً: حسن المعنى؛ بدليل قوله: ليس له إسناد قوي. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢): ورفعه غريب جداً. ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٢٣٧) مختصراً.

(١) زيادة من «الفقيه والمتفقه».

(٢) ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٢).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٦).

ومن ثمَّ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِيْ، وَعَلِّمْنِيْ مَا يَنْفَعُنِيْ، وَزِدْنِيْ عِلْمَاً، وَالحَمْدُ للهِ عَلى كُلِّ حَالٍ». رواه الترمذي، وابن ماجه[1].

وروى سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يدعو: اللهم زدني إيماناً وفقهاً [ويقيناً][2] وعلماً[3].

وروى الخطيب عن الشافعي رضي الله عنه: أنه قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة[4].

وقال: ما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم[5].

ونحوه عن سفيان، وقد سبق.

وروى الدينوري عن نعيم بن حماد قال: سمعت ابن المبارك رحمه الله تعالى يقول: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة[6].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩٩) وحسنه، وابن ماجه (٢٥١).

(٢) زيادة من «الدر المنثور».

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦٠٢).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ١١٣).

(٥) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٣١٠).

(٦) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٦).

ولجار الله الزمخشري: [من الوافر]

وَكُـــلٌّ فَـــضِيْلَةٍ فِيْهـــا سَـــناءُ
وَجَــدْتُ الْعِلْــمَ مِــنْ هاتِيْــكَ أَسْــنَىْ

فَــلا تَعْتَــدَّ غَيْــرَ الْعِلْــمِ ذُخْــراً
فَــإِنَّ الْعِلْــمَ كَنْــزٌ لَــيْسَ يَفْنَــىْ

ويروى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: [من البسيط]

مــا الْفَخْــرُ إِلاَّ لأَهْــلِ الْعِلْــمِ إِنَّهُــمُ
عَلَــىْ الْهُــدَىْ لِمَــنِ اسْــتَهْدَىْ أَدِلاَّءُ

وَقَــدْرُ كُــلِّ امْــرِىءٍ مــا كــانَ يُحْــسِنُهُ
وَالْجــاهِلُوْنَ لأَهْــلِ الْعِلْــمِ أَعْــداءُ

فَفُــزْ بِعِلْــمٍ وَلا تَجْهَــلْ بِــهِ أَبَــداً[1]
فَالنَّـاسُ مَـوْتَىْ وَأَهْـلُ الْعِلْـمِ أَحْيـاءُ[2]

وروى أبو نعيم، والخطيب، وغيرهما عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب ﷺ بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجَبَّان، فلما أصحرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد! القلوب أوعية؛ فخيرها

---

(١) في «الفقيه والمتفقه»: «ولا تبغى به بدلاً» بدل «ولا تجهل به أبداً».

(٢) انظر: «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/ ١٥٠).

أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دِين يدان بها، العلم يكسب للعالم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله.

مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه! إن هاهنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علماً لو أصبتُ لها[1] حملة، بلى أصبتُهُ لَقِناً غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك[2] في قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا، ولا ذاك، أو منهوماً بالذات سَلِس القِياد للشهوات، أو مَغْرِيٌّ بجمع الأموال والادخار، وليس من رعاة[3] الدين أقرب شبهاً بهما الأنعام؛ كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى[4]، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكيلا تبطل

(١) في «حلية الأولياء»: «له» بدل «لها».

(٢) في «م»: «الشكر».

(٣) في «حلية الأولياء»: «دعاة» بدل «رعاة».

(٤) في «م»: «بل».

حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله ﷻ عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعره[1] منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالنظر[2] الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه! هاه! شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم[3].

قال الخطيب: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنىً، وأشرفها لفظاً[4].

والأخبار والآثار في ذلك كثيرة لا تنحصر، وفي هذا القدر كفاية لمن يعتبر.

❐ ❐ ❐

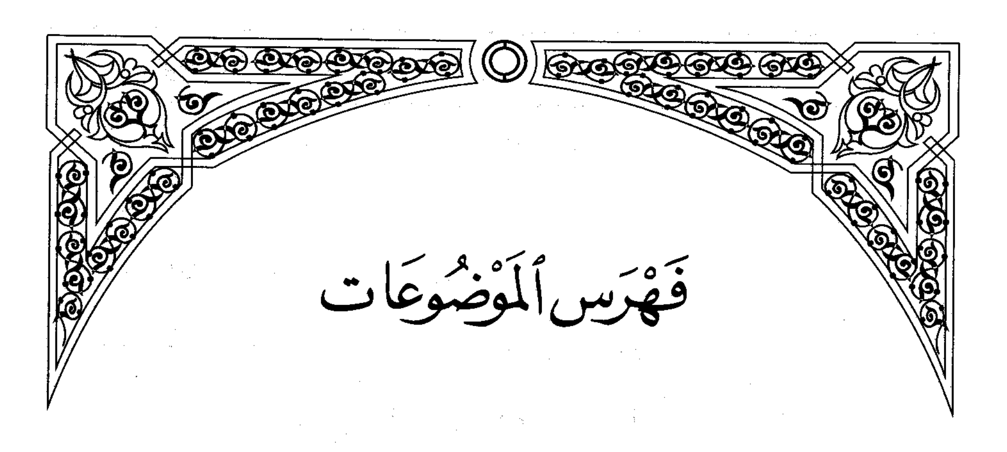
---

(١) في «حلية الأولياء»: «استوعر» بدل «استوعره».

(٢) في «حلية الأولياء»: «بالمنظر» بدل «بالنظر».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٩)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨٢).

(٤) انظر: «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١/ ١٨٤).



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

تابع

(٣)

باب

التشبه بالصالحين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

- فائدةٌ سادسة: في فضيلة الفقر ٧
- فائدةٌ سابعة: في أحوال أهل الصالحين وأقربائهم ١٤
- فائدةٌ ثامنة: في صحبة الصالحين ١٧
- فائدةٌ تاسعة: في الاقتداء بأحوال الصالحين ١٨
- فائدةٌ عاشرة: في التحذير من الوقوع في الصالحين وإيذائهم ٢٤
- فائدةٌ حادية عشرة: في أُلفة الصالحين ٢٦
- فائدةٌ ثانية عشرة: من فوائد صحبة الصالحين ٢٨
- فائدةٌ ثالثة عشرة: في الحياء من الصالحين ٣٠
- فائدةٌ رابعة عشرة: في محبة الصالحين ٣١
- فائدةٌ خامسة عشرة: في المال الصالح مع العبد الصالح ٣٤
- فائدةٌ سادسة عشرة: في أحوال صلاح العبد ٤٣

الموضـــوع	الصفحة
- فائدةٌ سابعة عشرة: القلب محل صلاح العبد	٤٥
- تنبيهٌ	٤٧
- فائدةٌ ثامنة عشرة: في فتنة الاشتهار بالصلاح	٤٨
- فائدةٌ تاسعة عشرة: في ذهاب الصالحين آخر الزمان	٥٠
- فائدةٌ عشرون: في دفع البلاء عن الناس ببركة الصالحين	٥١
- تنبيهٌ	٥٦
- فائدةٌ حاديةٌ وعشرون: في نفع الذرية الصالحة صاحبَها بعد موته	٥٨
- فائدةٌ ثانيةٌ وعشرون: يستوصى في الصالحين ما لا يستوصى بغيرهم	٥٩
- فائدةٌ ثالثةٌ وعشرون: في مكانة الوزير الصالح	٦٠
- فائدةٌ رابعةٌ وعشرون: في صلاح العلماء والأمراء	٦٢
- فائدةٌ خامسةٌ وعشرون: في الاستغفار للعلماء الصالحين	٦٤
- فائدةٌ سادسةٌ وعشرون: فساد العلماء الصالحين فساد للخلق	٦٤
- فائدةٌ سابعةٌ وعشرون: في أدعية الصالحين	٦٥
- فائدةٌ ثامنةٌ وعشرون: مغفرة الله تعالى سبب في صلاح الناس ...	٦٧
- فائدةٌ تاسعةٌ وعشرون: الخصلة الصالحة في العبد الصالح تصلح غيرها من الخصال	٦٨
- فائدةٌ ثلاثون: صلاح السلطان بصلاح الرعية وفساده بفسادها ...	٧١
- فائدةٌ حاديةٌ وثلاثون: من علامات الصلاح الغضب لله والرضا لله	٧٢

الموضـــوع	الصفحة
ـ فائدةٌ ثانيةٌ وثلاثون: عاقبة فساد الصالحين	٧٣
ـ فائدةٌ ثالثةٌ وثلاثون: عاقبــة ترك الصــالحين الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر	٧٤
ـ فائدةٌ رابعةٌ وثلاثون: في أجر المملوك الصالح	٧٦
ـ فائدةٌ خامسةٌ وثلاثون: في ابتلاء الله تعالى المؤمن والكافر	٧٧
ـ فائدةٌ سادسةٌ وثلاثون: في ابتلاء الله تعالى الأنبياء	٨١
ـ فائدةٌ سابعةٌ وثلاثون: زلَّة الصالح لا تحط من قدْره	٨٤
ـ فائدةٌ ثامنةٌ وثلاثون: الصالح تسره حسنته وتسوءه سيئته	٨٦
ـ فائدةٌ تاسعةٌ وثلاثون: إصلاح الله تعالى الرعيةَ بالحاكم الظالم ..	٩٠
ـ فائدةٌ أربعون: كيف يجازى المؤمن بذنوبه؟	٩١
ـ فائدةٌ حاديةٌ وأربعون: في ما يباح فيه الكذب	٩٣
ـ فائدةٌ ثانيةٌ وأربعون: صلاحُ القلب مع فساد الظاهر	٩٦
ـ فائدةٌ ثالثةٌ وأربعون: صلاح النفس بدفعها عن الملل	٩٨
ـ فائدةٌ رابعةٌ وأربعون: في صلاح العقل	١٠٠
ـ فائدةٌ خامسةٌ وأربعون: في أولويـة إصــلاح أمــور الآخرة على أمور الدنيا	١٠٢
ـ فائدةٌ سادسةٌ وأربعون: في ســؤال الله تعالى العبد الصالح يوم القيامة عن النعيم	١٠٨
ـ فائدةٌ سابعةٌ وأربعون: المحدثون هم الصالحين	١١٠
ـ فائدةٌ ثامنةٌ وأربعون: الخطأ في الحديث عند أهل الصلاح	١١٤

الموضـــوع	الصفحة
- فائدةٌ تاسعةٌ وأربعون: الصلاح من شروط التصوف	١١٦
- فائدةٌ خمسون: القضاء برأي الصالحين	١١٧
- فائدةٌ حاديةٌ وخمسون: في قضاء الصالحين	١١٨
- فائدةٌ ثانيةٌ وخمسون: في سؤال الصالحين	١٢٢
- فائدةٌ ثالثةٌ وخمسون: في سؤال الصالحين العلم	١٢٥
- فائدةٌ رابعةٌ وخمسون: في ثبات الصلاح بالمعاملة والمجاورة والسفر	١٢٧
- فائدةٌ خامسةٌ وخمسون: في إثابة الجن على الإحسان	١٣٠
- فائدةٌ سادسةٌ وخمسون: في رؤية الصالحين عيسى بن مريم	١٣٠
- فائدةٌ سابعةٌ وخمسون: في إصلاح المهدي	١٣٢
- فائدةٌ ثامنةٌ وخمسون: في موت الصالحين	١٣٤
- فائدةٌ تاسعةٌ وخمسون: في موت الصالحين بالطاعون	١٣٧
- فائدةٌ ستون: في صلاح الظاهر والباطن	١٣٨
- فائدةٌ حاديةٌ وستون: في موت الفجأة	١٤٠
- فائدةٌ ثانيةٌ وستون: للصالحين علامات منها خوارق العادات	١٤٢
- فائدةٌ ثالثةٌ وستون: في صلاح الشباب	١٤٢
- فائدةٌ رابعةٌ وستون: الدنيا في نظر الصالحين	١٤٣
- فائدةٌ خامسةٌ وستون: في التجار الصالحين	١٤٣
- فائدةٌ سادسةٌ وستون: من أخلاق الصالحين التبشير لا التنفير ...	١٤٤
- فائدةٌ سابعةٌ وستون: في معرفة الصالحين	١٤٨

الموضـــوع	الصفحة
ـ فائدةٌ ثامنةٌ وستون: في حاجات الصالحين	١٤٩
ـ فائدةٌ تاسعةٌ وستون: في فساد العلماء والأمراء والقُرَّاء	١٤٩
ـ فائدةٌ سبعون: في فساد الخواص والعوام	١٥٠
ـ فائدةٌ حاديةٌ وسبعون: صلاح خمس في خمس	١٥١
ـ فائدةٌ ثانيةٌ وسبعون: قلة الصادقين من الصالحين	١٥٢
ـ فائدةٌ ثالثةٌ وسبعون: أفضل ما يؤتى الصالحون	١٥٣
ـ فائدةٌ رابعةٌ وسبعون: في استحباب طلب الدعاء من الصالحين ...	١٥٤
ـ فائدةٌ خامسةٌ وسبعون: في خروج الصالحين من قبورهم مكسوين	١٥٧
ـ فائدةٌ سادسةٌ وسبعون: في أولوية إمامة الصالح	١٥٨
ـ فائدةٌ سابعةٌ وسبعون: في صلاح الناس بصلاح أحدهم	١٥٩
ـ فائدةٌ ثامنةٌ وسبعون: في السلطان الصالح	١٥٩
ـ فائدةٌ تاسعةٌ وسبعون: في شفاعة الصالحين	١٦٠
ـ فائدةٌ ثمانون: الصلاح لا يأتي بالفساد والشر	١٦١
ـ فائدةٌ حاديةٌ وثمانون: لا يصلح متعلقٌ بالدنيا	١٦٢
ـ فائدةٌ ثانيةٌ وثمانون: في بيان قوله تعالى: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾	١٦٦
ـ فائدةٌ ثالثةٌ وثمانون: شرط الذرية الصالحة	١٦٩
ـ فائدةٌ رابعةٌ وثمانون: في بركة الولد الصالح	١٧٠
ـ فائدةٌ خامسةٌ وثمانون: الولد الصالح من الباقيات الصالحات ...	١٧٣
ـ فائدةٌ سادسةٌ وثمانون: في استحباب طلب الصلاح في كل صباح	١٧٤

الموضوع	الصفحة

- فائدةٌ سابعةٌ وثمانون: في رؤية الصالحين كرامات غيرهم ١٧٦
- فائدةٌ ثامنةٌ وثمانون: ممن لا يؤخذ العلم ١٧٨
- فائدةٌ تاسعةٌ وثمانون: في تمني الصالحين الخير ١٧٨
- فائدةٌ تسعون: في الهدية إلى الصالحين ١٨١
- فائدةٌ حاديةٌ وتسعون: إنكار الأعمال علامة الصلاح ١٩٠
- فائدةٌ ثانيةٌ وتسعون: في معاملة الفاسدين ١٩١
- فائدةٌ ثالثةٌ وتسعون: صلاح الدنيا والدين ١٩٢
- فائدةٌ رابعةٌ وتسعون: ابتلاء الصالحين بقلة أعمالهم الصالحة ... ١٩٤
- فائدةٌ خامسةٌ وتسعون: صلاح الرجل لا ينقطع حتى الموت ١٩٧
- فائدةٌ سادسةٌ وتسعون: ذهاب الصالحين آخر الزمان ٢٠١
- فائدةٌ سابعةٌ وتسعون: العاقل الكامل من صلح مع الفاجر الجاهل ٢٠٣
- فائدةٌ ثامنةٌ وتسعون: الخصلة الصالحة تكفِّر غيرها من الخصال ... ٢٠٤
- فائدةٌ تاسعةٌ وتسعون: بشرى الصالحين في الدنيا والآخرة ٢٠٦
- فائدةٌ تمام المئة: في بيان قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ٢٠٩

* فصلٌ: في صفات أولياء الله تعالى ٢١٣
* فصلٌ: في وجوب طلب الولاية من الله تعالى ٢٥٦
* فصلٌ: في أنواع الولاية ٢٦٣

- تتمة ٢٧١

الموضـــوع	الصفحة

* فصلٌ: في فضل التحبب إلى أولياء الله تعالى ٢٧٢
- فائدةٌ لطيفة: قصة أبي حازم مع أبي جعفر المديني ٢٧٧
- لطيفةٌ أخرى: لم يمنعِ اللهُ تعالى أعداءَه الجنةَ بُخلاً ٢٧٧
- فائدةٌ ثالثة: في عبور المؤمن الصراط يوم القيامة ٢٧٨
- فائدةٌ رابعة: في قوله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ ﷻ مِئَةَ رَحْمَةٍ» ٢٨٠
* فصلٌ ٢٨٢
- تنبيه ٣١٥
- تنبيه ٣١٨
* فصل ٣٢٥
- تتمةٌ ٣٣٢
- تتمةٌ ٣٣٤
- تنبيهٌ ٣٣٤
- فائدةٌ لطيفة ٣٣٦
* فصلٌ: يقال للأولياء والصالحين: أولو الألباب، وذوو الألباب ٣٤١
- تتمةٌ ٣٥٩
* فصلٌ: أولـو الألبـاب من الأوليـاء والصالحين على قسمين: صديقون، وأبرار ٣٦٨
- تتمةٌ ٤٦٧
- تنبيهٌ أول ٤٨١
- تنبيهٌ ثانٍ ٤٨٢
- فائدة: دعاء الأبرار مستجاب ٤٨٢

الموضـــوع	الصفحة
ـ فائدةٌ أخرى: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة	٤٨٤
ـ فائدةٌ ثالثة: في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	٤٨٥
ـ فائدةٌ رابعة: ليس بين لقاء العبد مع ربه سوى فراق الروح للجسد ..	٤٨٦
ـ فائدةٌ خامسة: البلاء يميز البر من الفاجر	٤٨٦
ـ فائدةٌ سادسة: في قوله ﷺ: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»	٤٨٨
ـ فائدةٌ سابعة: في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	٤٨٩
ـ فائدةٌ ثامنة: في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾	٤٩٠
ـ فائدةٌ تاسعة: في قوله ﷺ: «مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ صَبَاحٍ فَيَعْلَمُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ»	٤٩٢
ـ فائدةٌ عاشرة: من يتولَّ الكفارَ يتخلى اللهُ تعالى عنه	٤٩٢
ـ فائدةٌ حاديةَ عشْرةَ: الإمام البَر يأتيه البر، والإمام الفاجر يأتيه الفاجر	٤٩٤
ـ فائدةٌ ثانيةَ عشْرةَ: في محبة البرِّ والفاجر	٤٩٤
ـ فائدةٌ ثالثةَ عشْرةَ: في الفاجر الراجي رحمة الله تعالى	٤٩٥
ـ فائدةٌ رابعةَ عشْرةَ: في محبة البَر وبغض الفاجر	٤٩٦
ـ فائدةٌ خامسةَ عشْرةَ: التوبة تجُبُّ ما قبلها من الفجور	٤٩٨
ـ فائدةٌ سادسةَ عشْرةَ: البـِرُّ يقابل الفجـور	٤٩٩
ـ فائدةٌ سابعةَ عشْرةَ: في قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ»	٥٠٠
ـ فائدةٌ ثامنةَ عشْرةَ: في ذنب المؤمن والفاجر	٥٠١

الموضـــوع	الصفحة

- فائدةٌ تاسعةَ عشْرةَ: البِرُّ لا يَبْلى ٥٠٢
- فائدةٌ عشرون: الموت خيرٌ للبَرِّ والفاجر ٥٠٢
- تنبيهٌ نَفِيس: الأجر على قدر الصبر ٥٠٥
- تتمةٌ مهمةٌ، وخاتمةٌ حسنة: من تشبه بالصالحين والأولياء ولو مرة كان منهم ٥٠٧

(٤)

بَابُ
ٱلتَّشَبُّهِ بِالشُّهَدَاءِ

- تنبيه: ليس من التشبه بالشهداء تمني لقاء العدو ٥٢٢

* فصل: في معنى الشهيد ٥٢٤
* فصل ٥٢٧
- تنبيه ٥٣١
- تنبيه ٥٣٣
* فصل ٥٣٧
- تنبيه ٥٤٨
* فصل ٥٥١
* فصل ٥٦٥
* فهرس الموضوعات ٥٩٣

❐ ❐ ❐